المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى – مكة المكرمة.
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

قام الطالب بجميع التعديلات التي
طلبتها منه لجنة المناقشة
د. مسفر بن سالم الغامدي.
د. أحمد السيد دراج.
د. محمد بن صامل السلمي

العلاقات بين المسلمين والكُرج.

دراسة سياسية

٤٣١ - ٦٢٨هـ / ١٠٤٠ - ١٢٣١م.

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في
التاريخ الإسلامي

إعداد.
عادل بن محمد خضر نبهان عبد الهادي.

بإشراف الدكتور
مسفر بن سالم بن عريج الغامدي

١٤١٤ – ١٩٩٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص رسالة ماجستير بعنوان
العلاقات بين المسلمين والكُرج
دراسة سياسية
(٤٣١-٦٢٨هـ /١٠٤٠-١٢٣١م)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد :

فقد تضمنت الرسالة أربعة فصول ومقدمة وتمهيد وخاتمة .

أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وعرض لأهم مصادر ومراجع البحث .

والتمهيد تحدثت فيه عن حركة انتشار الإسلام في بلاد الكرج وظروف قيام مملكة الكرج البقراطية .

أما الفصل الأول فقد تحدثت فيه عن العلاقات بين السلاجقة ومملكة الكرج ، وأوضحت الدراسة جهود سلاطين السلاجقة الأوائل لاخضاع مملكة الكرج . كما تحدث الفصل الأول أيضاً عن النزاع بين أبناء البيت السلجوقي وأثره على امتداد نفوذ مملكة الكرج . كما تحدث الفصل الأول أيضاً عن العلاقات بين سلاجقة العراق وإيران والكرج بالإضافة إلى العلاقات بين سلاجقة الروم والكرج .

أما الفصل الثاني ، فقد تحدثت فيه عن سقوط تفليس بيد الكرج وأثره ، بالإضافة إلى اعتداءات الكرج على الامارات الإسلامية في أرمينية وشروان وأذربيجان وأثر هذه الاعتداءات على موقف هذه القوى الإسلامية من الحملات الصليبية على بلاد الشام والجزيرة الفراتية .

أما الفصل الثالث فقد تحدثت فيه عن العلاقات بين الدولة الأيوبية ومملكة الكرج ، وألقت الدراسة الأضواء على موقف الكرج من الحملات الصليبية على بلاد الشام والجزيرة الفراتية ، ثم تحدثت عن العلاقات بين الأيوبيين ومملكة الكرج .

أما الفصل الرابع فقد تحدثت فيه عن جهود الدولة الخوارزمية في القضاء على مملكة الكرج ، فقد تحدثت في البداية عن الغزو المغولي للدولة الخوارزمية ومملكة الكرج وأثره على العلاقات الخوارزمية الكرجية . كما تحدثت عن استيلاء السلطان جلال الدين منكبرتي على إيران وأثره على العلاقات الخوارزمية الكرجية ، كما تحدثت عن جهاد السلطان جلال الدين منكبرتي ضد الكرج وفتح تفليس .

كما تضمنت الرسالة خاتمة تحدثت فيها عن أهم نتائج البحث ومنها :

١ – أن الكرج كانوا يعترفون بالسيادة الإسلامية على بلادهم ، بدليل أن العملة الكرجية كان يكتب عليها أسماء سلاطين سلاجقة العراق وإيران .

٢ – ومن النتائج التي توصل إليها البحث أن انشغال القوى الإسلامية في أرمينية وأذربيجان بالتصدي إلى أطماع الكرج التوسعية واعتداءاتهم المستمرة على ممتلكات المسلمين في هذه المنطقة قد أعاقت هذه القوى عن المساهمة في حركة الجهاد ضد القوى الصليبية في بلاد الشام .

٣ – ولقد أثبتت الدراسة أن استيلاء السلطان جلال الدين منكبرتي على أذربيجان كان بداية لظهور صفحة جديدة مشرقة من صفحات الجهاد ضد الكرج ، فقد أدرك السلطان جلال الدين ما وصلت اليه أحوال المسلمين في هذه المنطقة من ضعف شديد نتيجة اعتداءات الكرج المستمرة على بلادهم وانتهاك أعراضهم لذلك صمم على حربهم .

والحمد لله رب العالمين .

الطالب	المشرف	عميد الكلية
عادل بن محمد خضر نبهان	د. مسفر بن سالم الغامدي	د. عابد بن محمد السفياني

١٤١٥/٦/٦هـ

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

المقدمة

أهمية الموضوع وعرض لأهم مصادر البحث وبيان فصوله ومباحثه

((المقدمة))

((أهمية الموضوع وعرض لأهم مصادر البحث وبيان فصوله ومباحثه))

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد .

تعتبر المنطقة الشمالية للعالم الإسلامي من المناطق التي وصلها الفتح الإسلامي منذ زمن مبكر ، وكانت منطقة بلاد الكرج التي تمثل جورجيا جزءاً منها قد سكنها شعب يطلق عليه اسم الكرج أو الجورج.

وقد ظل شعب الكرج على ديانته النصرانية التي وصلت إليه في فترة مبكرة قبل وصول الجيوش الإسلامية إلى منطقة جورجيا ، وقد ظلت هذه المنطقة تنعم كغيرها من المناطق بالحكم الإسلامي .

ولما بدأ الضعف يدب في أطراف الدولة الإسلامية في العصر العباسي الثاني تمكن الكرج من إقامة دولة لهم ، ودخلوا في دائرة النفوذ البيزنطي ، واشتركوا مع جيوش الدولة البيزنطية في هجماتهم ضد مناطق الثغور الإسلامية .

ولما جاء السلاجقة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري وقد كانوا يشتغلون حماساً لنشر الإسلام والجهاد في سبيل الله، تمكنوا من إخضاع مملكة الكرج لسيطرتهم، وقام زعماؤهم بدفع الجزية للمسلمين ، ولكن الأمر لم يستمر طويلاً فقد أصاب السلاجقة الضعف بعد وفاة السلطان ملكساه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م،فبدأ نفوذ الكرج يزداد شيئاً فشيئاً مستغلين ما قامت به أوروبا النصرانية من شن العديد من الحملات الصليبية على بلاد المسلمين في بلاد الشام والجزيرة الفراتية منذ العقد الأخير من القرن الخامس الهجري.

ومما دعاني إلى دراسة هذا الموضوع هو أنه حسب علمي لم تكتب رسالة علمية في هذا الموضوع تعالج تاريخ المسلمين وعلاقاتهم بالكرج في الفترة المشار إليها تحت عنوان البحث ، وبالرغم من عدم وجود رسالة علمية في هذا الموضوع ، إلا أنه توجد بعض الدراسات المتخصصة مثل : كتاب الدكتورة عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، حيث أفردت في كتابها مبحثاً خاصاً عن العلاقات بين المسلمين والكرج في زمن الحروب الصليبية ، بالإضافة إلى فضح الدور المشين الذي قام به الكرج ضد المسلمين ، وإبراز دور القوى الإسلامية من سلاجقة وأتابكيات وأيوبيين وخوارزميين في جهادهم ضد الكرج،وصد حملاتهم الصليبية على مناطق النفوذ الإسلامي،والقضاء على هذا المملكة.

ولقد قمت بدراسة هذا الموضوع في الفترة (٤٣١-٦٢٨هـ/١٠٤٠-١٢٣١م) وهذه الفترة تميزت بالاستقلال السياسي للكرج عن الدولة البيزنطية وظهور المملكة الكرجية البقراطية ، وظهور مطامعهم في الأراضي الإسلامية .

وقد اعتمدت الرسالة على مصادر أصلية منها كتاب تاريخ ميافارقين وآمد أو ملخص تاريخ ميافارقين لمؤلفه أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي المتوفى سنة ٥٩٠هـ/١٠٩٤م . وقد كتب الفارقي تاريخه عن مدينة ميافارقين شأنه في ذلك شأن المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ المدن والأمصار[1] .

١- علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي، ص٢٢-٢٣ .

تكلم الفارقي في كتابه عن الدولة العباسية ، وأفاض في ذكر الحوادث ذات العلاقة بميافارقين ، وتحدث عن القوى التي أثّرت في تاريخ بلاد الشام والجزيرة الفراتية وأرمينية ، مثل البويهيين ، والسلاجقة والأتابكة ، والأراتقة ، والمروانيين ، وغيرهم ، وأشار إلى العلاقات السياسية بين تلك القوى بعضها ببعض[١] .

ولقد قام الدكتور بدوي عبداللطيف عوض بتحقيق القسم الخاص بتاريخ الدولة المروانية ، ولا يزال معظم الكتاب مخطوطاً لم ينشر .

ويعتبر الجزء الذي لم ينشر من تاريخ الفارقي بالغ الأهمية بالنسبة للبحث ، لأن مؤلفه كان شاهد عيان لبعض الحوادث التي أثرت في تاريخ العلاقات بين المسلمين والكرج ، فقد زار الفارقي تفليس سنة ٥٤٨هـ/١١٣٦م ودخل في خدمة ملك الكرج ديمتريوس الأول Demtrusie I الذي اصطحبه في كثير من رحلاته داخل مملكته[٢].

وقد استفاد البحث من كتاب ملخص تاريخ ميافارقين عند دراسة سقوط تفليس بيد الكرج سنة ٥١٥هـ/١١٢١م . فقد زودنا الفارقي بمعلومات في غاية الأهمية عن اعتداءات الكرج على تفليس ، بالإضافة إلى الجهود الكبيرة التي بذلها الملك طغرل بن محمد السلجوقي والأمير إيلغازي بن أرتق لإنقاذ تفليس من السقوط بيد الكرج . كما زودنا الفارقي بمعلومات فريدة عن أحوال المسلمين في تفليس أثناءالاحتلال الكرجي[٣].

١- علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي ، ص٢٣ .

٢- الفارقي: ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٦٩ب وَ ١٧٠أ .

٣- الفارقي: ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٧٠ أ و ب .

وعند دراسة موضوع العلاقات بين الإمارات الإسلامية في أرمينية والجزيرة الفراتية مع الكرج ، أمدنا الفارقي بمعلومات نادرة عن أحوال الإمارة الشدادية في آني وعلاقاتها بالكرج ، بالإضافة إلى دور رجال الدين الأرمن في القضاء على الحكم الشدادي في هذه المدينة ، وتسليم المدينة للكرج سنة٥٥٦هـ/١١٦١م[١]. كما أمدنا الفارقي بمعلومات ذات أهمية بالغة عن الجهود الجبارة التي بذلها أمير خلاط ناصر الدين سكمان الثاني وبقيةزعماء الإمارات الإسلامية في أرمينية لاسترداد آني من يد الكرج[٢]. كما أفاد البحث أيضاً مما كتبه الفارقي عن جهاد إيلدكز وابنه محمد البهلوان ضد الكرج واسترداد آني من أيديهم[٣].

ومن المصادر الهامة لموضوع الرسالة كتاب الكامل في التاريخ ، ومؤلفه ابن الأثير ، وابن الأثير هو أحد ثلاثة أخوة عرفوا جميعاً بالاهتمام بالعلم ، فقد اشتهر الأخ الأكبر مجد الدين أبو السعادات بدراسة علوم القرآن والحديث ، بينما اشتهر ضياء الدين بدراسة علوم الأدب والبلاغة، أما الأخ الأوسط فهو المؤرخ المشهور عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (٥٥٥هـ - ٦٣٠هـ)[٤] .

وكتاب الكامل في التاريخ يعتبر بحق من أهم كتب التاريخ

١- انظر ما يلي ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

٢- انظر ما يلي ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

٣- انظر ما يلي ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

٤- علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي ، ص٢٤ .

الإسلامي العام ألفه ابن الأثير على طريقة الحوليات . ابتدأ فيه بأول الزمان وانتهى عند آخر سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م[١] . وقد أوضح ابن الأثير في مقدمة كتابه الكامل الحافز الذي دفعه إلى تأليفه وهو أنه تفحص معظم مؤلفات المؤرخين المسلمين فوجدها غير متباينة ((فمن بين مطول قد استقصى الطرق والروايات ، ومختصر قد أخل بكثير مما هو آت ، ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات ، والمشهور من الكائنات وسود الكثير منهم الأوراق بصغائر الأمور التي الإعراض عنها أولى ، وترك تسطيرها أحرى)).[٢] بالإضافة إلى أن المؤرخ إذا كان شرقياً ((أخل بذكر أخبار الغرب ، والغربي قد أهمل أحوال الشرق)) فكان الطالب إذا أراد أن يطالع تاريخاً أحتاج إلى مجلدات كثيرة وكتب متعددة))[٣] لذلك شرع ابن الأثير في تأليف كتابه الكامل في التاريخ .

وقد استفاد البحث من كتاب الكامل لابن الأثير عند دراسة العلاقات بين السلاجقة والكرج . فقد أمدنا ابن الأثير بمعلومات في غاية الأهمية عن جهاد السلطان ألب أرسلان ضد الكرج[٤] .

كما أمدنا ابن الأثير بمعلومات مهمة عن علاقات إمارة أرزن الروم السلجوقية مع الكرج . وأوضح ابن الأثير ما وصلت إليه أحوال إمارة أرزن الروم من ضعف وعجز في سياستها إزاء الكرج حتى أن مغيث

١- مسفر الغامدي : الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي ، ص١٦ .

٢- ابن الأثير : الكامل ، جـ١ ، ص٤ .

٣- ابن الأثير : الكامل ،جـ١ ، ص٥ .

٤- انظر مايلي ، ص ٥٥- ٦٠ .

الدين طغرل حاكم أرزن الروم قام بتنصير ابنه ليتزوج من ملكة الكرج روسودان Roussdan[١] .

وعند الحديث عن جهود الدولة الخوارزمية للقضاء على مملكة الكرج،أمدنا ابن الأثير بمعلومات هامة عن جهاد السلطان جلال الدين منكبرتي ضد الكرج وفتح تفليس، بالإضافة إلى الجهود الكبيرة التي بذلها جلال الدين للاستيلاء على تفليس للمرة الثانية سنة٦٢٤هـ/١٢٢٧م[٢] .

ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث زبدة التواريخ أو أخبار الأمراء والملوك السلجوقية لمؤلفه أبو الحسن صدر الدين علي بن السيد الشهيد ناصر الدين بن علي الحسيني المتوفي بعد سنة٦٢٢هـ/١٢٢٥م[٣].

وكتاب زبدة التواريخ يعتمد فيما بين سنتي ٤٨٥هـ /١٠٩٢م و ٥٤٧هـ/١١٥٢م على كتاب العماد الأصفهاني : نصرة الفطرة . ومع أن نهاية النص كتبت في سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م إلا أن السرد الحقيقي للأخبار ينتهي سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م . تاريخ موت طغرل الثالث آخر سلاطين سلاجقة العراق وإيران[٤].

والحسيني في كتابه زبدة التواريخ اتبع طريقة تدوين تواريخ الحكام السلاجقة واحداً بعد الآخر ، بدلاً من طريقة الحوليات ، ومع ذلك فإنه

١- انظر ما يلي ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

٢- انظر ما يلي ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

٣- شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ، جـ٢ ، ص٤٠٥ .

٤- شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ، جـ٢ ، ص٤٠٥ .

لم يغفل أهمية بعض الشخصيات التي كان لها دور كبير في الحياة السياسية في الدولة السلجوقية فأفرد لهم تراجم خاصة بهم مثل عميد الملك الكندري ونظام الملك وغيرهم[١] .

وقد استفاد البحث من كتاب زبدة التواريخ للحسيني عند دراسة جهود سلاطين السلاجقة الأوائل لإخضاع مملكة الكرج ، فقد أمدنا بكثير من المعلومات الهامة عن جهاد السلطان ألب أرسلان ضد الكرج سنة ٤٦٠هـ /١٠٦٨م[٢] . وعند الحديث عن موقف أتابكية أذربيجان من الكرج زودنا الحسيني بمعلومات في غاية الأهمية عن جهاد إيلدكز وابنه البهلوان محمد ضد الكرج[٣] ، كما أمدنا الحسيني بمعلومات نادرة وفي غاية الأهمية عن النزاع بين أبناء البهلوان أمير أميران عمر وأخيه أبو بكر ، وأثر هذا النزاع في إمتداد نفوذ الكرج[٤] .

ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث كتاب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ومؤلفه هو محمد بن أحمد النسوي المتوفى سنة٦٤٧هـ/ ١٢٥١م . وقد أتم النسوي كتابه سيرة السلطان جلال الدين سنة ٦٣٩هـ بشكل يجعله نوعاً من المذكرات الشخصية[٥], وترجع أهمية ما

١- محمد ربيع : المشرق الإسلامي (رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى لم تطبع) ، ص٢٥ .

٢- انظر ما يلي ، ص ٦٢ - ٦٦ .

٣- انظر ما يلي ، ص ١٥٥- ١٥٩ .

٤- انظر ما يلي ص ١٦٤- ١٦٧ .

٥- شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون . جـ٢ ، ص٤٠٧-٤٠٨ ؛ براون : تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي ، ص ٦٠١ .

كتبه النسوي بالنسبة للبحث ، إلى أن النسوي كان مقرباً من السلطان جلال الدين ، الذي عينه في بعض المناصب في الدولة الخوارزمية ، فقد عينه كاتباً للإنشاء ، ثم عينه وزيراً لمدينة نساء في خراسان بالإضافة إلى عمله كاتباً للإنشاء[١] .

وقد أفاد البحث من كتاب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي عند دراسة جهود الدولة الخوارزمية في القضاء على مملكة الكرج ، فقد أمدنا النسوي بمعلومات في غاية الأهمية عن المراسلات بين السلطان علاء الدين محمد والكرج[٢] . وعند الحديث عن جهاد السلطان جلال الدين منكبرتي ضد الكرج ، أمدنا النسوي بمعلومات في غاية الأهمية عن موقعة وادي كربي ، وفتح تفليس سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م ، بالإضافة إلى انتصارات الخوارزميين على الكرج عند لوري سنة٦٢٥هـ /١٢٢٧م[٣] .

ومن المصادر المهمة للبحث كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي.وسبط ابن الجوزي هو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلو بن عبد الله التركي العوني (نسبة إلى الوزير عون الدين بن هبيرة) البغدادي،سبط الحافظ ابن الجوزي المتوفى بدمشق سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م ولد سنة ٥٨٢هـ ونشأ ببغداد ثم بالموصل ولكنه استقر في دمشق وان زار مصر أيضاً،وقد انتهت إليه رئاسة الوعظ،وعن طريق

١- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين (مقدمة المحقق) ، ص٢٣-٢٤ .

٢- انظر ما يلي ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

٣- انظر ما يلي ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

هذا العمل ومن أجله تبحر في الفقه والحديث والتفسير ، وقد حظي بالحرمة والرعاية من ملوك الأيوبيين[١] .

وقد استفاد البحث من كتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ، عند دراسة جهود سلاطين السلاجقة الأوائل لإخضاع مملكة الكرج ، فقد أمدنا سبط ابن الجوزي بمعلومات في غاية الأهمية عن جهاد السلطان ألب أرسلان ضد الكرج[٢].وعند الحديث عن العلاقات بين الإمارات الإسلامية في أرمينة مع الكرج أمدنا سبط بن الجوزي بمعلومات طيبة عن مضايقات الكرج لتفليس،ثم إستيلائهم عليها[٣] .

وعند الحديث عن موضوع العلاقات بين الدولة الأيوبية ومملكة الكرج ، أمدنا سبط ابن الجوزي بمعلومات في غاية الأهمية عن اعتداءات الكرج على خلاط، وموقف الملك الأوحد من هذه الاعتداءات بالإضافة إلى شروط الصلح بين الأيوبيين والكرج[٤] .

ومن المصادر التاريخية الأساسية لموضوع الرسالة مؤلفات المؤرخ أبو شامة وهو شهاب الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي الدمشقي

١- شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ، جـ٢ ،ص٢٦١ .

ولمزيد من التفاصيل عن سبط ابن الجوزي ، انظر سبط ابن الجوزي مرآة الزمان ، جـ١ (مقدمة المحقق) ، ص٢٩-١١١ .

٢- انظر ما يلي ، ص ٦٤ - ٦٥ .

٣- انظر ما يلي ، ص ١١٩ - ١٢١ .

٤- انظر ما يلي ، ص ٢٠٣ - ٢٠٥ .

المعروف بأبي شامة المتوفي سنة٦٦٥هـ /١٢٦٧م ، ويعتبر أبو شامة من كبار الفقهاء والمحدثين ، وله عناية بدراسة علوم اللغة والتاريخ[١] .

وقد استفاد البحث من كتاب تراجم رجال القرنين السادس والسابع أو ذيل الروضتين لأبي شامة ، بالإضافة إلى كتاب أبو شامة نزهة المقلتين في أخبار الدولتين العلائية والجلالية , فعند دراسة موضوع العلاقات بين الدولة الأيوبية ومملكة الكرج ، أمدنا كتاب تراجم رجال القرنين بروايات مفصلة عن إعتداءات الكرج على أملاك الأيوبيين في خلاط ، وشروط الصلح بين الأيوبيين والكرج ، بالإضافة إلى أنه أمدنا بمعلومات في غاية الأهمية عن المراسلات التي تمت بين السلطان العادل والكرج[٢] .

أما كتاب أبي شامة نزهة المقلتين في أخبار الدولتين العلائية والجلالية، فقد أمدنا بمعلومات مهمة عن العلاقات بين الخوارزميين والكرج ، بالإضافة إلى الجهود الكبيرة التي بذلها السلطان جلال الدين في سبيل القضاء على مملكة الكرج[٣] .

وقد اعتمدت الدراسة على بعض المصادر النصرانية المعاصرة لفترة البحث ، منها كتاب تاريخ الزمان لأبي الفرج غريغورس الملطي المعروف بابن العبري(٦٢٣هـ-٦٨٥هـ / ١٢٢٦م-١٢٨٦م) نشأ أبو الفرج في

١- السبكي :طبقات الشافعية،جـ٨،ص١٦٧-١٦٨.

٢- انظر ما يلي ، ص٢٠٥- ٢٠٦ .

٣- انظر ما يلي ، ص ٢٤٩ - ٢٥١ .

ملطية بالجزيرة الفراتية حيث درس اليونانية والسريانية والعربية ، وبعد الغزو المغولي للجزيرة الفراتية ، عين مطراناً على شمال العراق والعراق العجمي ، فعمل على حماية طائفته ، وإعادة بناء كنائسها ، حتى توفي في مدينة مراغة في أذربيجان[١] .

وقد استفاد البحث مما كتبه ابن العبري عند دراسة علاقات سلاجقة الروم بالكرج،كما استفاد البحث مما كتبه ابن العبري عند دراسة موضوع العلاقات بين الدولة الأيوبية ومملكة الكرج ، فقد أمدنا ابن العبري بمعلومات طيبة عن أطماع الكرج في الاستيلاء على خلاط[٢].

ومن المصادر المهمة للبحث كتاب صحائف الأخبار في وقائع الأعصار لأحمد بن لطف الله المولوي المتوفى بعد سنة ١١١٦هـ . والمولوي في كتابه اتبع طريقة تدوين تواريخ الدول الإسلامية الواحدة بعد الأخرى بدلاً من طريقة الحوليات[٣]. وترجع أهمية كتاب صحائف الأخبار في وقائع الأعصار بالنسبة للبحث إلى أن مؤلفه اعتمد على بعض المصادر المفقودة مثل كتاب تاريخ الباب وشروان لمؤلف عربي مجهول ، بالإضافة إلى اعتماده على بعض المصادر الفارسية التي تعذر على الباحث الإطلاع عليها[٤] .

١- شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ،جـ٢ ، ص٤٥٥-٤٥٧ .

٢- انظر ما يلي ص ١٩٧ - ١٩٨ .

٣- المولوي : صحائف الأخبار ، جـ١ ، ورقة ٢ب و٣أ .

٤- المولوي : صحائف الأخبار ، جـ١ ، ورقة ٣أ .

وقد استفاد البحث من كتاب صحائف الأخبار عند الحديث عن العلاقات بين السلاجقة الروم والكرج[١] ، كما استفاد البحث مما كتبه المولوي عند دراسة موقف القوى الإسلامية في أرمينية والجزيرة الفراتية من الكرج[٢] .

ويأتي على رأس المراجع الحديثة التي اعتمدت عليها بصفة رئيسية في بحثي هذا كتاب دراسات في تاريخ الحروب الصليبية للدكتورة عفاف صبرة ، والذي أفردت فيه فصلاً هاماً عن تاريخ بلاد الكرج في الفترة الزمنية لموضوع البحث وكتاب الفتوحات الاسلامية لبلاد الكرج والكرج والأتراك السلاجقة في عهد داود الثاني للدكتور فايز نجيب اسكندر ، وكتاب أرمينية في التاريخ العربي لأديب السيد الوكيل ، وكتاب تاريخ الأمة الأرمنية لاستارجيان ، وكتاب تاريخ أرمينية لبول آميل ، وكتاب أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري للدكتور صابر دياب ، وكتاب بلاد الترك في العصور الوسطى للدكتورة زبيدة عطا ، وكتاب تاريخ قفقاسيا لمحمود شاكر ، وكتاب المغول في التاريخ للدكتور فؤاد الصياد ، وكتاب الدولة البيزنطية للدكتور السيد الباز العريني ، وكتاب بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي وكتاب بلاد الشام قبيل الغزو المغولي للدكتور علي عودة الغامدي ، وكتاب الجهاد ضد الصليبيين في المشرق الإسلامي للدكتور مسفر الغامدي .

---

١ انظر ما يلي ، ص١١١- ١١٢ .

٢ انظر ما يلي ، ص١٣٥ .

وتحتوي الرسالة علـى **مقدمـة وتمهيـد وأربعـة فصـول ، وخاتمـة .** واقتصرت المقدمة على توضيح أهمية الموضوع وعرض لأهم مصادر البحث وبيان فصوله ومباحثه .

أما التمهيد وعنوانه انتشار الإسلام في بلاد الكرج وظروف قيام مملكة الكرج البقراطية ، فقد ناقش في البداية أصل الكرج ، بالإضافة إلى موقع بلاد الكرج الجغرافي ، كما ناقش التمهيد انتشار النصرانية في صفوف هذا الشعب . وأثره على ارتباط الكرج بالسياسة البيزنطية .

كما عالج التمهيد موضوع حركة الفتح الاسلامي لبلاد الكرج في عصر الخلفاء الراشدين ، وجهود الأمويين والعباسيين في توطيد النفوذ الإسلامي في بلاد الكرج . ونشر الإسلام في هذه المنطقة .

كما عالج التمهيد ظروف قيام مملكة الكرج البقراطية ، وتناول كذلك ارتباط الكرج بالدولة البيزنطية .

أما الفصل الأول وعنوانه العلاقات بين السلاجقة ومملكة الكرج (٤٣١هـ- ٦٢٨هـ/ ١٠٤٠م -١٢٣١م) فتناول أولاً الحديث عن غارات قبائل السلاجقة التركمان على ممتلكات البيزنطيين في أرمينية ، وألقى الفصل الأضواء على جهود سلاطين السلاجقة الأوائل لإخضاع مملكة الكرج ، ولا سيما جهاد السلطان ألب أرسلان ضد الكرج ، حتى تم إخضاع مملكة الكرج في عهد ابنه السلطان ملكشاه ، الذي أجبر الكرج على الإعتراف بالسيادة السلجوقية على بلادهم .

كما ناقش الفصل الأول أحوال الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ وما وصلت اليه أحوال هذه الدولة من

ضعف نتيجة النزاع الذي اندلع بين أبناء البيت السلجوقي حول من يخلفه على عرش السلطنة السلجوقية ، كما أوضح الفصل ما ترتب على هذا النزاع من نتائج بالنسبة للكرج وامتناعهم عن دفع الجزية للسلاجقة ، بالإضافة الى امتداد نفوذ الكرج على حساب ممتلكات سلاجقة العراق وإيران .

وأوضح الفصل الأول أيضاً العلاقات بين سلاجقة الروم والكرج وألقى الأضواء على جهاد السلطان ركن الدين سليمان ضد الكرج ، كما أشار الى ما وصلت اليه أحوال إمارة أرزن الروم السلجوقية من ضعف وهوان في علاقاتها تجاه الكرج ، حتى أن مغيث الدين طغرل صاحب أرزن الروم قام بتنصير أحد أولاده ليتزوج من ملكة الكرج .

أما الفصل الثاني وعنوانه علاقات القوى الإسلامية في أرمينية وشروان والجزيرة الفراتية وأذربيجان مع الكرج (٤٨٥هـ-٦٢٨هـ / ١٠٩٢م-١٢٣١م) فقد تناول الفصل في البداية موضوع سقوط تفليس بيد الكرج ، وناقش أطماعهم ومضايقاتهم لها قبل سقوطها بأيديهم ، كما أشار الفصل الى الجهود الكبيرة التي بذلها الملك طغرل بن محمد وايلغازي بن أرتق لانقاذ تفليس من أطماع الكرج ، كما تناول الفصل أيضاً موقف الكرج من أهالي تفليس .

كما ناقش الفصل الثاني أيضاً موقف الإمارات الإسلامية في أرمينية والجزيرة الفراتية مع الكرج ، وأشار الفصل الى أطماع الكرج في الاستيلاء على ممتلكات الأسرة الشدادية في آني ، كما أوضح الفصل الثاني دور الأرمن في سقوط آني بيد الكرج ، كما ألقى الفصل الأضواء

على الجهود الكبيرة التي بذلها أمير خلاط ناصر الدين سكمان الثاني وبقية زعماء القوى الإسلامية في أرمينية وبعض زعماء المسلمين في الجزيرة الفراتية ، في سبيل استرداد آني من الكرج .

كما ناقش الفصل الثاني أيضاً موقف أتابكية أذربيجان من الكرج وألقى الفصل الأضواء على جهود إيلدكز وابنة البهلوان لاسترداد آني من يد الكرج ، كما ناقش الفصل أيضاً النزاع بين أبناء البهلوان وأثره في امتداد نفوذ الكرج ، كما برهنت الدراسة على أن أبناء البهلوان تراجعوا عن القيام بأعباء حركة الجهاد ضد الكرج ، مما أدى الى ازدياد أطماع الكرج في إقليمي الران وأذربيجان .

أما الفصل الثالث وعنوانه العلاقات بين الدولة الأيوبية ومملكة الكرج (٤٩١هـ- ٦٢٨هـ / ١٠٩٧م-١٢٣١م) فقد تناول في البداية موقف الكرج من الحملات الصليبية قبيل قيام الدولة الأيوبية ، وألقت الدراسة الأضواء على أن انشغال القوى الاسلامية في بلاد الشام والجزيرة الفراتية بمقاومة حملات الغرب الأوربي وإماراته في بلاد الشام قد هيأ النجاح لحملات الكرج ضد القوى الاسلامية في أرمينية وأذربيجان .

كما تناول الفصل الثالث المراسلات التي تمت بين السلطان صلاح الدين والملكة الكرجية ثمارا ، كما تحدث الفصل أيضاً عن امتداد نفوذ الأيوبيين على أرمينية ، الأمر الذي أدى الى اصطدامهم مع الكرج .

أما الفصل الرابع وعنوانه جهود الدولة الخوارزمية في القضاء على مملكة الكرج (٥٩٠هـ-٦٢٨هـ / ١١٩٣م -١٢٣١م) . فقد ناقش أولاً الغزو المغولي وأثره على العلاقات الخوارزمية الكرجية ، وأوضح الفصل

أن الغزو المغولي أعاق الآمال الكبيرة التي كان يزمع أن يقوم بها السلطان علاء الدين محمد ضد الكرج .

كما ناقش الفصل الرابع أيضاً استيلاء السلطان جلال الدين منكبرتي في إعادة توحيد القوى الاسلامية على إيران وأثره على العلاقات الخوارزمية الكرجية ، ثم جهاد السلطان جلال الدين ضد الكرج وفتح تفليس .

كما تضمنت الرسالة خاتمة تحدثت عن أهم نتائج البحث بالإضافة الى مجموعة من الملاحق والخرائط التوضيحية .

وبعد : فإني أشكر الله سبحانه وتعالى على ما أولاني من نعمه الكثيرة ومنها إعداد هذا البحث ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وفي صحيفة حسناتنا يوم القيامة إنه سميع مجيب .

ولا يفوتني أن أسجل خالص شكري وعظيم امتناني لأستاذي **الدكتور / مسفر بن سالم بن عريج الغامدي** ، المشرف على هذه الرسالة لما بذله من جهود مضنية طيلة مراحل البحث ، ولما أبداه من توجيهات سديدة وإرشادات علمية قيمة كان لها أكبر الأثر في إخراج الموضوع على هذا الشكل ، فجزاه الله عني وعن طلابه خير الجزاء ، كما أتقدم بالشكر الجزيل لمعالي مدير جامعة أم القرى وعميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية وإلى المسؤلين بالمكتبة المركزية بالجامعة ، وشكراً لكل من أسدى لي نصحاً أو إرشاداً حول الموضوع من قريب أو بعيد ، ولكل من ساعدني في إعارة كتاب أو معلومة فله مني الشكر والتقدير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين ،،،

التمهيد

انتشار الإسلام في بلاد الكرج
وظروف قيام مملكة الكرج البقراطية

التمهيد

انتشار الإسلام في بلاد الكرج ، وظروف قيام مملكة الكرج البقراطية

يذكر الكرج أنهم أحفاد قارتلوس ، وأن اسمهم الأصلي قارتول نسبة إلى قارتلوس رأس الأمة الكرجية التي كان مقرها عند مفرق نهر الكر في سنة ٢١٠ قبل الميلاد ، وبذلك يكون اسم الكرج القومي هو قارتول وتكون كلمة كرج دخيلة عليهم وغريبة عنهم[١] .

أما بالنسبة لشكل كلمة كرج ، فيذكر أحد الباحثين المحدثين ، أن الكتب الإسلامية تطلق عليهم اسم الكَرج - بفتح الكاف الفارسية - ويضيف أن بلادهم تسمى كَرجستان أي بلاد الجورج[٢]. ولكن يصعب التسليم بهذا الرأي لأن بعض الكتب المتخصصة في البلدان والأنساب تطلق عليهم اسم الكُرْج[٣] - بضم الكاف وتسكين الراء - ، بالإضافة إلى أن إطلاق اسم كَرج - بفتح الكاف - عليهم قد يوقع الخلط والالتباس بين

١- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٢٢ . ونهر الكر : ينبع من جبل الديلم - يسمى جبل قالبولا - ويمر بمدينة تفليس ، ويمر بجنوب شروان ويصب في بحيرة طبرستان . انظر العمري : مسالك الأبصار ، جـ١ ، ص٨٥ .

٢- عبدالنعيم حسنين : دولة السلاجقة ، ص١٠٤ ، حاشية رقم(٢) .

٣-ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٥٠٦ ؛ ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، جـ٣ ، ص٩٠ ؛ البغدادي : مراصد الأطلاع ، جـ٣ ، ص١١٥٥ . وتطلق المصادر الإسلامية على بلادهم تسميات مختلفة ، مثل : جرزان أو خزران أو جرجين . انظر فايز نجيب إسكندر : الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص٧ ، الحاشية رقم (١) .

هذا الشعب النصراني ومدينة كَرَج في إيران[١] . لذلك اخترنا اسم كُرْج – بضم الكاف وتسكين الراء – وهو الاسم الذي اعتمدناه في هذه الدراسة .

أما بالنسبة للبيزنطيين فيطلقون عليهم اسم الإيبريين[٢] . بينما يطلق عليهم المؤرخ يحيى بن سعيد الأنطاكي اسم الجرجان[٣] .

أما ما ذكره ابن الأثير من أن الكرج هم الخزر[٤] . فلا يمكن التسليم به للأسباب التالية :–

أولاً : ذكر ابن خلدون أن الكرج هم أبناء عمومة الأرمن ، وأضاف بأن الخزر ينسبون إلى التركمان ، ولم يوافق ابن الأثير في قوله السابق[٥] .

ثانياً : ذكر ياقوت الحموي أن المؤرخ المسعودي أطلق على هذا الشعب اسم

١– انظر الفصل الأول ، ص٧٤ . وكرج انظر ترجمتها في الفصل الأول ، ص٧٤، حاشية رقم(١).

٢– قسطنطين بورفيروجنيتوس : إدارة الإمبراطورية البيزنطية ، ص١٦٥ .

٣– يحيى بن سعيد الأنطاكي : التاريخ المجموع ، ص٢٣٩ .

٤– ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص٢٩٣ . والخزر : هم طراز قبلي أو شبه قبلي غير سامي ، نزح من أواسط آسيا إلى ما يسمي فيما بعد بـ (خزريا) أو إقليم الخزر ، بين المجرى الأدنى لنهر الفولجا والمنحدرات الشمالية للقوقاز ، وحول بحر آزوف وغرباً حتى أطراف أوروبا الشرقية وسواحل البحر الأسود ، وكانوا في مطلع العصور الوسطى لا يزالون يحتفظون بديانتهم الشامانية ، ثم اعتنق الكثير منهم المسيحية ، وقرب منتصف القرن الثامن الميلادي وفي وقت معين من تقدمهم اعتنق ملكهم ونبلاؤهم الديانة اليهودية . انظر محمد الشيخ : الخزر وعلاقاتهم بالامبراطورية البيزنطية (بحث منشور في مجلة كلية العلوم الإجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الرابع ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، الرياض) ،ص٣٤٩ – ٣٥٠ .

٥– ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون،جـ٥ ،ص٥٨،١٤٨ .ولمزيد من التفاصيل عن الخزر.انظر ابن فضلان.رسالة ابن فضلان في وصف الرحلات إلى بلاد الترك والخزر والروس ،ص١٩١–١٩٤ .

الكرج ، وذكر أن ملكهم يسمى برزينان[١] .ومن الجدير بالذكر أن المسعودي تحدث بإسهاب عن مملكة الخزر[٢] .

ثالثاً : ذكر ابن حوقل أن الديانة الرسمية لمملكة الخزر كانت الديانة اليهودية[٣] . بينما كان الكرج يعتنقون النصرانية على المذهب الأرثوذكسي[٤] . ولقد تأسست كنيسة جورجيا في مستهل القرن الرابع الميلادي ، وقد ظلت هذه الكنيسة ترتبط بالكنيسة اليونانية وتعتبر إحدى فروعها ، على الرغم من أن بطريرق الكنيسة الكرجية أعلن انفصاله عنها منذ منصف القرن السادس الميلادي[٥] .

أما بالنسبة للموقع الجغرافي لبلاد الكرج ، فهي تضم الأراضي التي يطلق عليها المؤرخون المسلمون اسم أرمينية الثانية[٦] ، والتي تقع حول المجرى الأعلى لنهر الكر،أي في الشمال الغربي لأرمينية ، وتطل على البحر الأسود،

١- ياقوت : معجم البلدان،جـ٤،ص٥٠٦ .وانظر أيضاً المسعودي،مروج الذهب، جـ١ ، ص١٩٢ .

٢- المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ١ ، ص١٧٨-٢٠٠ .

٣- ابن حوقل : صورة الأرض ، ق٢ ، ص٣٣٠ . وقد ذكر المسعودي أن ملوك الخزر اعتنقوا الديانة اليهودية في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد . انظر المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ١ ، ص١٧٨ .

٤- استارجيان : تاريخ الأمة الأرمنية ، ص١٨٩ . ولمزيد من التفاصيل عن اعتناق الكرج للديانة النصرانية . انظر فايز نجيب إسكندر : الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص٢٨-٣١ .

٥- أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص١١٧ - ١١٨ .

٦- أرمينية الثانية : تشمل جرزان وصغد بيل وباب فيروز قباذ واللكز . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص١٦١ ؛ أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٣٨٧ .

وتشمل أيضاً بلاد الأبخاز ، وكانت قصبتها تفليس[١] .

وبلاد الكرج في وقتنا المعاصر تضم مجموعة من البلاد هي :

١- جمهورية جورجيا : وعاصمتها مدينة تفليس ، التي تقع على نهر الكر .

٢- أبخازيا : جمهورية تقع شمال غربي جورجيا على ساحل البحر الأسود ، وعاصمتها مدينة سُخومِ[٢].

٣- آجاريا : تقع على ساحل البحر الأسود ، وعاصمتها مدينة باطوم[٣] .

ويبدو أن اعتناق الكرج للنصرانية على المذهب الأرثوذكسي كان السبب الرئيسي في ارتباط الكرج بالسياسة البيزنطية ، حتى أنهم اشتركوا مع

١- فايز نجيب إسكندر : الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص١٥ . وبلاد الأبخاز : اسم ناحية من جبل القبق المتصل بباب الأبواب ، وهي جبال صعبة المسلك وعرة لا مجال للخيل فيها ، تجاور بلاد اللان ، يسكنها أمة من النصارى يقال لهم الكرج . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٨٥ . وهي مدينة على جبل على شاطيء بحر القرم وتقع شرق سخوم . انظر أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٣٨٨ . وتفليس بلد بأرمينية الأولى وقيل بأران ، وهي قصبة ناحية جرزان قرب باب الأبواب ، وهي مدينة قديمة أزلية ، يجري في وسطها نهر الكر ، وفيها غروب تطحن ، وعليها سور عظيم وبها حمامات شديدة الحر لا توقد ولا يستقى لها ماء . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٤٢ .

وهي قصبة بلاد الكرج وخاصة الجزء الشرقي المعروف باسم خرثليا وتعرف هذه المدينة في لغة الكرج باسم تفليسي TPHILISI أو تبليسي THBILISI . والشائع أن هذا الاسم مشتق من كلمة تفيلي TPHILI ومعناها حار، وفي ذلك إشارة إلى منابع تفليس الحارة . انظر صابر دياب : أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري ، ص٢٧-٢٨ ، الحاشية رقم(٦) من ص٢٧ .

٢- سُخومِ : بلد على الجانب الشرقي الجنوبي من بحر القرم وأهلها مسلمون وهي شرقي طرابزون وبينهما في البر مسيرة ثلاثة أيام وهي في مستو من الأرض ، وبينها وبين بلاد الكرج يوم واحد . انظر أبو الفداء . تقويم البلدان ، ص٣٨٩ .

٣- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ص٤٢٤.

الإمبراطور البيزنطي هرقل (٦١٠-٦٤١م) في حروبه ضد الفرس[١] .

وعندما تمكن المسلمون الفاتحون من فتح ببلاد الشام والعراق ، وجهوا اهتمامهم منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣هـ / ٦٣٤-٦٤٤م) نحو منطقة القفقاس ، وذلك تحقيقاً لهدفهم السامي في نشر الإسلام في أنحاء المعمورة ، ففي سنة ٢٢هـ/٦٤٢-٦٤٣م قاد سراقة بن عمرو[٢] حملة كبيرة انطلقت من أذربيجان وتوجهت لفتح الباب وقد تمكن سراقة من فتح هذه المنطقة ، ثم وجه اهتمامه لفتح بلاد الكرج ، فقد أمر حبيب بن مسلمة الفهري[٣] بالتوجه لفتح تفليس ، إلا أن حبيباً لم يتمكن من فتحها[٤] . ويذكر أحد الباحثين أن السبب في إخفاق

١- قسطنطين بورفيرو جنيتوس : إدارة الإمبراطورية البيزنطية ، ص١٦٦ .

٢- سراقة بن عمرو : قال ابن عبد البر : ذكروه في الصحابة ولم ينسبوه فيهم ، وسراقة بن عمرو هو الذي صالح سكان أرمينية والأرمن على الباب والأبواب ، وكتب إلى عمر بذلك ، ومات سراقة هناك ، واستخلف عبدالرحمن بن ربيعة فأقره عمر على عمله ، وكان سراقة يدعى ذا النور . انظر الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ١٥ ، ص١٣٢ .

٣- حبيب بن مسلمة الفهري : هو حبيب بن مسلمة بن مالك بن وهب بن ثعلبة القرشي ، كان يقال له حبيب بن الروم لكثرة مجاهدته لهم،ولاه عمر بن الخطاب أعمال الجزيرة الفراتية . إذ عزل عياض بن غنم وضم إليه أرمينية وأذربيجان،وكان فاضلاً مجاب الدعوة مات بالشام وقيل بأرمينية سنة ٤٢هـ وكنيته أبو عبدالرحمن . انظر الصفدي:الوافي بالوفيات ، جـ١١،ص٢٩٠ .

٤- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٤ ، ص١٥٧ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٣ ، ص١٤ . وأذربيجان : ناحية واسعة بين قهستان وأران بها مدن كثيرة وقرى وجبال وأنهار كثيرة . انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ،ص٢٨٤.والباب:مدينة باب الأبواب على شعب من شعاب جبل القبق ، بناها كسرى أنو شروان وجعلها حاجزاً بين بلاده وبين بقية شعوب القبق . انظر الحميري : الروض المعطار ، ص٧٧ .

حبيب بن مسلمة في فتح تفليس يرجع إلى دخول فصل الشتاء القارس وهطول الثلوج التي وقفت حائلاً أمام المسلمين[١] .

وفي عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣-٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٦م) أرسل في سنة ٢٥هـ/٦٤٥م قوات كبيرة بقيادة حبيب بن مسلمة الفهري لاستكمال فتح أرمينية وبلاد الكرج ، وقد تمكن حبيب من فتح قيلقيا ، ثم توجه إلى خلاط فأتاه بطريق خلاط وطلب منه الأمان ، فصالحه حبيب على دفع الجزية[٢] .

وبعد أن تمكن حبيب من إخضاع خلاط ، وجه اهتمامه للاستيلاء على جرزان[٣] - بلاد الكرج - . ويذكر البلاذري - ومن نقل عنه - أن حبيب عندما وصل إلى أحد الأنهار ، أمر قواته بأخذ قسط من الراحة ، حيث حطوا رحالهم ، وقاموا بتسريح خيولهم ودوابهم ، وبينما هم في استرخاء هجم عليهم قوم من أهل المنطقة واعملوا فيهم سيوفهم ،

١- فايز نجيب إسكندر : الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص٤٢ .

٢- البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٠٢-٢٠٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٣ ، ص٤٣ . وقيلقيا : بأرمينية العظمى من نواحي خلاط ثم من نواحي ملاذكرد . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٣٣٩ وهي منطقة جبلية تقع بين نهر أرسناس والفرات الغربي . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية:ص١٤٩.وخلاط:مدينة كبيرة مشهورة قصبة بلاد أرمينية ، ذات خيرات واسعة وثمرات يانعة ، بها المياه الغزيرة والأشجار الكثيرة ، وأهلها مسلمون ونصارى . وكلام أهلها العجمية والأرمنية والتركية . انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٥٢٤ . وتقع في غرب بحيرة وان . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٨ .

٣-جرزان:اسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها تفليس . انظر ياقوت : معجم البلدان،جـ٢،ص١٤٥.

فاضطرب المسلمون ، وقاموا بالاحتماء في بعض الجبال المجاورة ، وتركوا خيولهم بعد أن عجزوا عن إلجامها ، ثم عادوا بعد انسحاب هؤلاء الأعداء ، وجمعوا ما قدروا عليه من خيولهم ، ولحقوا بالمغيرين ، ففتكوا بهم ، واسترجعوا ماكانوا قد أخذوه منهم ، ومنذ ذلك اليوم أطلق المسلمون على هذا الموضع اسم ((ذاتَ اللّجم)).[١]

ويبدو أن انتصار المسلمين في هذه الموقعة قد شجع حبيب بن مسلمة على مواصلة زحفه في بلاد الكرج ، الأمر الذي أدى إلى إعلان الكرج خضوعهم للمسلمين ، فقد أرسل بطريرق جرزان مبعوثاً من قبله يدعى نيقولا ثيوفيلاس Nicolas Theophilas لمقابلة حبيب بن مسلمة الفهري ، وقد طلب رسول الكرج الأمان من حبيب الذي أعطاه كتاب الأمان الذي جاء فيه : ((أما بعد فإن نُقلي رسولكم قدم عليّ وعلى الذين معي من المؤمنين فذكر عنكم . أنا أمة أكرمنا الله وفضلنا ، وكذلك فعل الله وله الحمد كثيراً[٢] ، وصلى الله على محمد نبيه وخيرته من خلقه وعليه السلام ، وذكرتم أنكم أحببتم سلمنا ، وقد قَومت هديتكم وحسبتها من جزيتكم وكتبت لكم اماناً واشترطت فيه شرطاً فإن قبلتموه ووفيتم به وإلا فأذنوا

١- صابر ذياب : الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص٤٤ ، ٤٥ . وقد ذكر ابن الأثير أن الذين هاجموا المسلمين في هذه المنطقة كانوا من الروم . انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

٢- وردت هذه العبارة عند الطبري كالتالي : (وذكر تفلي عنكم أنا لم نكن أمة فيما تحسبون وكذلك كنا حتى هدانا الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأعزنا بالإسلام بعد قلة وذلة وجاهلية) . انظر الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٤،ص١٦٢ .

بحرب من ا لله ورسوله والسلام على من اتبع الهدى))[١] .

وبعد أن تمكن حبيب بن مسلمة الفهري من إخضاع بطريق جرزان للنفوذ الإسلامي ، واصل زحفه لفتح تفليس ، ولقد سارع أهالي تفليس إلى إعلان خضوعهم للمسلمين ، وطلبوا من حبيب الأمان ، فأجابهم إلى ذلك وكتب لهم كتاباً جاء فيه ((بسم ا لله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل طفليس ، من منجليس من جرزان القرمز ، بالأمان على أنفسهم وبيعهم وصوامعهم وصلواتهم ودينهم على إقرار بالصغار والجزية ، على كل أهل بيت دينار وليس لكم أن تجمعوا بين أهل البيوتات تخفيفاً للجزية ، ولا لنا أن نفرق بينهم استكثاراً منها ، ولنا نصيحتكم وضلعكم على أعداء ا لله ورسوله صلى ا لله عليه وسلم ما استطعتم ، وقرى المسلم المحتاج ليلة بالمعروف من حلال طعام اهل الكتاب لنا ، وإن انقطع برجل من المسلمين عندكم فعليكم أداؤه إلى أدنى فئة من المؤمنين إلا أن يحال دونهم ، وإن أنبتم وأقمتم الصلاة فإخواننا في الدين ، وإلا فالجزية عليكم ، وإن عرض للمسلمين شغل عنكم فقهركم عدوكم فغير مأخوذين بذلك ولا هو ناقضٌ عهدكم . هذا لكم وهذا عليكم . شهد ا لله وملائكته وكفى با لله شهيداً))[٢].

ويتضح من عهود الأمان التي أعطاها حبيب بن مسلمة للكرج على أن المسلمين كان هدفهم الأول هو نشر الإسلام في أرجاء المعمورة ، بالإضافة إلى أن المسلمين لم يثقلوا كاهل المعاهدين لهم ، ولم يستنزفوا أموالهم ، بل

١- البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٠٤ . وانظر أيضاً ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٤٢

٢- البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٠٤-٢٠٥ . وانظر أيضاً الطبري :تاريخ الرسل والملوك ،جـ٤ ، ص١٦٢-١٦٣ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٤٢-٤٣ .

على العكس من ذلك فإن الجزية التي فرضت لم تتعد ديناراً واحداً على كل أهل بيت مقابل حمايتهم ، مما يدل دلالة واضحة على ما يتمتع به المسلمون من تسامح تجاه اعدائهم .

وعندما تمكن حبيب بن مسلمة من بسط نفوذه على تفليس ، كلف الفقيه عبدالرحمن بن جزء السُلمي[١] بالقيام بنشر الإسلام في هذه المدينة ، وأمره بتعليم أهلها أصول الدين الإسلامي الحنيف الذي انتشر بينهم بسرعة كبيرة[٢] . ولقد حاولت التركيز على دراسة انتشار الإسلام في صفوف الكرج ، إلا أن المصادر لم تسعفنا بذلك .

وعلى الرغم من قلة المعلومات حول جهود المسلمين في نشر الإسلام بين الكرج ، إلا أن نسبة المسلمين الموجودة الآن في جمهورية جورجيا تدل على جهود كبيرة بذلها الدعاة المسلمون بين صفوف هذا الشعب الذي اعتنق النصرانية منذ وقت مبكر ، فنسبتهم الآن في جورجيا تقدر بحوالي ١٩٪ من مجموع السكان[٣] .

وفي العصر الأموي حرص الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (٤١-٦٠هـ/ ٦٦١-٦٨٠م) على العمل على اجتذاب قلوب السكان في أرمينية وبلاد الكرج للحكم الإسلامي ، لذلك قام بتعيين الأمير الأرمني ثيودور الرشتوني Theodore Rsntuni حاكماً على أرمينية وبلاد الكرج[٤] .

١- عبدالرحمن بن جزء السلمي : لم أقف له على ترجمة .

٢- الطبري:تاريخ الرسل والملوك ،جـ٤،ص١٦٢-١٦٣؛ ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٤٣

٣- محمود شاكر : تاريخ ققفقاسيا ، ص٦٢ .

٤- صابر دياب : أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري ، ص٣٨ .

وعندما استتب الأمن والسلام في أرمينية وبلاد الكرج بدأت جماعات المهاجرين العرب تزحف لتقيم في حواضرها ، ومن اهم المدن التي استقبلت أمواج الهجرة الأولى برذعة وتفليس وخلاط ودبيل ومنازكرد وأرجيش ، وقد استقر العرب أولاً في أرباض أقاموها إلى جانب هذه المدن ليكونوا عوناً للحاميات العربية فيها ، ثم ما لبثوا أن دخلوا تلك المدن واستقروا فيها ، وغدوا بعد أجيال جزءاً منها[١] .

وعقب وفاة الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة ٤٠هـ/٦٨٠م دبت الفتن والاضطرابات في الدولة الأموية ، الأمر الذي شجع الأرمن والكرج على التمرد ضد الحكم الإسلامي[٢] .

وعندما وصلت أنباء هذا التمرد إلى مسامع الأمويين قاموا بإرسال عدة حملات لإخضاع أرمينية للنفوذ الإسلامي ، وبرز في عهد الخليفة الأموي يزيد بن عبدالملك (١٠١-١٠٥هـ/٧٢٠-٧٢٤م) القائد المسلم الجراح بن عبدالله الحكمي[٣]،الذي وصل إلى تفليس ، وأقر أهلها على الأمان الذي منحهم إياه حبيب بن مسلمة الفهري[٤] . كما بذل جهوداً كبيرة للتصدي للخزر ، والقضاء على أطماعهم التوسعية في بلاد الكرج[٥] .

ويذكر المسعودي أن مدينة تفليس صارت مركز امدادات للقوات الإسلامية في حروبها ضد الخزر[٦] . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا . هو لماذا

١- أديب السيد : أرمينية في التاريخ العربي ، ص٧٧-٧٨ .

٢- عن الاضطرابات في الدولة الأموية وأثرها على النفوذ الإسلامي في أرمينية وبلاد الكرج ، انظر فايز نجيب إسكندر : الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص٦٩ - ٧٢ .

٣- الجراح بن عبدالله الحكمي : مقدم الجيوش فارس الكتائب أبو عقبة الجراح بن عبدالله الحكمي ، ولي البصرة من جهة الحجاج ثم ولي خرسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز ، وكان بطلاً شجاعاً ، مهيباً طوالاً ، عابداً قارئاً ، استشهد على يد الخزر في رمضان سنة ١١٢هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٥ ، ص١٨٩-١٩٠ .

٤- البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٠٥-٢٠٦ .

٥- صابر دياب : أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري ، ص٥٠ - ٥١ .

٦- المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ١ ، ص١٩٤ .

تعرضت القوى الإسلامية في بلاد الكرج لاعتداءات مستمرة من قبل الخزر ؟ ويبدو أن السبب الرئيسي في ذلك يرجع إلى أن بلاد الكرج كانت خاضعة لمملكة الخزر قبل وصول المسلمين إلى منطقة القفقاس[١] .

ولقد قام الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك (١٠٥-١٢٥هـ / ٧٢٤ - ٧٤٣م) بإرسال حملة ضخمة بقيادة مروان بن محمد[٢] ، وقد توجهت هذه الحملة لفتح بلاد الخزر وقد تمكن مروان من فتح مناطق كبيرة من بلاد الخزر[٣] .

كما قام مروان بن محمد بتعيين أشوط البجراطي Ashot Bagrattd[٤] من الأسرة البقراطية Bagratte حاكماً على أرمينية يحكمها تحت النفوذ الإسلامي.[٥]

وفي العصر العباسي الأول قام الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ /٧٥٤ - ٧٧٥م) بتعيين يزيد بن أسيد السلمي والياً على أرمينية ، ولقد قام يزيد بفتح إقليم الران،كما أنه فتح باب الهجرة العربية والاستيطان في أرمينية على أوسع مداها، وكانت الأقاليم الثلاثة (أرمينية وأذربيجان والران) قد أصبحت إقليماً أو ولاية واحدة[٦]

ولقد تعرضت أرمينية في سنة ١٤٢هـ /٧٥٩م لغارات عنيفة من قبل الخزر ، الذين وصلت غاراتهم حتى مدينة تفليس ، و لم يتمكن الوالي العربي يزيد بن أسيد السلمي عن التصدي لهم ، وقتل في المعارك ، وعين الخليفة المنصور أخيه العباس بن محمد والياً على الجزيرة الفراتية والثغور[٧] .

١- البلاذري : فتوح البلدان ، ص١٩٧؛ ياقوت : معجم البلدان ،جـ١ ، ص١٩٢ .

٢- مروان بن محمد : حكم الدولة الأموية في الفترة (١٢٧-١٣٢هـ / ٧٤٤-٧٥٠م) انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، جـ١ ، ص٩ .

٣- البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٠٩-٢١١ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٤ ، ص٢١٥-٢١٦ ؛

٤- أشوط : هو جد ملوك أرمينية وجورجيا فيما بعد ، وقد لقبه مروان بلقب بطريق Patricc وقد توفي سنة ٧٦١م في عهد المنصور وابنه سمباط هو جد ملوك أرمينية ، بينما ابنه فاساك هو جد ملوك جورجيا . انظر شاكر مصطفى : دولة بني العباس ، جـ١،ص٣٦٢ ، حاشية رقم(٢) .

٥- صابر دياب : أرمينة من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري ، ص٥٣

٦- أديب السيد : أرمينية في التاريخ العربي ، ص ١٠٥- ١٠٦ .

٧- أديب السيد : أرمينية في التاريخ العربي ، ص ١٠٧- ١٠٨ .

ولقد شجعت غارات الخزر على أرمينية على قيام الفتن والاضطرابات في هذه المنطقة فلقد قام الأرمن بقيادة موشيل ماميوكونيان بإعلان التمرد ضد الحكم العباسي في أرمينية ، ولم يتمكن الوالي المسلم في أرمينية الحسن بن قحطبة[١] من القضاء على هذا التمرد فاستنجد بالخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الذي لم يتوان عن إرسال قوات ضخمة قدرت بثلاثين ألف مقاتل تحت قيادة عامر بن إسماعيل الحارثي[٢]، وقد تمكنت القوات العباسية من إنزال هزائم ساحقة بالأرمن في موقعتي أرجيش[٣] وبُغروند[٤] وذلك في شهر جمادي الأول سنة ١٥٥هـ / الموافق شهر إبريل سنة ٧٧٢م[٥].

وعقب هذه الهزيمة تمكن فاساك Vassak شقيق سمباط السابع وحفيد أشوط المعروف بأشوط الضرير من الفرار بصحبة أشوط مساكر Ashot Msaker ابن شقيقة سمباط السابع بجراط إلى أرمينية الشمالية الغربية المجاورة للإمبراطورية البيزنطية . ثم التجأ فاساك إلى أعالى بلاد الكرج في مقاطعة

١- الحسن بن قحطبة الطائي : أحد القادة الشجعان المقدمين في بداية العصر العباسي ، استخلفه الخليفة العباسي المنصور سنة ١٣٦هـ على أرمينية ثم استقدمه منها سنة ١٣٧هـ لمساعدة أبو مسلم في قتال عبدالله بن علي ، وتوفي في بغداد . انظر خير الدين الزركلي : الأعلام ، جـ٢ ، ص٢٢٩ .

٢- عامر بن إسماعيل : لم أقف له على ترجمة .

٣- أرجيش:بلدة صغيرة غير مسورة ، وهي عن خلاط في جهة الشرق على مسيرة يومين ، ومن بحيرتها يجلب إلى البلاد السمك المعروف بالطريخ. انظر أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٣٩٥ ؛ وهي تقع على الساحل الشمالي لبحيرة وان ، وكثيراً ما عرفت البحيرة باسمها ، وتشتهر بزراعة القمح . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٨٨ .

٤- بُغروند : بلد معدود في أرمينية الثالثة . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٥٥٣ .

٥- البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢١٢ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، جـ٢،ص٣٧٢ .

قلارجيت عاصمة أرتانوج حيث استضافه القربلاط جوارام الثالث أمير قلارجيت ، بعد ذلك أقطعه البيزنطيون مقاطعتي شولافر وأردهن الواقعتين في المنطقة الغربية من بلاد الكرج[١]

وقد تزوج فاساك من أميرة من أسرة جوراميد Guaramide الكرجية، وأنجب منها أدرناس والد أشوط ، وتأسست بذلك أسرة بجراط الكرجية[٢] .

وكان أمراء الأسرة البجراطية يعترفون بالسيادة البيزنطية على بلادهم، ولم يعترفوا بالسيادة الإسلامية على بلادهم[٣]. وعلى الرغم من ذلك فإن الكرج – فيما يبدو – لم يشكلوا أي خطر يذكر على النفوذ الإسلامي في أرمينية وبلاد الكرج في العصر العباسي الأول .

وفي عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م) نصب يوسف بن راشد السلمي والياً على أرمينية ، الذي قام بنقل جماعة من النزارية ليكونوا عوناً له في مواجهة اليمانية التي قويت شوكتهم[٤] .

كما عين الخليفة هارون الرشيد أحمد بن يزيد بن أسيد السلمي والياً على أرمينية بعدة عزل يحيى الحرشي[٥] .

وفي أواخر عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد عين يزيد بن مزيد الشيباني والياً على أرمينية ، ولقد تمكن يزيد من التصدي لغارات الخزر على هذه المنطقة كما أن ولاية يزيد تميزت بقدوم جماعات غفيرة من المهاجرين العرب إلى أرمينية[٦] .

أما التهديد الخطير الذي تعرض له النفوذ العباسي في بلاد الكرج فكان على

١- فايز نجيب إسكندر : الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص٨٣-٨٤ ، وقلارجيت وأرتانوج وشولافر لم أقف لهما على ترجمة .

٢- فايز نجيب إسكندر : الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص٨٤ .

٣- فايز نجيب إسكندر : الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص ٨٤.

٤- أديب السيد : أرمينية في التاريخ العربي ، ص١١٠ .

٥- أديب السيد : أرمينية في التاريخ العربي ، ص١١٢ .

٦- أديب السيد : أرمينية في التاريخ العربي ، ص١١٤ – ١١٥.

يد الخزر ، الذين قاموا في سنة ١٨٣هـ / ٧٩٩م باجتياح بلاد الكرج واستولوا على تفليس ، ولكن الخليفة العباسي هارون الرشيد تمكن من صدهم ، وأعاد السيطرة العباسية على بلاد الكرج[١] .

وفي أواخر حكم هارون الرشيد ازدادت حدة العصبية القبلية في الأقاليم الثلاثة (أرمينية وأذربيجان والران) ونشط أصحاب المطامع من الأمراء والقادة العرب مثل إسماعيل بن شعيب[٢] مولى الخليفة الأموي مروان بن محمد الذي تمكن من بسط نفوذه على تفليس،وأعلن انبعاث الحكم الأموي على أقصى الشمال من الدولة العباسية[٣] .

ولقد قام إسماعيل بن شعيب في سنة ١٩٣ هـ ١٩٤ هـ / ٨٠٩ م بإعلان التمرد ضد الخلافة العباسية ، الأمر الذي اضطر الخليفة العباسي الأمين (١٩٣-١٩٨/٨٠٩-٨١٣) إلى إرسال قوات كبيرة لإخضاع هذه الإمارة ، وقد تمكنت هذه القوات من إجبار الأمير إسماعيل على إعلان ولائه وطاعته للعباسيين[٤].ويذكر أحد الباحثين أن هذه الحادثة دفعت الخليفة العباسي الأمين إلى الاعتماد على الأسرة البقراطية في جورجيا[٥] .

ولقد بلغت الإمارة الأموية في تفليس أوج ازدهارها في عهد الأمير إسحاق بن إسماعيل[٦] الذي بذل جهوداً كبيرة لتوطيد نفوذ المسلمين في بلاد الكرج

١- أديب السيد : أرمينية في التاريخ العربي ؛ ص١١٣-١١٤.

٢- إسماعيل بن شعيب : هو أحد موالي الخليفة الأموي مروان بن محمد . انظر اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص٤٣٥ .

٣- أديب السيد : أرمينية في التاريخ العربي ، ص١١٥ .

٤- اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص٤٣٥ .

٥- صابر دياب : أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري ، ص١٠٠ .

٦-إسحاق بن إسماعيل : مولى بني أمية ، خرج بتفليس سنة سبع وثلاثين وما ئتين حين وثب أهل أرمينية بعاملهم يوسف بن محمد بن يوسف ، وكان من جهة المتوكل ، فندب المتوكل لحرب إسحاق هذا بغا الكبير فظفر به وقتله ، وبعث برأسه إلى المتوكل ، فدخل إليه الرسول وبين يديه علي بن الجهم فقام يخطر بين يدي الرسول ويرتجز : -----

(وكان مستظهراً بمن معه من المسلمين على من حوله من الأمم ،وهم منقادون إلى طاعته وأداء الجزية إليه)[١] .

وفي عهد الخليفة العباسي المأمون (١٩٨-٢١٨هـ / ٨١٣-٨٨٣م) عين عبدالأعلى بن أحمد بن يزيد السلمي والياً على أرمينية[٢] .

ولقد استغل اسماعيل بن شعيب انشغال الخليفة العباسي المأمون بإخماد ثورة بابك الخرمي وتمكن من بسط نفوذه على جرزان – بلاد الكرج – ، وبقي متغلباً على جرزان حتى نهاية عهد المعتصم[٣] .

وعلى الرغم من أن الأمير إسحاق بن إسماعيل كان يعترف بالسيادة العباسية على مملكته ، إلا أن الخليفة العباسي المتوكل (٢٣٢ – ٢٤٧ / هـ ٨٤٧ – ٨٦١ م) صمم على القضاء على هذه الإمارة، فقام في سنة ٢٣٧ هـ / ٨٥٢ م بإرسال قوات كبيرة تحت قيادة[٤] بغا الكبير وقد تمكن بغا من القضاء على الفتن والاضطرابات التي اندلعت في أرمينية ، ثم

====== أهلاً وسهلاً بك من رسول   جئت بما يشفي من الغليل

برأس إسحاق بن إسماعيل

انظر الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ٨ ، ص٤٠٤ .

١- المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ١ ، ص٢٠٣ . وانظر أيضاً ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص١٤٦ .

٢- أديب السيد : أرمينية في التاريخ العربي ، ص ١٢١ .

٣- أديب السيد : أرمينية في التاريخ العربي ، ص ١٣٠ .

٤- بغا الكبير : أبو موسى التركي ، أحد قواد المتوكل وأكبرهم له فتوحات ووقعات ، وكان مملوكاً للوزير الحسن بن سهل ، وقد باشر عدة حروب وما جرح قط وفيه دين وإسلام ، وتوفي سنة ٢٥٠ هـ ، وقيل في سنة ٢٤٨ هـ . انظر الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ١٠ ، ص١٧٢ – ١٧٣ .

فأنهالت عليها الأسهم النارية فاحترقت المدينة بأسرها ، لأن مبانيها كانت مبنية من خشب الصنوبر - شديد الاشتعال - وقتل عدد كبير من سكانها ، وكان من ضمن القتلى أميرها إسحاق بن إسماعيل ، وذلك في سنة ٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م[1].

ويذكر المسعودي ، ان قيام بغا الكبير بإحراق تفليس والقضاء على الإمارة الأموية فيها ، كان خطاءً فادحاً ارتكبته الخلافة العباسية ، لأن النفوذ الإسلامي في بلاد الكرج بدأ في التدهور والانهيار بعد هذه الحادثة ((فانخرقت هيبة المسلمين من ثغر تفليس من ذلك الوقت إلى هذه الغاية ، فامتنع من جاورهم من الممالك من الإدغان لهم بالطاعة ، واقتطعوا الأكثر من ضياع تفليس ، وانقطع الوصول من بلاد الإسلام إلى ثغر تفليس))[2].

وعلى الرغم من قيام بغا الكبير بإحراق تفليس وتدميرها ، إلا أن المسلمين في بلاد الكرج - فيما يبدو - أدركوا أهمية ما تتمتع به هذه المدينة من موقع جغرافي ، تؤهلها لتكون قاعدة مهمة للنفوذ الإسلامي في بلاد الكرج ، لذلك شرعوا في تعميرها ، وشيدوا حولها سورين من طين ، وجعلوا لها ثلاثة أبواب.[3] كما حققت هذه المدينة إزدهاراً إقتصادياً كبيراً ، فقد وصفها ابن حوقل بقوله ((وهي خصبة حصينة

١- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢١٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ، حـ ٥ ص ٢٩١ - ٢٩٢ ؛ ابن العبري تاريخ الزمان ، ص ٣٨ .

٢- المسعودي : مزوج الذهب ومعادن الجوهر ، حـ ١ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ . وانظر أيضاً ياقوت : معجم البلدان حـ ٢ ، ص ١٤٦ .

٣- الاصطخري: المسالك والممالك ، ص ١١٠ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ق ٢ ، ص ٢٩٢ .

كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار،يزيد رخاؤها على سائر البلدان الراخية والنواحي الرفهة الخصبة[١]. كما وصف سكانها بقوله : (وأهلها قوم فيهم سلامة وقبول للغريب وميل إلى الطارىء عليهم وأُنس بمن له أدنى فهم وانتساب إلى شيء من الأدب ، وهم أهل سنة محضة على المذاهب القديمة يكبرون علم الحديث ويعظمون أهله).[٢]

ولقد قامت في تفليس إمارة إسلامية عرفت باسم إمارة بني جعفر[٣] واستمر حكم هذه الأسرة لتفليس والمناطق المجاورة لها حتى العصر السلجوقي[٤] .

أما بالنسبة للكرج ، فقد حرصت الدولة البيزنطية على بقائهم ضمن دائرة النفوذ البيزنطي ، فقد قام الإمبراطور البيزنطي ليوالسادس Leo VI (٢٧٣ - ٢٩٩ أو ٣٠٠ هـ / ٨٨٦ - ٩١٢ م) بمنح الحاكم الكرجي - من الأسرة البقراطية-اندرناس الرابع . Andrmase IV (٢٧٨ - ٣١٠هـ/٨٩١ - ٩٢٣ م)[٥] لقب القربلاط Curopalate[٦].

١- ابن حوقل : صورة الأرض ، ق٢ ، ص ٢٩٢.

٢- المصدر السابق ، نفس الصفحة .

٣- بنو جعفر : لم أقف على سلسلة نسب خاصة لهذه الأسرة .

٤- انظر الفصل الأول ، ص ٦٥ .

٥- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٥٣٦ .

٦-قسطنطين بورفيرو جنيتوس : ادارة الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٦٦ .والقربلاط : معناها صاحب البلاط . انظر دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٦ ، مادة تفليس، ص١٩٢. وقد شملت قائمة التشريفات البيزنطية ثمانية عشر لقباً تشريفيا ، وكان اللقب الثامن عشر هو لقب قيصر ====

وقد وعـد الإمـبراطور البـيزنطي رومـانوس الأول ليكـابينوس Romanus I Lecapenus (٣٠٧ - ٣٣٣ هـ / ٩١٩ - ٩٤٤م) الحـاكم الكرجـي ادرناس (بأنه إذا ظل على هذه الحـال مـن الإخـلاص والتبعيـة والعرفـان بالجميل فسوف يظل في الحكم والسـلطة هـو وأولادة مـن بعـده دون أن يزعزع عرشه أحد . ولا ينقص الإمبراطور من حدود بلاده)[١].

كمـا وصـف الإمـبراطور البـيزنطي قسـطنطين بورفـير وجنيتـوس Constantine Porphyrogentius (٣٠١ - ٣٤٧ هـ/٩١٣-٩٥٩م) قربـلاط إيبريا بأنه (خادمنا المخلص وصديقنا الذي نثق بنزاهته وعدله)كما منحـه ملكية جميع الأراضي الإسلامية التي تتمكن قواته من الاستيلاء عليها [٢] .

وعلى الرغم من ارتباط الكرج بالسياسة البيزنطية ، إلا أن ذلـك لم يحـل دون إنضمـام الحـاكم الكرجـي داود الأول David I (٣٨٢-٣٩٢هـ/٩٠٠-١٠٠٠ م)[٣] إلى بارداس فوقاس Bardas Phoucas في تمرده ضد الإمبراطور البيزنطي باسـيل الثـاني Basil II (٣٦٦-٤١٦ هـ/ ٩٧٦-١٠٢٥ م) ، وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن الإمبراطور البيزنطي من القضاء على هذا التمرد في سنة ٣٧٩ هـ /٩٨٩ م[٤] .

== وهو أعلى تلك المراتب ، اما لقب القربلاط فكان في المرتبه السادسة عشـرة . انظـر فـايز نجيـب ص ١٦٩ ، الحاشية رقم (١٦٩) .

١- قسطنطين بورفيرو جنيتوس : إدارة الإمبراطورية البيزنطية ، ص١٧٠.

٢- قسطنطين بورفيرو جنيتوس : إدارة الإمبراطرية البيزنطية ، ص ١٧١ - ١٧٢.

٣- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٣٢ .

٤- السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص٦١٢ . ولمزيد من التفاصيل عن تمرد بارداس قوقاش انظر السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص٦٠٧ - ٦١٤ .

وعقب تمكن الإمبراطور باسيل الثاني من القضاء على ثورة بارداس فوقاس Bardas Phoucas ، صمم على تأديب الملك الكرجي ، فأرسل حملة ضخمة انتهكت ممتلكات داود القربلاط الذي سارع إلى إعلان ولائه وطاعته للإمبراطور البيزنطي ، كما تعهد داود بأن تجري إضافة ممتلكاته بعد موته إلى ممتلكات الإمبراطور البيزنطي ، فوافق الإمبراطور باسيل الثاني على عرض داود ، وأنعم عليه بلقب القربلاط[١] .

ومما يجدر ذكره أن داود القربلاط David Curopalate ، قدم مساعدات عسكرية كبيرة للملكة الباقرادونية Bagradoniah في حروبها ضد المسلمين ، فقد قام داود بإرسال قوات عسكرية كرجية لمساعدة الملك الأرمني جاجيك الأول Gagiki I (٣٧٩-٤١١هـ/٩٨٩-١٠٢٠م)[٢] في حروبه ضد المسلمين[٣] . مما يدل دلالة واضحة على أن الخلافات الدينية بين الكرج والأرمن لم تحل دون قيام تحالف صليبي بين الدولتين بهدف القضاء على الوجود الإسلامي في أرمينية .

وعندما توفي داود القربلاط سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠٠م خلفه على

١- السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص٦١٨ - ٦١٩ ؛ فايز نجيب إسكندر : أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة في مصنف أريستاكيس اللستيفرتي ، ص٣١ .

٢- بورفيرو جنيتوس : إدارة الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٣٩ ، من وضع المترجم .

٣- أنطون خانجي : مختصر تواريخ الأرض ، ص١٩١-١٩٢ ، استارجيان : تاريخ الأمة الأرمنية ، ص١٩١ . وعن المملكة الباقرادونية انظر مروان المدور : الأرمن عبر التاريخ ص٢٠٩-٢٢١ .

عرش الكرج ابن أخيه بقراط الثالث Bagrat III (٣٩٢-٤٠٥هـ / ١٠٠٠-١٠١٤م)[١] ، وعندما علم الإمبراطور باسيل الثاني Basil II بوفاة داود القربلاط David Curopalate سارع بالاستيلاء على ممتلكاته، وقام بالإشراف على شئونها ، حيث عين حكاماً من البيزنطيين على ممتلكاته الجديدة [٢] .

ولقد ظلت العلاقات الودية تسود بين الإمبراطورية البيزنطية والكرج ، منذ أن انضمت ممتلكات داود القربلاط David Curoplate إلى حوزة البيزنطيين ، طوال فترة حكم بقراط الثالث Bagrat III[٣]. ويبدو أن السبب الرئيسي الذي من أجله أهمل بقراط الثالث المطالبة بممتلكات عمه داود القربلاط David Curoplate هو حرصه على بسط نفوذه على بلاد الأبخاز ، فقد كانت بلاد الكرج مقسمة إلى قسمين هما الأبخاز وإيبريا ، حيث كان إقليم الأبخاز يقع تحت سيطرة أسرة أنساباد Ansabad حيث بذل داود القربلاط جهوداً كبيرة لضم هذه البلاد تحت سيطرته ، ولقد أكمل بقراط الثالث Bagrat III هذا العمل ، حتى ضمها نهائيا في سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٨م [٤] .

١- بورفيرو جنيتوس : إدارة الإمبراطورية البيزنطية ، ص٢٠٤ ، من وضع المترجم .

٢- فايز نجيب إسكندر : أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة في مصنف أريستاكيس اللستيفرتي ، ص٣٢-٣٣ .

٣- السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص٦٩٤ .

٤- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٣٢ ، الحاشية رقم (٤) .

وعندما توفي بقراط الثالث Bagrat III سنة ٤٠٥هـ / ١٠١٤م خلفه على عرش الكرج ابنه جورج الأول George I (٤٠٥-٤١٨هـ / ١٠١٤-١٠٢٧م)[١] ، الذي يطلق عليه يحي بن سعيد الأنطاكي اسم جرجس[٢] .

ولقد استغل الملك جورج الأول فترة إنشغال الإمبراطور باسيل الثاني Basil II بحروبه ضد البلغار[٣] ، وقام بالإستيلاء على جميع الأراضي التي تنازل عنها عمه داود القربلاط إلى الإمبراطور باسيل الثاني ، ولم يقف جورج الأول عند هذا الحد ، بل حاول عقد حلف مع الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ / ٩٩٦-١٠٢١م) ضد الدولة البيزنطية [٤] .

وعلى الرغم من انشغال الإمبراطور باسيل الثاني بحروبه ضد البلغار ، إلا أنه عندما وصلته أنباء التحالف بين الفاطميين والكرج لم

١- فايز نجيب إسكندر : أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة في مصنف أريستاكيس اللستيفرتي ، ص١٩٥ ، الحاشية رقم (٣٩٤) .

٢- الأنطاكي : التاريخ المجموع ، ص٢٣٩ .

٣- البلغار : هم شعب آسيوي قريب من الهون ، اندمجوا مع بعض القبائل السلافية في البلقان وتأثروا بحضارة السلاف ولغتهم ، وقد استقر هؤلاء البلغار عند نهر الدانوب حيث كونوا إمبراطوريتهم الأولى . انظر سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، جـ١، ص٦٠٩ .

٤- العريني : الدولة البيزنطية ، ص٦٩٥ ، وعن حروب الإمبراطور باسيل ضد البلغار انظر محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢١٤-٢٢٦ .

يتوان عن قيادة حملة ضخمة سنة ٤١٠هـ / ١٠٢٠م .توجه بها إلى بلاد الشام ، إلا أنه عندما وصل إلى شمال الشام علم بوفاة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، فتوجه لمهاجمة بلاد الكرج ، ولم يتمكن الملك جورج الأول **George I** من مقاومة الحملة البيزنطية ، وتحصن في الأراضي التي تقع وراء نهر الكر ، بينما قام البيزنطيون بعمليات قتل ونهب واسعة في بلاد الكرج[١] .

أما بالنسبة للإمبراطور باسيل الثاني فقد حاول بسط نفوذه على الإمارات الأرمنية، ففي سنة ٤١٢هـ/١٠٢٨م عقد الإمبراطور البيزنطي معاهدة مع الملك الأرمني سمباط بن جاجيك – سمباط الثالث – Smbat III (٤١١–٤٣٢هـ / ١٠٢٠–١٠٤٢م)[٢] ، تضمنت تعهد الملك الأرمني بأن تجري إضافة ممتلكاته بعد موته إلى ممتلكات الدولة البيزنطية[٣] . وكان الأمير الأرمني سنكريم Senck'erim –الذي يطلق عليه الأنطاكي اسم سنحاريب – أمير فاسبوركان قد تنازل عن ممتلكاته للإمبراطور باسيل الثاني Basil II الذي قام بإقطاع الأمير الأرمني بعض

١–والسيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص٦٩٥–٦٩٦ .

٢– مروان المدور : الأرمن عبر التاريخ ، ص٢١٨ .

٣– أنطون خانجي : مختصر تواريخ الأرمن ، ص١٩٥ ؛ إستارجيان : تاريخ الأمة الأرمنية ، ص١٩٤ ، أديب السيد : أرمينية في التاريخ العربي ، ص١٩٠ .

المناطق في آسيا الصغرى عوضا عن ممتلكاته في أرمينية [١] .

ويرجح أحد الباحثين المحدثين أن الإمبراطور باسيل الثاني كان يهدف من بسط نفوذه على أرمينية جعل هذه المنطقة الجبلية خط دفاع أول أمام هجمات السلاجقة [٢] . والحقيقة أن الإمبراطور البيزنطي ارتكب خطأً فادحاً بضم إقليم أرمينية إلى حوزة البيزنطيين إذ كان البيزنطينيون أعجز من أن يستطيعوا حماية أرمينية أمام الزحف السلجوقي[٣] .

ويعتبر قيام الدولة البيزنطية بالقضاء على الإمارات الأرمنية ، يعتبر من أهم العوامل التي ساعدت على امتداد نفوذ مملكة الكرج البقراطية ، فقد أدى قضاء البيزنطيين على هذه الإمارات الأرمنية إلى ظهور فراغ سياسي كبير في هذه المنطقة ، الأمر الذي أدى إلى أن مختلف طوائف النصارى المقيمين في أرمينية كانوا على أتم استعداد للعمل في خدمة الكرج ضد القوى الإسلامية في هذه المنطقة.[٤]

١- أنطون خانجي : مختصر تواريخ الأرمن ، ص١٩٥-١٩٦ ؛ استارجيان : تاريخ الأمة الأرمنية ، ص١٩٤ ،؛ السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص٦٩٨ : والفاسبوركان : تطلق عليها المصادر الإسلامية اسم البسفرجان . انظر فايز نجيب إسكندر : أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة في مصنف أريستاكيس اللستيفرتي ، ص٢١٠، الحاشية رقم (٤٤٠) . والبسفرجان : كورة بأرض أران ومدينتها النشوي وهي نقجوان ، وتعد في أرمينية الثالثة . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص٥٠١ .

٢- عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٥١-١٥٢ .

٣- بول آميل : تاريخ أرمينيا ، ص٢٩ .

٤- انظر الفصل الثاني ، ص١٣٨- ١٣٩.

وعقب انتهاء الإمبراطور باسيل الثاني **Basil II** من عقد المعاهدات مع أمراء الأرمن ، أخذ يستعد لمواصلة القتال ضد الكرج ، ولقد أدرك الملك جورج الأول **George I** صعوبة موقفه ، فأرسل مبعوثاً من قبله إلى طرابزون لمقابلة الإمبراطور البيزنطي ولتقديم الاعتذار إليه ووعد بأن يسلم جميع المناطق التي كان داود القربلاط **David Curoplate** قد تنازل عنها للإمبراطور البيزنطي ، كما تعهد الملك الكرجي بتسليم ابنه بقراط **Bagrat** رهينة لدى الإمبراطور البيزنطي.[1] فوافق الإمبراطور باسيل على المقترحات التي قدمها جورج الأول لإنهاء الصراع البيزنطي الكرجي ، وأعاد رسول الملك الكرجي ومعه جماعة من النبلاء ورجال الدين ، ليقوموا بتحليف جورج الأول وجاثليق الكرج على الوفاء بما تم الاتفاق عليه[2] .

وعلى الرغم من التعهدات التي قطعها جورج الأول على نفسه ، إلا أنه عندما سمع بوجود تمرد في إحدى أقاليم الدولة البيزنطية ضد حكم الإمبراطور باسيل الثاني رجع عن جميع ما بذله للإمبراطور البيزنطي ،

١- الأنطاكي : التاريخ المجموع ، ص٢٤٠ ، السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص٦٩٩ . وطرابزون : فرضة مشهورة ، أكثر سكانها من اللكز ، وكانت تسمي باسم طرابزندة ، وهي تقع غربي سخومِ وشرقي سامسون . انظر أبو الغداء : تقويم البلدان ، ص٣٩٣ .

٢- الأنطاكي : التاريخ المجموع ، ص٢٤٠-٢٤١ ، . وجاثليق : هو رئيس الكهنة في بلاده انظر الأنطاكي : المصدر السابق ، ص١٤١ .

الأمر الذي دفع الإمبراطور باسيل إلى مهاجمة القوات الكرجية ، وتمكن من إنزال هزيمة ساحقة بهذه القوات ، فر على إثرها جورج الأول تاركا قواته بين قتيل وأسير وطريد[١].

وعندما أدرك الملك جورج الأول عجزه وضعفه عن مقاومة الجيش البيزنطي ، أرسل يعتذر للإمبراطور باسيل ، كما تعهد له بأن يتنازل عن جميع الأراضي التي تنازل عنها عمه داود القربلاط David Curoblate للدولة البيزنطية ، كما أرسل ابنه بقراط Bagrat ليقيم في القسطنطينية كدليل على التزامه بما تم الاتفاق عليه.[٢]

ويذكر يحي بن سعيد أن الإمبراطور باسيل الثاني ، قام في أواخر فترة حكمه بإطلاق سراح رهينته بقراط الرابع وأعاده إلى أبيه.[٣] ويبدو أن الإمبراطور البيزنطي كان يهدف إلى كسب ولاء الكرج، والعمل على توحيد صفوف القوى النصرانية في وقت بدأت تظهر فيه غزوات السلاجقة المسلمين على أرمينيه .

وعندما توفي الملك جورج الأول George I سنة ٤١٨هـ / ١٠٢٧م خلفه في حكم ممتلكاته ابنه بقراط الرابع Bagrat IV(٤١٨-٤٦٥هـ / ١٠٢٧-١٠٧٢م)[٤] الذي كان عندما توفي والده دون سن البلوغ ،

١- العريني : الدولة البيزنطية ، ص٧٠٠ .

٢- العريني : الدولة البيزنطية ، ص٧٠١ .

٣- الأنطاكي : التاريخ المجموع ، ص٢٥٠ .

٤- فايز نجيب إسكندر : أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة في مصنف أريستاكيس اللستيفرتي ، ص١٩٥ ، الحاشية رقم (٣٤٩) .

فتولت الوصاية عليه وتسيير شئون الحكم أمه ابنة الأمير الأرمني سنكريم[1] .

لم يرض نبلاء الكرج عن سياسة جورج الأول George I تجاه البيزنطيين ، فلما كانت سنة ٤١٩هـ/١٠٨٢م حرض بعض نبلاء الكرج ملكهم بقراط الرابع Bagrat IV على استرداد القلاع والحصون التي سلمها أبوه جورج الأول إلى الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني ، وقد تمكن بقراط الرابع من استرداد هذه القلاع[2] .

ولما وصلت أنباء التحرشات الكرجية إلى مسامع الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الثامن Costantin VIII (٤١٦-٤١٩هـ / ١٠٢٥-١٠٢٨م).- الذي خلف أخيه باسيل على العرش البيزنطي - لم يتوان عن إرسال حملة ضخمة لتأيب الكرج ، وقد عجز بقراط الرابع Bagrat IV عن مقاومة الحملة البيزنطية التي قامت بعمليات تدمير وقتل ونهب وأسر واسعة ، و لم ينج من بطشهم إلا من اعتصم بالقلاع الحصينة[3].

وعندما أدرك بقراط الرابع Bagrat IV عجزه وضعفه عن مقاومة البيزنطيين أرسل يعتذر للإمبراطور قسطنطين الثامن Costantin VIII وأعلن ولائه وطاعته للبيزنطيين ، الأمر الذي حاز قبولاً عند الإمبراطور

١- العريني : الدولة البيزنطية ، ص٧٠٢ .

٢-الأنطاكي : التاريخ المجموع ، ص٢٥٠ .

٣-الأنطاكي : التاريخ المجموع ، ص٢٥٠ .

البيزنطي الذي وافق على عقد الصلح مع الكرج[1] .

ويبدو أن البيزنطيين والكرج التزما بنصوص الصلح بينهما حيث اتفق الطرفان على ضرورة وقف الزحف السلجوقي على أرمينية وبلاد الكرج ، هذا الزحف الذي هدد ممتلكات الدولتين كما سيتضح في الفصل الأول إن شاء الله تعالى .

١ – السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص٧٠٢.

الفصل الأول

العلاقات بين السلاجقة ومملكة الكرج
(٤٣١-٦٢٨هـ / ١٠٤٠-١٢٣١م)

جهود سلاطين السلاجقة الأوائل لاخضاع مملكة الكرج
(٤٣١-٤٨٥هـ/١٠٤٠-١٠٩٢م)

النزاع بين أفراد البيت السلجوقي وأثره في امتداد نفوذ الكرج
(٤٨٥-٤٩٨هـ / ١٠٩٢-١١٠٤)

موقف سلاجقة العراق وإيران من الكرج
(٤٩٨-٥٩٠هـ / ١١٠٤-١١٩٤)

العلاقات بين سلاجقة الروم والكرج
(٤٧٠-٦٢٨هـ / ١٠٧٧-١٢٣١م)

جهود سلاطين السلاجقة الأوائل لاخضاع مملكة الكرج

(٤٣١-٤٨٥هـ / ١٠٤٠-١٠٩٢م)

يذكر ابن الأثير أنه عندما وصلت قبائل الغز السلجوقية إلى أذربيجان اتخذت من مدينة أرمية قاعدة انطلاق لمهاجمة الأراضي الأرمنية[١] .

وقد عاصر وصول السلاجقة إلى أرمينية ، ظهور قوة الأمير الأبخازي ليباريت الثالث Lipirat III[٢] ، وقد كان هذا الأمير ينافس الملك الكرجي بقراط الرابع Bagrat IV في الهيمنة على بلاد الكرج ، وقد سعى الأمير ليباريت Lipirat إلى محالفة الدولة البيزنطية ، وصار حليفها

١- ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ، ص٣٤٠ . ولقد أشار ابن الأثير إلى هذه الحادثة ضمن حوادث سنة ٤٢٠هـ / ١١٢٥م . إلا أن ذلك لا يؤكد وقوعها في هذه السنة لأن ابن الأثير تحدث عن الحوادث الخاصة بقبائل الغز السلجوقية مجتمعة و لم يفرقها على السنين . انظر ابن الأثير : المصدر السابق ص٣٣٩ . ومن المؤكد أن غارات قبائل الغز السلجوقية على الأراضي الأرمنية حدثت في أواخر القرن الرابع الهجري . انظر ما سبق ص ٤٤ ، ٤٥ .

وأرمية:بلدة حصينة بأذربيجان كثيرة الثمرات واسعة الخيرات،بقربها بحيرة يقال لها بحيرة أرمية، وهي بحيرة كريهة الرائحة لا سمك فيها انظر القزويني:آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٢٩٣.

٢- ليباريت أو ليباريد الثالث Libarid III : من أشهر أفراد أسرة أوربليان . وكان حفيداً لراد Rad الذي لقي مصرعه في معركة ضد باسيل الثاني سنة ٤١٢هـ /١٠٢١م . وقد تمكن ليباريت من بسط نفوذه على البلاد الواقعة في جنوب نهر الكر، لدرجة أنه أصبح سيداً على نصف بلاد الكرج ، واستطاع بذلك أن يحشد على نفقته جيشاً هائل العدد . انظر فايز نجيب إسكندر : أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة في مصنف أريستاكيس اللستيفرتي ، ص٢٤٠ ، الحاشية رقم(٥٩٢) .

الأول ، وقام بالهجوم على تفليس، وتمكن من أسر حاكمها الأمير جعفر ابن علي[١] في سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م ، وقد شفع الملك الكرجي بقراط في الأمير جعفر ، وتمكن من اطلاق سراحه ، وكان هدف بقراط Bagrat الحيلولة دون وقوع تفليس في يد ليباريت Lipirat مما يقوى مركزه[٢] .

وعلى الرغم من أن النزاع بين بقراط Bagrat وليباريت Lipirat قد أنقذ تفليس من السقوط بيد الكرج ، إلا أن ذلك لم يحل دون تجدد أطماع الكرج في المدينة ، ففي سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م قام ملك الأبخاز بحصار مدينة تفليس ، ولكن أهلها أبلوا بلاءً حسناً في الدفاع عن مدينتهم ، ولما طال أمد الحصار الكرجي على المدينة ، ونفذت الأقوات داخلها ، أرسل الأهالي يستنجدون بالقوى الإسلامية في أذربيجان ، وكانت قبائل الغز تعسكر في أذربيجان ، ويبدو أن هذه القوى السلجوقية تحركت لنجدتهم ، فعندما ((سمع الأبخاز بقربهم وبما فعلوا بالأرمن رحلوا عن تفليس مجفلين خوفاً))[٣] .

ولما كان السلاجقة يشتعلون حماساً لنشر الإسلام والجهاد في سبيل

١- جعفر بن علي : لم أقف له على ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

٢- عفاف صبرة:دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ص٤٣٧-٤٣٨ .

٣- ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص١٥ . وانظر أيضاً ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٤ ، ص٦٧٧ .

الله ، فقد قام إبراهيم ينال[1] في سنة ٤٣٩هـ / ١٠٤٧ بقيادة حملة كبيرة توجهت لغزو ممتلكات الدولة البيزنطية في أرمينية ، ولقد هاجم السلاجقة ملازكرد ، واجتاحوا أرزن الروم[2] .

وعقب استيلاء السلاجقة على أرزن الروم ، تكون حلف نصراني، من القائد البيزنطي في أرمينية كاميناس Kamenas، وأهارون بن البلغاري حاكم الفاسبوركان ، وجموع غفيرة من الأرمن ، بالإضافة إلى الأمير الأبخازي ليباريت Lipirat ، وقد تمكن زعماء هذا الحلف من حشد خمسين ألف مقاتل ، وتوجهوا لملاقاة السلاجقة ، والتقى الجمعان في وادي باسين[3] القريب من أرزن- وبعد معارك طاحنة ،حقق السلاجقة انتصاراً حاسماً على القوات النصرانية ، ووقع الأمير الأبخازي ليباريت

١- إبراهيم ينال : هو الملك إبراهيم بن ميكائيل السلجوقي ، أحد الأبطال المذكورين ، حارب أخاه السلطان طغرلبك وقهره ، وجرت له فصول ، ثم إنفل جيشه ، وأخذه أخوه أسيراً ، وخنقه بوتر قوس ، سنة إحدى وخمسين وأربعمائة بنواحي الري ، انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء، جـ١٨ ، ص١١٢.

٢- أديب السيد الوكيل: أرمينية في التاريخ العربي، ص١٩٥. وملازكرد : تعرف أيضاً باسم منازجرد ومنزكرت وملاسكرد . وهي مدينة على نهر ارسناس ، بالقرب من بحيرة وان،وهي مدينة حصينة ، تشتهر بخصوبة تربتها ، وهواءها الطيب . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٤٨. وأرزن الروم : بلدة من بلاد أرمينية ، أهلها أرمن ، وهي الآن أكبر وأعظم من الأولى ، ولها سلطان مستقل بها مقيم فيها ، وهي ولاية واسعة كثيرة الخيرات. انظر ياقوت:معجم البلدان ، جـ١ ، ص١٨١ .

٣- وادي باسين : انظر تعريفها في الصفحة التالية .

في الأسر[١] .

وقد عرض الأمير الأبخازي ليباريت -الذي يطلق عليه ابن الأثير اسم قاريط - على إبراهيم ينال بأن يفتدي نفسه من الأسر بما قيمته أربعمائة ألف دينار نقداً وهدايا ، إلا أن إبراهيم ينال رفض عرضه ، وأرسله ضمن غنائم الحرب إلى أخيه السلطان طغرلبك[٢] .

ولقد قام الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع Constantin IX (٤٣٤-٤٤٧هـ/١٠٤٢-١٠٥٥م) الاتصال بأمير ميافارقين نصر الدولة بن مروان[٣]،يطلب منه التوسط لدى السلطان طغرلبك (٤٢٩-٥٥٥هـ/١٠٣٧-١٠٦٣م) من أجل اطلاق سراح حليفه الأمير ليباريت من الأسر[٤] .

١- ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص٤٨ ؛ النويري : نهاية الأرب،جـ٢٦ ، ص٢٨٣-٢٨٤ . ووادي باسين : باسين العليا وباسين السفلى كورتان قصبتهما أرزن الروم . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٣٨٣ .

٢- ابن الأثير: الكامل ،جـ٨ ، ص٤٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٦ ، ص٢٨٤ .

٣- نصر الدولة بن مروان : هو أحمد بن مروان بن دوستك الكردي الحميدي نصر الدولة صاحب ميارفين ودياربكر ، ملك البلاد بعد قتل أخيه أبي سعيد منصور في قلعة الهتاخ وقيل أنه هو الذي قتل أخاه ، وكان رجلاً مسعوداً عالي الهمة حسن السياسة كثير الحزم ، توفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، وعاش سبعاً وسبعين سنة ، وكانت إمارته اثنين وخمسين سنة . انظر الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ٨ ، ص١٧٦-١٧٧ . وقد حكم في الفترة(٤٠٢-٤٥٣هـ / ١٠١١-١٠٦١م).انظر استانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ، ص١١٦ .

٤- ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص٥٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٦. ص٢٨٥ ، وميافارقين : قاعدة دياربكر ، تبعد عن الموصل مسيرة ستة أيام ، ويحيط بها سور من الحجر. انظر أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٢٧٩ .

وقد قام نصر الدولة بن مروان بالاتصال بالسلطان طغرلبك ، ونقل إليه رغبة الإمبراطور البيزنطي في اطلاق سراح حليفة الأمير ليباريت من الأسر ، وقد استجاب السلطان لطلب الإمبراطور البيزنطي ، وأمر باطلاق سراح الأمير الأبخازي بدون أي فدية[١] .

وامتداداً لجهود السلاجقة لبسط نفوذهم على أرمينية ، قام السلطان طغرلبك في سنة ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م بقيادة حملة كبيرة ، توجهت إلى أرمينية ، وقد تمكن من الاستيلاء على بعض المناطق شمال بحيرة وان (فان)[٢] وفرض الحصار على مدينة ملازكرد ، إلا أنه اضطر إلى فك الحصار عن ملازكرد ، والعودة إلى إيران ، بعد دخول فصل الشتاء ، وهطول الثلوج[٣] .

وعندما توفي السلطان طغرلبك،خلفه ابن أخيه السلطان ألب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥هـ / ١٠٦٣-١٠٧٣م) ، الذي سار على نفس سياسة عمه طغرلبك في إخضاع أرمينية للنفوذ السلجوقي ، فقد استهل حكمه بالقيام بأولى حملاته في ربيع الأول سنة ٤٥٦هـ/ فبراير ١٠٦٤م .

١- ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص٥٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٦ ، ص٢٨٥ .

٢- بحيرة وان (فان) : ويطلق عليها أيضاً اسم بحيرة أرجيش ، وكانت أشهر بحيرات أرمينية ، فقد كان على شطئانها مدينة خلاط وأرجيش ووان ووسطان ، وطولها عشرون فرسخاً يخرج منها سمك صغير يعرف بالطريخ . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢١٧ .

٣- ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص٦٧ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٦ ، ص٢٨٧-٢٨٨ ؛

حيث توجه إلى أذربيجان ، وعندما وصل إلى مرند[1] ، انضمت إلى قواته جموع غفيرة من قبائل التركمان التي تقطن المنطقة بقيادة أحد الأمراء ويدعى طغدكين[2]،الذي أمضى فترة من حياته في الجهاد ضد الكرج ، اكتسب خلالها خبرة كبيرة في سلوك الطرق الآمنة المؤدية إلى بلاد الكرج، وقد أشار طغدكين على السلطان ألب أرسلان بمهاجمة ممتلكات الكرج ، حيث قال له : ((أن بلاد الكرج من بلاد الروم عرصة الغي ومربع الكفر والبغي))[3]،فقبل السلطان رأيه ، وقرر مهاجمة بلاد الكرج ، وسار إلى نخجوان،وفي الطريق إليها قام بإخضاع أهالي خوى وسلماس ، وأجبرهم على الخضوع للنفوذ السلجوقي[4] .

١- مَرَنْد : بفتح أوله وثانيه ، ونون ساكنة ودال : من مشاهير مدن أذربيجان ، بينها وبين تبريز يومان . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص١٢٩ .

٢- طغدكين : لم أقف له على ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

٣- الحسيني : زبدة التواريخ ، ص٨٨ . وانظر أيضاً ابن الأثير : الكامل: جـ٨، ص٩٨-٩٩ .

٤- ابن الأثير : الكامل ،جـ٨ ، ص٩٩ . ونخجوان : بعضهم يقول نقجوان ، والنسبة إليها نشوي على غير أصلها ، وهي بلد بأقصى أذربيجان . انظر ياقوت : معجم البلدان ،جـ٥ ، ص٣١٨-٣١٩. وتقع إلى الشمال من نهر أرس.انظر لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ،ص٢٠١.وخوى : مدينة معمورة من مدن أذربيجان ، ذات سور حصين ومياه وأشجار ،كثيرة الخيرات وافرة الغلات ، كثيرة الأهل ، وأهلها أهل سنة وجماعة ، يعمل بها الديباج الذي يسمونه الجوخ . انظر القزويني:آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٥٢٧ . وسلماس:مدينة مشهورة بأذربيجان ، بينها وبين أرمية يومان ، وبينها وبين تبريز ثلاثة أيام.انظر ياقوت : معجم البلدان ،جـ٣،ص٢٧٠ .

وعندما وصل السلطان ألب أرسلان إلى نخجوان ، قاد جزءً من جيشه وتوجه إلى بلاد الكرج ، بينما ترك الجزء الآخر تحت قيادة ابنه ملكشاه ووزيره نظام الملك[١] . ويرجح أحد الباحثين المحدثين أن المهمة الأساسية لقوات ملكشاه ، كانت اشغال القوات البيزنطية والأرمنية ومنعها من الانضمام إلى قوات الكرج ، أو تقديم المساعدة لها[٢] .

وقد تمكنت قوات ملكشاه من الاستيلاء على إحدى القلاع التابعة للبيزنطيين ،ثم سارت القوات السلجوقية إلى قلعة سرماري[٣] ، وتمكنت من فتحها،كما استولى ملكشاه على إحدى القلاع القريبة من سرماري ، وقد رأى ملكشاه تخريب هذه القلاع ، إلا أن الوزير نظام الملك نهاه عن ذلك ، وبين له أن هذه القلاع ستكون ثغوراً للمسلمين ، فاقتنع ملكشاه برأيه ، وأمر بشحن هذه القلاع بالمجاهدين ، وسلمها لأمير نخجوان[٤] .

١- الحسيني: زبدة التواريخ ، ص٨٨ ؛ ابن الأثير : الكامل ،جـ٨،ص٩٩؛ النويري: نهاية الأرب ، جـ٢٦، ص٣٠٧ .

٢- محمد ربيع : المشرق الإسلامي في عصر السلاطين السلاجقة الأوائل (رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى ، كلية الشريعة ، قسم التاريخ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ، ص٢٤٩-٢٥٠ .

٣- سُرماري : بضم أوله ، وسكون ثانيه ، وبعد الألف راء : قلعة عظيمة وولاية واسعة بين تفليس وخلاط مشهورة مذكورة . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٢٤٣ .

٤- الحسيني : زبدة التواريخ ، ص٨٨-٨٩ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص٩٩ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٦ ، ص٣٠٧ .

وقد شجعت هذه الانتصارات الأمير ملكشاه على المضي قدماً في جهاد الكرج فتوجه إلى مدينة مريم نشين ، وكانت هذه المدينة تتميز بحصانتها الطبيعية ، حيث يحدها أحد الأنهار ، بالإضافة إلى قوة ومتانة أسوارها ، حتى أن المعاول وحجارة المنجنيقات لم تؤثر فيها ، فعمد الوزير نظام الملك إلى تقسيم الجيش السلجوقي إلى عدة أقسام ، يتناوبون عليها القتال ليلاً ونهاراً ، مما أضجر المدافعين عنها، وأصبح من السهل على السلاجقة تسلق أسوارها ، فلما رأى أهالي المدينة ذلك أسقط في أيديهم ، فتمكن الجيش السلجوقي من دخولها ، وقَتل أعداداً كبيرة من المدافعين عنها ، وأصبحت المدينة بكل ما فيها غنيمة للمسلمين[١] .

ولم يلبث أن أرسل السلطان ألب أرسلان يستدعي ابنه ملكشاه ، فسار ملكشاه للقاء والده ، وفي طريقه تمكن من اخضاع بعض القلاع قبل أن يجتمع بوالده السلطان ألب أرسلان[٢] .

وعندما اكتملت القوات السلجوقية ، توغل السلطان ألب أرسلان في بلاد الكرج، وهاجم مدينة أسد شهر[٣] ، وتمكن من الاستيلاء عليها ،

١- الحسيني : زبدة التواريخ ، ص٨٩ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص٩٩ ؛ النويري:نهاية الأرب ، ص٢٦ ، ص٣٠٧-٣٠٨ . ومريم نشين : لم أجد لها ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

٢- الحسيني : زبدة التواريخ ، ص٨٩ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص٩٩ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٦ ، ص٣٠٨ .

٣-أسد شهر : يطلق عليها كلاً من الحسيني وابن الأثير اسم سبيذ شهر انظر الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٩٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص٩٩ . ويذكر محقق كتاب زبدة التواريخ أن سبيذ شهر : هي قلعة تترتيسيخي (آقجا-فالا) تقع على المجرى السفلي من نهر ديبيد إلى =

ويبدو أن قتالاً عنيفاً حدث داخل المدينة بين السلاجقة وسكان المدينة ، أدى إلى قتل ثلاثين ألفاً من السكان ، بالإضافة إلى وقوع خمسين ألف إنسان في الأسر[١] .

وعقب فتح مدينة مريم نشين صمم السلطان ألب أرسلان على مواصلة عملياته العسكرية في بلاد الكرج ، فقد تقدم إلى مدينة أعال لال[٢] ، التي تتمتع بحصانة طبيعية شديدة ، وعلى الرغم من هذه الحصانة ، فقد صمم السلطان على فتحها ، وأمر ببناء جسر على النهر سهل للجيش السلجوقي الاستيلاء عليها ، وعندما اشتد القتال على هذا الجسر ، حدث خلاف ونزاع بين الكرج داخل المدينة ، أدى إلى خروج رجلين من المدينة ، طلبا من السلطان أن يرسل معهما بعض رجاله ، فأستجاب لرغبتهما ، فلما جاوز رجال السلطان الخندق اشتبكوا مع

= الشرق من بحيرة تشالدير على الطريق من فرمس إلى آخالقالا . انظر الحسيني : زبدة التواريخ ، ص٩٠ ، الحاشية رقم(١) .

١- ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ، جـ٤ ، ص١٩٨٢. وانظر أيضاً سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان (القسم الخاص بتاريخ السلاجقة)،ص١١٧ .

٢- أعال لال : ((وهي حصينة عالية الأسوار شاهقة البنيان ، وهي من جهة الشرق والغرب على جبل عال وعلى الجبل عدة من الحصون ومن الجانبين الآخرين نهر كبير لا يخاض)) . انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص٩٩ . ويذكر محقق كتاب الحسيني أنها أغاك لال ، وهي حالياً مدينة أخالقالا في جمهورية جورجيا ، انظر الحسيني :زبدة التواريخ ،ص٩٠ . وانظر الحاشية رقم(٢) من نفس الصفحة .

الكرج ، وعند ذلك هب السلطان لنجدة قواته ،وتمكن من هزيمة الكــرج ، ودخل الجيش السلجوقي المدينـة ، بينمـا اعتصـم الكـرج بـأحد أبـراج المدينة ، فأمر السلطان بإحراقه ، فأحترق البرج ومن بداخله[١] .

وعقب سقوط هـذا البرج بأيدي المسـلمين تمكـن السـلاجقة مـن الاستيلاء على المدينة في شهر رجب سنة ٤٥٦هـ/الموافق يونية١٠٦٤م[٢].

وعندمـا أدرك الملـك الكرجـي بقـراط الرابـع Bagrat IV عجـــزه وضعفه عن مقاومة القوات السلجوقية ، لجـأ إلى عقـد هدنـة مـع الكـرج فقد أرسل من قبله بعض المبعوثين الذين طلبوا من السلطان إقامة هدنة مع السلطان ، إلا أن السلطان أجابهم بأنـه لا صلـح إلا باعتنـاق الإسـلام أو دفع الجزية ، فوافق بقراط على دفع الجزية[٣] .

ويذكر البنداري أن السلطان ألب أرسلان تزوج من ابنـة ملـك الكـرج ، ثم مالبث أن طلقها وزوجها لوزيره نظام الملك[٤] . ويبدو أن هذا الصلح

١- الحسيني : زبدة التواريخ ، ص٩٠-٩١ ؛ ابن الأثير : الكامل :جـ٨ ، ص٩٩ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٦ ، ص٣٠٨ .

٢- ابن الأثير : الكامل : جـ٨ ، ص٩٩ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٦ ، ص٣٠٨ .

٣- الحسيني : زبدة التواريخ ، ص٩١ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جــ٨ ، ص١٠٠ ؛ النويـري : نهايـة الأرب ، جـ٢٦، ص٣٠٩ .

٤- البنداري:تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٣٣.وقد ذكـر سبط ابـن الجـوزي وابـن العـبري أن السلطان تزوج من ابنة أخت ملك الكرج وأنه دخل بها في همذان،ثم طلقها وزوجهـا لأحـد كبـار رجال دولته.انظر سبط ابن الجوزي:مرآة الزمان،(القسم الخاص بتاريخ السـلاجقة)، ص١٣٦ ؛ ابـن العبري : تاريخ الزمان،ص١٠٨.

كان في مصلحة السلاجقة ، فقد هيألهم مهاجمة ممتلكات الدولة البيزنطية في أرمينية ، ومنع الكرج من تقديم أي مساعدة لحلفائهم البيزنطيين ، مما يدل على الحنكة السياسة التي يتمتع بها السلطان ألب أرسلان .

وعقب هذا الصلح ، توجه السلطان ألب أرسلان إلى مدينة آني[١]، التي كانت خاضعة للبيزنطيين[٢]. وعلى الرغم مما اشتهرت به هذه المدينة من حصانة طبيعية شديدة ، إلا أن السلطان ألب أرسلان صمم على فتحها ، وداوم القتال عليها ، وضربها بالمنجنيقات حتى انهار جزءٌ من سورها ، مما سهل على القوات السلجوقية دخولها ، وقَتَلَتْ وأَسَرَتْ أعداداً كبيرة من سكانها ، وحاز المسلمون على غنائم طائلة[٣] .
وقد أشار سبط ابن الجوزي إلى أن فتحها كان في شهر رمضان سنة٤٥٦هـ / الموافق أغسطس ١٠٦٤م[٤] .

١- آني :مدينة عامرة يحيط بثلاث نواحيها نهر أراس الكبير وفي ناحيتها الرابعة خندق عميق تجري فيه مياه ذلك النهر ، يعبر الأهالي على جسر غادين رائحين ، وكانت تشتمل على سبعمائة ألف دار وعلى ألف كنيسة . انظر ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص١٠٦ ,

٢- عن خضوع آني للنفوذ البيزنطي ، انظر ما سبق ، ص

٣- الحسيني : زبدة التواريخ ، ص٩٣-٩٦ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص١٠٠ ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص١٠٦ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٦ ، ص٣٠٨-٣٠٩ .

٤- سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان (القسم الخاص بتاريخ السلاجقة) ، ص١١٨ .

ولقد استغل الكرج فترة انشغال السلطان ألب أرسلان في سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م بإخماد تمرد حاكم كرمان[١] قرا أرسلان[٢] ، فسعى الملك الكرجي بقراط إلى نقض معاهدة الصلح مع السلاجقة ، وهاجم مدينة برذعة[٣] ، وعندما وصلت أنباء اعتداءات الكرج إلى مسامع السلطان ألب أرسلان صمم على معاقبتهم فقام في السنة التالية ٤٦٠هـ/١٠٦٨م بقيادة حملة كبيرة ضد الكرج[٤]. ويذكر صاحب صحائف الأخبار أن السلطان ألب أرسلان توجه إلى إقليم الران حيث سارع إلى الدخول في طاعته كل من حاكم إقليم الران

١- كرمان : ناحية مشهورة ، يحدها من الشرق مكران ومن الغرب فارس ومن الشمال خراسان ومن الجنوب بحر فارس . وهي بلاد واسعة الخيرات وافرة الغلات من النخل والزرع والمواشي انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٢٤٧ .

٢- قرا أرسلان : عماد الدين أرسلان بن قاورد بيك ، حكم كرمان في الفترة (٤٣٣-٤٦٥هـ / ١٠٤١-١٠٧٢) انظر استانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ، ص١٤٣.

٣- برذعة : مدينة كبيرة بأران أكثر من فرسخ في فرسخ ، وهي خصبة نزهة كثيرة الثمار تشتهر بزراعة البندق ، وبقربها نهر الكر ، وبها سوق الكركي ، يقام كل يوم أحد على باب الأكراد مقدار فرسخ في فرسخ ، يجتمع الناس إليه من كل وجه للتجارة . انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٥١٢ . وهي تبعد عن نهر الكر مسافة ثلاثة فراسخ على ضفة أحد روافده المعروف بالثرثور . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢١١ .

٤- الحسيني : زبدة التواريخ ، ص١٠٣ . وعن تمرد حاكم كرمان قرا أرسلان على السلطان ألب أرسلان انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ١٠٥ ؛ الحسيني : زبدة التواريخ ، ص٩٩ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ص٢٦ ، ص٣١١ .

الفضل بن شاور[١] ، وحاكم إقليم شروان فريبرز بن سالار[٢] ، وقدما للسلطان مجموعة كبيرة من التحف والهدايا ، فأقرهما على حكم ممتلكاتهما[٣] .

وفي مجال تأديب الكرج ، فقد واصل السلطان ألب أرسلان مسيرة بجموع المسلمين ، بمحاذاة نهر الكر ، حتى وصل إلى قرب مدينة شكى ، التي يكثر في نواحيها الغياض والآجام ، فأمر السلطان بإحراقها ، وقد اكتشف السلطان داخل هذه الآجام ((قلعتين مبنيتين من أطباق الحديد ومسامير من النحاس)) وقد سارع صاحب القلعتين إلى إعلان إسلامه ،

١- الفضل بن شاور : حكم الإمارة الشدادية في الفترة الأولى (٤٥٩-٤٦٠هـ / ١٠٦٧-١٠٦٨م). وفي الفترة الثالثة (٤٦١-٤٦٦هـ / ١٠٦٩-١٠٧٣م) انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، جـ٢ ، ص٣٥٩ .

٢- فريبرز بن سالار : ورد اسمه في معجم زامباور كالتالي فريبرز بن سالار بن يزيد بن أحمد بن محمد بن أبو طاهر بن فلان بن محمد بن الهيثم بن خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني . وقد تولى حكم شروان سنة ٤٥٥هـ تقريباً . انظر زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص٢٧٨ .

٣- المولوي : صحائف الأخبار ،جـ١ ، ورقة ٥٠٧ب . والران : اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة ، منها جنزة وبرذعة وشمكور وبيلقان . وبين أذربيجان والران نهر يقال له الرس ، كل ما جاوره من ناحية المغرب والشمال فهو من أران ، وما كان من جهة المشرق فهو في أذربيجان.انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص١٦٤ . والران في المثلث العظيم غرب اقتران نهر الكر والرس . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢١١ . وشروان : ولاية قصبتها شماخي وهي قرب بحر الخزر . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٣٨٤ .

فأمر السلطان بعدم مهاجمة قلاعه[١] .

ولما وصل السلطان ألب أرسلان إلى مدينة شكى ، سارع أميرها أخستان بن جاجبك Akhsatan bin shakki[٢] لمقابلة السلطان ، حيث أعلن إسلامه أمامه ، فبالغ السلطان في إكرامه ، وأمر بتعليمه أصول الدين الإسلامي[٣].ويستدل أحد الباحثين من صنيع السلطان ألب أرسلان مع أمير شكى الكرجي ، إلى أن حملات السلطان في بلاد الكرج كان هدفها نشر الإسلام قبل الفتح والهيمنة[٤] ، مما يؤيد ذلك ما ذكره ابن العبري ، من أنه أثناء وجود السطان في هذه المنطقة ، قبض أحد قادة السلاجقة على مجموعة من رجال الدين الأرمن ، أثناء فرارهم من إحدى القلاع ، فتظاهر هؤلاء الأرمن ، بأنهم كانوا قادمين إلى حضرة السلطان ألب أرسلان لإعلان إسلامهم أمامه ، فقام القائد السلجوقي بإرسالهم إلى السلطان ، حيث أعلنوا إسلامهم أمامه ، فبالغ السلطان في إكرامهم ،

١- الحسيني : زبدة التواريخ، ص١٠٣ . ومدينة شكى تقع في جمهورية أذربيجان . انظر الحسيني : زبدة التواريخ ، ص١٠٣ الحاشية رقم(٢) .

٢- أخستان أو أغسرتان: هو ابن غاغيق -ملك الكاخية (١٠٥٨-١٠٨٤م) وقد اضطر إلى اعتناق الإسلام حتى يحافظ على ملكه . انظر الحسيني : زبدة التواريخ ، ص١٠٣ ، الحاشية رقم(٢) . ويبدوا أن إسلامه كان ظاهرياً ، بدليل ما فعله بعد ذلك من تسليمه الفضل بن شاور إلى الملك الكرجي بقراط . انظر ما يلي، ص٦٧.

٣- الحسين : زبدة التواريخ ،ص١٠٤ .

٤- محمد ربيع المدخلي : المشرق الإسلامي في عصر السلاطين السلاجقة الأوائل (رسالة دكتوراه لم تنشر ، من جامعة أم القرى ، قسم التاريخ ،١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ، ص٢٥٧ .

وأعطاهم عشرين ألف دينار نفقة لهم ، وعلى الرغم من ذلك فإن هؤلاء الأرمن ، مالبثوا أن هربوا إلى مناطق نفوذ النصارى ، وقاموا بالارتداد عن الإسلام(١) .

أما بالنسبة للسلطان ألب أرسلان فقد صمم على التوجه لغزو إقليم اللان ، إلا أنه صادف هطول ((ثلجٌ عظيمٌ فأتلف العساكر والدواب)) فعاد السلطان إلى إقليم الران (٢)والسؤال الذي يطرح نفسه هنا لماذا حاول السلطان ألب أرسلان غزو إقليم اللان؟ ويبدو أن السبب في ذلك هو ما ذكره صاحب صحائف الأخبار من أن اللان أشتركوا مع الكرج في غزو إقليم الران (٣) .

وعلى الرغم من ان السلطان ألب أرسلان لم يتمكن بسبب سوء الأحوال الجوية من تأديب اللان ، إلا أنه صمم على المضي قدماً في حملته لإخضاع الملك الكرجي بقراط Bagrat . فقد ذكر الحسيني أن السلطان

١- ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص١٠٨ .

٢- سبط ابن الجوزي : مرأة الزمان (القسم الخاص بتاريخ السلاجقة) ، ص ١٣٦ . واللان : بلاد واسعة في طرق أرمينية قرب باب الأبواب مجاورون للخزر ، وهم نصارى تجلب من بلادهم عبيد أجلاد . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ح ٥ ، ص ٩ .

٣- المولوي : صحائف الأخبار ،جـ١، ورقة ٥٠٧ أ وَ ب. الذي ذكر ما نصه " خرجت اللان في جموع عظيمة من باب اللان في ذي القعدة وجاوزوا بلا شكى وخزران ثم دخلوا مع كفرة الشكرية جميعاً إلى بلاد أران فجاسوا خلالها وشنوا الغارة الشعواء والقتل والنهب في سهلها وجبلها من غير مانع لهم وقتلوا على باب ثغر شمكور زيادة على مائتي رجل من الغزاة المتطوعة وأغاروا على باب جنزة وقتلوا من وجدوا في قراها ، وكان أبو الأسوار مع قوادة بجنزة ما جسروا للبروز إليهم والقتال معهم ثم سارت الملاعين إلى بردغة ....))

توجه لملاقاه الملك الكرجي ، الذي كان يهدد تفليس ، وقد تمكن السلطان من دخولها،وأقام فيها بعض الوقت ، لترتيب أمورها ، فقبض على منصور وأبي الهيجاء أبناء جعفر بن علي أصحاب تفليس[١] وسلم المدينة إلى حاكم إقليم الران الفضل بن شاور[٢].وبعد أن اطمأن السلطان على أحوال المسلمين في تفليس، توجه إلى قلعة تدعى الصليب ، وقد تمكن الجيش السلجوقي من دخولها ، بحسن تدبير الوزير نظام الملك ، وغنم المسلمون كل ما وجدوه في هذه القلعة من أموال[٣] .

وعندما أدرك الملك الكرجي بقراط Bagrat عجزه وضعفه عن ملاقاة الجيش السلجوقي أرسل يطلب الصلح من السلطان ألب أرسلان وأستعطفه على الموافقة على عقد الصلح معه،فأجابه إلى ذلك ، ولكن بقراط Bagrat مالبث أن نقض الصلح مرة ثانية[٤].ويبدو أنه رفض دفع الجزية،حيث أنه اغتر بدخول فصل الشتاء وهطول الثلوج،وظن أن

١- منصور وأبي الهيجاء أبناء جعفر بن علي : لم أقف لهما على ترجمة فيما بين يدي من مصادر

٢- المولوي : صحائف الأخبار ، جـ١ ، ورقة ٥٠٧ ب ؛ سبط بن الجوزي : مرأة الزمان (القسم الخاص بتاريخ السلاجقة) ، ص ١٣٦ .

٣- الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ١٠٤ - ١٠٥ . وقلعة الصليب : ربما تكون قلعة (ميتسخت ، حيث يقع معبد " سفيتي تسخوفلي" عامود خالق الحياة انظر الحسيني : زبدة التواريخ ص ١٠٤ ، حاشية رقم (٢) .

٤- الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ١٠٥ .

السلطان لن يتمكن من مواصلة عملياته العسكرية في بلاد الكرج في ظل هذه الظروف المناخية السيئة ، وعندما علم السلطان بذلك صمم على تأديبه ومواصلة فتوحاته في بلاد الكرج ، فلما علم الملك الكرجي بعزم السلطان أرسل يطلب الصلح ، ولكن السلطان رفض ذلك ،فأرسل الملك جيشاً لوقف تقدم السلاجقة ، إلا أن هذا الجيش هلك أكثره من جراء برد الشتاء القارس[١]. بينما تقدم السلطان إلى إحدى القلاع ، يرجح مينورسكي Minorsky أنها مدينة قردمان Gardman ، وتمكن من فتحها ، وأمر ببناء مسجد للمسلمين فيها[٢] .

وبعد أن أمضى السلطان ألب أرسلان في حملته على بلاد الكرج مدة خمسة أشهر ، رأى أنها كافية لتأديب هؤلاء النصارى ، ولذلك عاد إلى أذربيجان ومنها إلى فارس[٣] .

ويبدو أن ما قام به السلطان ألب أرسلان من فتوحات كبيرة في بلاد الكرج، قد شجعت حاكم إقليم الران الفضل بل شاور على المضي

١- الحسيني : زبدة التاريخ ، ص ١٠٥ .

٢- الحسيني : زبدة التواريخ ، ص١٠٥ والحاشية رقم (١) من نفس الصفحة ؛

٣- الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ . وفارس : ناحية مشهورة يحدها من الشرق كرمان ومن الغرب خوزستان ومن الشمال خراسان ومن الجنوب البحر ، وبها مواضع شديدة البرد ، مواضيع شديدة الحر . انظر القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .ويطلق عليه اليونان اسم برسس Persis وأطلق الأوربيون هذا الاسم على إيران بأكملها بتحريف بسيط Persia انظر لسترنج:بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٨٣ .

قدما في جهاد الكرج ، فأعد حمله كبيرة في نفس سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م انطلق بها من تفليس ، صوب أملاك الكرج في أبخازيا ، وقد تمكن الفضل من تحقيق بعض الانتصارات ، واستولى على غنائم طائلة ، إلا أن الكرج استدرجوا الفضل وقواته في الممرات الجبلية الضيقة ، ثم انقضوا عليهم بهجوم مباغت ، وألحقوا بهم هزيمة قاسية ، فر على إثرها الفضل بن شاور من أبخازيا ، ولكنه ضل الطريق ، فوقع بيد أمير شكى الكرجي أخستان بن جاجيك Akhsatan bin Shakki ، الذي غدر به وسلمه للملك الكرجي بقراط Bagrat[١] .

أما بالنسبة للسلطان ألب أرسلان ، فقد كان منشغلا في ذلك الوقت ، بتجهيز حملة ضخمة للقضاء على النفوذ الشيعي الفاطمي في بلاد الشام ومصر[٢] .

ولقد استغل الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينس Romanus Diogenes (٤٦١ - ٤٦٤ هـ / ١٠٦٨ - ١٠٧١) فترة انشغال السلطان ألب أرسلان ببسط نفوذه على الجزيرة الفراتية وبلاد الشام ، وحاول القضاء على النفوذ الإسلامي في أرمينية ، فقاد حملة كبيرة ، ضمت قوات كرجية،ولكن السطان ألب أرسلان تمكن من انزال الهزيمة الساحقة بالبيزنطيين في موقعة ملازكرد في يوم الجمعة السادس

١- المولوي : صحائف الأخبار ،جـ١،ورقة ٥٠٧ب؛ Minorsky : (op cit),pp.٦٦ - ٦٧.

٢- عن حملة السلطان ألب أرسلان على بلاد الشام انظر علي الغامدي بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي ، ص ١٢٠ - ١٣٠ .

والعشرين من ذي القعدة سنة ٤٦٣ هـ / الموافق ٩ أغسطس ١٠٧١م[١].

وعقب انتصار السلطان على البيزنطيين في موقع ملازكرد قام بمكافأة بعض قادته ، فأقطعهم بعض المناطق في آسيا الصغرى وأرمينية ، مثل الأمير منكوجك[٢] والأمير سلدق[٣] والأمير الدانشمد أحمد غازي[٤] وقد أوصاهم السلطان بالتعاضد ، والقيام بأداء فريضة الجهاد .

١- عن موقعة ملاذكر انظر ابن الجوزي:المنتظم،جـ١٦،ص١٢٣-١٢٨؛ابن أيبك الدواداري:كنز الدرر،جـ٦،ص٣٩٠-٣٩٦ ؛علي الغامدي:بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي ص١٣٢-١٤٠؛ محمد ربيع المدخلي:المشرق الإسلامي في عصر السلاطين السلاجقة الأوائل(رسالة دكتوراة،لم تنشر،جامعة أم القرى كلية الشريعة،قسم التاريخ،١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ، ص ٢٦٠ - ٢٧٩ . وعن أحوال الإمبراطورية البيزنطية بعد هذه الهزيمة انظر فايز نجيب إسكندر : موقعه ملازكرد وصداها في القسطنطينية .

٢- الأمير منكوجك : كان سنكوجك قائداً من القواد الذين بعث بهم السلطان السلجوقي ألب أرسلان إلى أسيا الصغرى بعد النصر في معركة ملازكرد المشهورة في سنة ٤٦٣ هـ وقد أقطعه السلطان أرزنجان وكماخ وغيرها من مناطق أرمينية ، وكان سنكوجك شجاعا شهما عاقلا حازما ، ذا رأي مصيب في الحروب ، وكان يغزو كفار الكرج والأبخاز والروم تارة مجتمعا مع الدانشمندية وتارة منفردا مع عسكرة. انظر المولوي : صحائف الأخبار ، جـ١ ، ورقة ٦٠٤ب؛أحمد السعيد سليمان:تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة جـ١،ص٣٣٠.

٣- الأمير سلدق : كان قائدا من القواد الذين بعث بهم السلطان ألب أرسلان إلى أرمينية ، وقد تمكن من الاستيلاء على أرضروم ستة ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م . انظر أحمد السعيد سليمان:تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة،جـ١ص٣٣٣-٣٣٤.

٤- ذكر المولوي أن اسمه إسماعيل دانشمند طايلوا التركماني ، وقد لقب بالدانشمد لأنه كان معلما لأولاد التركمان . انظر المولوي : صحائف الأخبار ،جـ١ ، ورقة ٥٩٤ أ . بينما ذكر السلمان أن اسمه الدانشمد أحمد غازي . انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة جـ١ ، ص ٣٢٦ .

وأقطعهم جميع المناطق التي يفتحونها من بلاد الكفار[١] .

وقد أسس الأمير سلدق إمارته في أرزن الروم[٢] ، أما الأمير منكوجك فقد أسس إمارته في أرزنجان[٣] أما الأمير أحمد غازي الدانشمند فقد أسس إمارته في سيواس وملطية[٤] . وسنلاحظ أن هذه الإمارات تحملت لفترة من الزمن أعباء حركة الجهاد ضد الكرج .

وعندما توفي السطان ألب أرسلان سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م خلفه

١- المولوي : صحائف الأخبار جـ١ ، ورقة ٥٩٤ أ .

٢- لم تدرس دولة بني سلدق في أرضروم أو أرزن الروم حتى الآن دراسة تفصيلية ، ولقد كان بنوسلدق ممن بعثهم السلطان ألب أرسلان إلى شرق الأناضول بعد معركة ملازكرد في سنة ٤٦٤ هـ . وقد استولى رئيسهم أبو القاسم على منطقة أرضروم وعلى مدينة أرضروم ، ويظن أن ألب أرسلان ولاه لذلك إمارة تلك المنطقة.ويرد اسم سلدق في كتب التاريخ بهذه الصيغ : سلتق ، صالتق ، صلتق وصلاق وصليق ، ولكن لما كانت كلمة سلدق هي المكتوبة على السكة فهي الأصح. انظر أحمد السعيد سليمان تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، جـ١ ، ص ٣٣٣ وانظر أيضاً الحاشية رقم (١) من نفس الصفحة .

٣- بنو منكوجك : لم تتحدث كتب التاريخ عن هذه الأسرة إلا قليلا ، لذلك لا يمكن معرفة فترات حكم أمراء هذه الأسرة إلا بالاستعانة بالموجود الآن من نقوشهم ومسكوكاتهم . ومن المؤكد أن لأسرة بني منكوجك شعبتين حكمت إحداهما في أرزنجان وحكمت الأخرى في ديوركي . انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ،جـ١ ص ٣٣٠ وأرزنجان : بلدة طيبة مشهورة نزهة كثيرة الخيرات والأهل ، من بلاد أرمينية بين بلاد الروم وخلاط قريبة من أرزن الروم . انظر ياقوت : معجم البلدان جـ١ ، ص ١٨٠ .

٤- عن الأسرة الدانشمندية انظر علي بن صالح بن علي المحيميد : الدانشمنديون وعلاقاتهم السياسية بالقوى المعاصرة (رسالة دكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، لم تنشر ، كلية العلوم الإجتماعية ، قسم التاريخ والحضارة ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) . ==

ابنه السلطان ملكساة (٤٦٥ - ٤٨٥ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢) الذي عاصر منذ بداية حكمه اعتلاء الملك الكرجي جورج الثاني George II (٤٦٥ - ٤٨٢ هـ / ١٠٧٢ - ١٠٨٩ م) على عرش الكرج[1] .

بالرغم من أن السلطان ملكساة لم يقم أثناء فترة حكمه بقيادة أي حملة على بلاد الكرج ، بسبب انشغاله بتوطيد نفوذه في المشرق الإسلامي ومقاومة الباطنية[2] ، إلا أن غارات قبائل التركمان على ممتلكات الكرج اشتدت ضراوة ، وكانت أقوى هذه الغارات قد قامت سنة٤٧٣هـ/١٠٨٠م وقد قادها أميران تركيان اسمهما إياز وبوجكوب[3] .ويبدو أن غارات قبائل التركمان على ممتلكات الكرج قد أجبرت الملك الكرجي جورج الثاني George II على الاعتراف بالسيادة السلجوقية

== وسيواس : مدينة بأرض الروم مشهورة حصينة كثيرة الأهل والخيران والثمرات . أهلها مسلمون ونصارى والمسلمون تركمان وعوام طلاب الدنيا وأصحاب التجارات ، وعلى مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان . انظر القزريني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٣٧ .
ملطية : من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهي للمسلمين . انظر ياقوت معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٢٣

١- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٤٤٤ .

٢- عن فرق الباطنية انظر نظام الملك الطوسي / سياست نامة ، ص ٢٣٣- ٢٥٧ . وعن جهود السلطان ملكشاة ضد الباطنية انظر البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٦٨ - ٦٩ .

٣- علي المحيمد : الدانشمنديون وعلاقاتهم السياسية بالقوى المعاصرة . (رسالة دكتوراة من جامعة الإمام محمد بن سعود لم تطبع ، ص ٥٩ . نقلاً عن :
Osman Turan, Selcuklular Z amaninda Turkiey Tarihi ,P.١١٦
وإياز وبوجكوب لم أقف لهما على ترجمة فيما بين يدي من مصادر .)

عل بلاده ، فقد تعهد منذ سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠م بدفع جزية سنوية لخزانة السلطان السلجوقي ، استمرت حتى وفاة السلطان ملكشاه سنة٤٨٥هـ/١٠٩٢م[1]

وهكذا نرى أن فترة حكم السلاطين السلاجقة الأوائل قد تميزت بتوطيد نظام الحكم السلجوقي في إيران والعراق.وكذلك في بلاد ما وراء النهر[2] بالإضافة إلى جهاد الكرج ، والمحاولات الجادة لإخضاع بلادهم للسيطرة الإسلامية،ولكن الوضع لم يستمر بهذه القوة ، فقد إختل النظام السلجوقي عقب وفاة ملكشاة مما أدى إلى تراجع المسلمين، وانشغالهم عن جهاد الكرج،وهذا ما سنراه في المبحث التالي إن شاء الله تعالى .

١- Michael Pereira, east of Trebizond , P. ٧١ ;

٢- عن جهود سلاطين السلاجقة الأوائل لإخضاع بلاد ما وراء النهر للنفوذ السلجوقي . انظر مسفر الغامدي : علاقات القراخانيين بتركستان وبلاد ما وراء النهر بالدولة الإسلامية المجاورة ودورهم في نشر الإسلام (بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى ، السنة الثالثة ، العدد الخامس ، عام ١٤١١هـ) ، ص ٢٦٢ - ٢٧١ .

– النزاع بين أفراد البيت السلجوقي وأثره في امتداد نفوذ الكرج (٤٨٥ – ٤٩٨ هـ / ١٠٩٢ – ١١٠٤ م) .

رأينا كيف تمكن زعماء السلاجقة الأوائل من بسط سيطرتهم على مملكة الكرج ، وكان هذا نتيجة طبيعية بسبب اندفاع وقوة السلاجقة في بداية أمرهم ، مع ما عرف عنهم من تمسكهم بالدين الإسلامي ، إلا أنه عقب وفاة السلطان ملكشاة سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م دب النزاع بين أفراد البيت السلجوقي حول من يخلفه على عرش السلطنة السلجوقية ، فقد خلف ملكشاة بعض الأولاد ، وتنازع ابنه الأكبر بركياروق ، يؤيده أتباع الوزير السلجوقي نظام الملك ، مع أخيه الأصغر محمود بن تركان خانون[١] .

وقد تمكنت تركان خاتون من اقناع الخليفة العباسي المقتدي لأمر الله (٤٦٧ – ٤٨٧ هـ / ١٠٧٥ –١٠٩٤ م) أن يعترف بابنها سلطاناً ، وأن يذكر اسمه على منابر بغداد[٢] .

ولقد تمكنت تركان خاتون من استمالة كبار قادة الجيش السلجوقي ، الذين اعترفوا بسلطنة ابنها محمود وساعدوها في دخول

١– علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي ، ص ٢٠٠ – ٢٠١ .

٢– الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ، ص ٢١٥ – ٢١٦ ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية ، ص ٧٢ – ٧٣ .

أصفهان ، بعد أن هرب منها بركياروق ، وتوجه إلى همذان[١] .

وتذكر إحدى الباحثات أن تركان خاتون أرسلت إلى إسماعيل ياقوتي[٢] تحرضه على قتال ابن أخته بركياروق ، بعد أن وعدته بالزواج به ، فاستجاب إسماعيل ياقوتي لطلب تركان خاتون ، وسار لقتال بركياروق ، فسارع الكرج إلى تقديم المساعدات لبركياروق ، حتى تمكن بركياروق من تحقيق الانتصار على قوات إسماعيل ياقوتي.[٣]وبالرجوع إلى ابن الأثير وهو المصدر الذي اعتمدت عليه الباحثة لم نجد ما يؤيد اشتراك الكرج في هذا النزاع ، حيث ذكر ابن الأثير أن المعركة بين بركياروق وبين خاله إسماعيل ياقوتي دارت عند الكرج[٤].

١- الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ، ص ٢١٧ ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية ، ص ٧٤ . وأصفهان : مدينة عظيمة من أعلى المدن ومشاهيرها ، جامعة لأشتات الأوصاف الحميدة من طيب التربة وصحة الهواء وعذوبة الماء ، وصفاء الجو وصحة الأبدان . انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٩٦ .

وهمذان : مدينة كبيرة لها أربعة أبواب ولها مياه وبساتين وزروع كثيرة ، وهي مدينة من الجبال على طريق الحاج والقوافل . انظر أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٣١٧ .

٢- إسماعيل ياقوتي : : هو قطب الدولة أبو منصور إسماعيل بن ياقوتي بن جغري بك ، كان إقطاعة يشمل أذربيجان وأطراف بلاد الروم ، وكان جليل القدر ، شجاع النفس ، جميل السيرة ، وإليه ينسب مملوكة سكمان القطبي صاحب خلاط . انظر ابن الفوطي :تلخيص مجمع الأداب ، ح٤ ، ق٤ ، ص٦١٨ - ٦١٩ .

٣- عفاف صبرة :دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٤٤٥ .

٤- ابن الأثير : الكامل ، ح ٨ ، ص ١٦٨ .

ويبدو أن ابن الأثير قصد مدينة كَرَج [١] في إيران ، ولعل هذا هو السبب في وقوع الباحثة في هذا الوهم .

وعلى الرغم من عدم اشتراك الكرج في النزاع بين أفراد البيت السلجوقي ، إلا أنهم كانوا في طليعة القوى النصرانية المتربصة بالعالم الإسلامي التي استفادت من هذا النزاع ، فقد قام الملك الكرجي داود الثاني (٤٨٢ - ٥١٨ هـ / ١٠٨٩ - ١١٢٥ م)[٢] بالتخلص من النفوذ السلجوقي في بلاده ، فامتنع عن دفع الجزية السنوية المقررة للخزانة السلجوقية ، والتي التزم الكرج بد فعها لخزانة السلطان ملكشاة[٣] .

ولقد صمم الملك داود الثاني على طرد السلاجقةمن بلاد الكرج فأوقف هجرات قبائل التركمان إلى بلاد الكرج ، والتي كانت تحدث في مواسم معينة[٤] .

أما بالنسبة للدولة السلجوقية ، فقد تمكن السلطان بركياروق (٤٨٧ - ٤٩٨ هـ / ١٠٩٤ - ١١٠٤ م) من اعتلاء عرش السلطنة

١- كَرَج : بفتح أولة وثانية . وهي مدينة بين همذان وأصبهان في نصف الطريق ، وإلى همذان أقرب ، وأول من مصرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي وجعلها وطنه . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٠٦ .

٢- فايز نجيب إسكندر : الكرج ولأتراك السلاجقة في عهد داود الثاني (بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، القاهرة ، العدد الأول ، ١٩٩٣ م) ص ٢٥٢ .

٣- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصلسبية ، ص ٤٤٥

٤- دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٩ ، مادة تفليس ، ص ٤٤٦ .

السلجوقية ، وبسط نفوذه على معظم أقاليم الدولة السلجوقية ، بعد وفاة أخيه محمود[١] .

ولقد واجه السلطان بركيا روق تمرداً خطيراً قاده عمه تتش بن ألب أرسلان الذي استولى على بلاد الشام والجزيرة الفراتية وأذربيجان ونصب نفسه سلطاناً على الدولة السلجوقية فاضطر بركياروق إلى قتاله عند الري ، وتمكن من الانتصار عليه وقتله سنه ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥[٢] .

وكان السطان بركياروق قد أقطع أخاه محمداً إقليم الران ، فطمع محمد في اعتلاء عرش السلطنة السلجوقية ودخل في نزاع مرير مع أخيه السلطان بركياروق ، ودامت الحرب بين الأخوين مدة خمس سنوات ، تقلبت فيها نتائج المعارك بين الطرفين ، فتارة تكون لمصلحة بركياروق وتارة لصالح أخيه محمد[٣] .

ولقد استمرت الحروب بين بركياروق وأخيه محمد ، حتى سئم

١- البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٨١ ؛ الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ، ص٢١٩ ؛ ابن الأثير الكامل ، ج ٨ ، ص ١٧٠ .

٢- ابن الأثير : الكامل، ج٨ ، ص ١٧٥ ؛ سبط ابن الجوزي مرآة الزمان ، ج١ ، ص٢٤١ - ٢٤٢ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١١٩ . والري : مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن ، كثيرة الخيرات وافرة الغلات والثمرات . انظر القزويني : آثار البلاد ، ص ٣٧٥ .

٣- ابن الأثير : الكامل ، ح٨ ، ص ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٨ ؛ الحسيني : زبدة التواريخ ص ١٦١ - ١٦٥ .

الطرفان الحرب سنة ٤٩٧ هـ/١١٠٣م واتفقا على الصلح بينهما ، على أن يكون سنجر والياً على خراسان ، وتكون العرا ق لبركياروق ، بينما كان نصيب محمد بلاد الشام والجزيرة الفراتية وأذربيجان[١] .

ومما لاشك فيه أن هذه الحروب الطاحنة بين أبناء السلطان ملكشاه ، وقد استنفذت طاقات بشرية هائلة ، وموارد إقتصادية ضخمة ، كان يمكن أن تخصص لجهاد الصلبيين في بلاد الشام وجهاد الكرج[٢] .

ولقد هيأ انشغال السلاجقة بمشاكلهم الداخلية ، الفرصة للملك داود الثاني David II ، فعمد إلى تقليص سلطة أمراء الكرج الإقطاعيين ، وأجبرهم على الخضوع له ، وصار يطلق عليه لقب معيد العرش[٣].

كما عمد الملك داود الثاني David II إلى تكوين قوة عسكرية ضخمة ، بلغت أربعين ألف قفجاقي في صفوف جيشه ، كما ضم إلى جيشه خمسة آلاف عبد قام بتنصيرهم[٤] . ولقد كان لهذه القوة العسكرية

١- الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ١٦٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص ٢٢٠ ابن النظام الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية ، ص ٧٨ - ٧٩ .

٢- عن الجهاد ضد الصليبيين في بلاد الشام انظر مسفر الغامدي : الجهاد ضد الصلبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر .

٣ - Michael Pereira : "op . cit " , p , ٧١

٤- دائرة المعارف الإسلامية ، ح٩ مادة تفليس ، ص ٤٤٦ ولمزيد من التفاصيل انظر فايز نجيب إسكندر : الكرج والأتراك السلاجقة في عهد داود الثاني ، ص ٢٥٩ - ٢٦١ والقفجاق : جنس من الترك يسكنون صحارى االدشت أو صحارى القبجاق ، وهم أهل حل وترحال على عادة البدو . انظر الذهبي : دول الإسلام ، جـ١ ، ص١٠١ .

الضخمة دوراً كبيراً في تحقيق أطماعـه التوسعية على حساب ممتلكات الدولة السلجوقية / كما سنتحدث عنه بالتفصيل في البحث التالي إن شاء الله تعالى .

((موقف سلاجقة العراق وإيران من الكرج))

(٤٩٨-٥٩٠هـ / ١١٠٤-١١٩٤م)

بدأت أطماع الكرج تظهر في الممتلكات السلجوقية منذ عهد السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه (٤٩٨-٥١١هـ/١١٠٤-١١١٧م). ففي سنة٥٠٣هـ/١١٠٩م قام الكرج بالاعتداء على جنزة ((وأكثروا العيث والفساد في نواحيها))[١].وفي الحقيقة فإن اعتداءات الكرج على إقليم الران كانت تعتبر تحدياً خطيراً للسلطان محمد ، حيث أن هذا الإقليم كان يقع ضمن ممتلكاته قبل أن يعتلي عرش السلطة السلجوقية[٢].لذلك فما أن وصلت أنباء اعتداءات الكرج على جنزة إلى مسامع السلطان محمد،حتى بادر إلى إرسال قوات ضخمة لإنقاذ جنزة، وقد تمكنت عساكر السلطان محمد من إنزال هزيمة قاسية بالكرج،وقامت بمطاردة فلول الكرج المنهزمين داخل بلادهم ، ثم عادوا إلى بلادهم.

١- ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٦٨ . جنزة : بلدة حصينة قديمة من بلاد الران من ثغور المسلمين لقربها من الكرج ، وهي مدينة كثيرة الخيرات وافرة الغلات . أهلها يعتنقون مذهب السنة والجماعة ، ولا يتركون أحداً يسكن بلدهم إذا لم يكن على مذهبهم واعتقادهم حتى لا يشوش عليهم مذهبهم . والغالب عليهم ممارسة السلاح واستعمال آلات الحرب لكونهم في الثغر بقرب أرض الكفار . انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٥٢٢ . وهي تقع شمال غربي برذعة في طريق تفليس ،ويطلق عليها اليوم اسم السيزابيث بول Elizsabetpol .انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢١٣ .

٢- انظر ما سبق ، ص٧٥

محملين بالغنائم[1] .

وهكذا تمكن السلطان محمد من إخماد أطماع الكرج في جنزة ، وتلقين الملك الكرجي داود الثاني David II درساً قوياً ، بحيث لم يجرؤ بعدها على مهاجمة إقليم الران طوال فترة حكم السلطان محمد[2].

وعقب وفاة السلطان سنة ٥١١هـ/١١١٧م ازدادت أطماع الكرج في الأراضي الإسلامية ، ففي سنة ٥١٤هـ /١١٢٠م هاجم الملك داود الثاني David II مدينة تفليس ، ولما أدرك أهالي تفليس عجزهم وضعفهم عن مقاومة الكرج ، استنجدوا بالملك طغرل بن محمد[3] حاكم إقليم الران ، الذي تزعم القوات الإسلامية التي حاولت إنقاذ المدينة ، إلا أن هذه القوات تعرضت لهزيمة حاسمة قرب تفليس ، وانتهى الأمر بسقوط المدينة بيد الكرج في أوائل سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م[4] .

١- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٤٤٦ .

٢- يذكر ابن الأثير أن الكرج لم يقوموا بأي انتهاك للأراضي الإسلامية طوال عهد السلطان غياث الدين محمد . انظر ابن الأثير : الكامل ،جـ٨ ،ص٢٩٣ .

٣- طغرل بن محمد : كان خيراً عاقلاً عادلاً قريباً إلى الرعية محسناً إليهم ، وكان قبل موته قد خرج من داره يريد السفر لقتال أخيه مسعود ، فدعا له الناس فقال ادعوا بخيرنا للمسلمين ، ولما توفي استولى أخوه على عرش السلطة السلجوقية.انظر ابن الأثير: الكامل ،جـ٨ ،ص٣٤٥ . وقد تولى طغرل بن محمد عرش السلطة السلجوقية في الفترة(٥٢٦-٥٢٧هـ/١١٣٢-١١٣٣م) انظر استانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ،ص١٤٥ .

٤- انظر الفصل الثاني ، ص١١٦-١٢٤

ولقد صمم الملك داود الثاني David II على الانتقام من الملك طغرل بن محمد ، لتزعمه للقوات الإسلامية التي حاولت انقاذ تفليس ، ففي السنة التالية ٥١٦هـ/١١٢٢م تعرضت مدينة جنزة لزلزال مدمر ، أدى إلى خسف جزءً منها ، وتخريب أسوارها ، وعندما وصلت أنباء هذا الزلزال إلى مسامع الملك داود الثاني David II استغل الوضع المأسوي الذي أصاب المدينة وسكانها فقاد جيشه ، وتوجه إلى جنزة ، وتمكن من دخولها ، وقام بنهب المدينة ، وأعمل السيف في سكانها ، ثم عاد إلى تفليس ومعه جموع غفيرة من أسرى المسلمين ، وقد قام أهالي تفليس من المسلمين بإنفاق أموالاً طائلة لافتداء إخوانهم من الأسر . مما يدل على تمسكهم بتعاليم دينهم[1] .

أما بالنسبة للملك طغرل بن محمد ، فقد أهمل شئون ممتلكاته في إقليم الران ، وانشغل بخلافاته مع أخيه السلطان محمود[2] (٥١١-٥٢٥هـ / ١١١٧-١١٣١) حتى تمكن الكرج من نهب جنزة .

ومن المرجح أن ما حققه الملك داود من انتصارات على المسلمين في تفليس وجنزة، قد شجعه على المضي قدماً في سياسته الهادفة إلى

١- الفارقي:ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٧٠ب و ١٧١أ ؛ بدر الدين العيني : عقد الجمان ، جـ١١ ،ورقة ١٩٩أ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ٢ ،ص٧٤٣-٧٤٤ ؛ ابن أيبك الدوادري : كنز الدرر وجامع الغرر ،جـ٦،ص٤٩٠؛

٢- عن النزاع بين الملك طغرل وأخيه السلطان محمود . انظر ابن الأثير: الكامل ،جـ٨ ، ص٢٨٥،٢٨٦،٣٠٦،٣٠٧ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ،ص٥٥،٦٠ .

الاستيلاء على ممتلكات المسلمين وتوسيع رقعة مملكته ، ففي أواخر سنة ٥١٦هـ /١١٢٢-١١٢٣م توجهت أطماع الكرج نحو إقليم شروان ، وتعرضت مدينة دربند شروان[١] لأعنف غاراتهم ، ولما أدرك أهالي المدينة عجزهم وضعفهم عن مقاومة غارات الكرج ، قرروا الاستنجاد بالسلطان السلجوقي محمود ، فأرسلوا وفداً من أعيانهم لمقابلته في همذان ، وقد شرح أعضاء الوفد للسلطان السلجوقي ما وصلت إليه أحوال المسلمين في شروان من ضعف بسبب اعتداءات الكرج المستمرة على بلادهم ، فلبى السلطان محمود استغاثة أهالي دربند شروان ، وقرر التوجه إلى إقليم شروان[٢] .

ولقد قام السلطان محمود قبل وصوله إلى شروان ، بتوجيه ضربات قوية للكرج ، بدليل ما ذكره ابن العبري من أن سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م شهدت غارات عنيفة قام بها السلطان محمود ضد الأراضي الكرجية ، وأن الكرج قاموا بحشد الدروب والطرقات بالمقاتلين للدفاع عن بلادهم[٣].

١- دربند شروان : ويطلق عليها اسم باب الأبواب ، وهي مدينة تقع على بحر الخزر -قزوين- ويحيط بها سور من الحجارة ، وهي أحد الثغور الجليلة العظيمة ، لأنها كثيرة الأعداء الذين يحيطون بها من أمم شتى . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٣٦٠ .

٢- ابن الأثير : الكامل ،جـ٨،ص٣١٣.

٣- ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص١٣٩ .

وعندما وصل السلطان محمود إلى شروان ، كانت القوات الكرجية - التي قدرها البنداري بثلاثين ألف فارس[١] - تعسكر بالقرب من مدينة شماخي[٢] ، بينما احتشدت القوات السلجوقية في أحد البساتين القريبة من المدينة ، وقام الكرج بالاقتراب من القوات السلجوقية ، وقد سببت هذه المناورة الكرجية الاضطراب والارتباك في صفوف المسلمين ، حتى أن الوزير شمس الملك عثمان بن نظام الملك[٣]،أشار على السلطان محمود بالرجوع إلى همذان ، وترك أهالي شروان يدبرون أمورهم مع الكرج ، فلما سمع أهالي شروان بذلك استعطفوا السلطان محمود ، وبينوا ما يترتب على رحيله من انهيار الروح المعنوية للمسلمين في شروان ، وما ينتظرهم من مصير مظلم على يد الكرج ، وذكروا له أنهم على أتم استعداد لمشاركة الجيش السلجوقي في أداء فريضة الجهاد ، فاقتنع السلطان محمود بكلامهم ، وقرر البقاء في شروان ، وأخذ في ترتيب قواته للقاء الكرج ، ولكن أثناء الليل حدث نزاع وقتال بين الكرج والقفجاق ، وهاتان الطائفتان كانتا تشكلان عصب القوة العسكرية للملك داود David، وقد أدى هذا القتال إلى اضطراب صفوف الكرج ، فعادوا إلى بلادهم

١- البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص١٣٢ .

٢- شماخي : مدينة عامرة ،وهي قصبة بلاد شروان في طرف أران ، تعد من أعمال باب الأبواب . انظر ياقوت : معجم البلدان ،جـ٣،ص٤٠٩.

٣- شمس الملك عثمان بن نظام الملك:استوزره السلطان محمود بعد مقتل وزيره أبو طالب السميرمي سنة٥١٣هـ، إلا أنه كان سيء السيرة ، غضب عليه السلطان فقتله عند بيلقان سنة ٥١٧هـ، وقيل أن قتله كان بأمر السلطان سنجر.انظر البنداري : تاريخ دولة أل سلجوق ، ص١٢٩،١٣٢،١٣٣ .

شبه منهزمين[١] .

أما السلطان محمود فقد أقام في شروان مدة من الزمن ، رتب خلالها أمور الإقليم ، واطمأن على أحوال المسلمين في هذه المنطقة ، ثم عاد إلى همذان سنة ٥١٧هـ / ١١٢٣م[٢] .

أما بالنسبة للملك الكرجي داود الثاني David II ، فإنه على الرغم من اعتداءاته المستمرة على ممتلكات المسلمين في شروان وغيرها إلا أنه كان يعترف بالسيادة السلجوقية على بلاده ، بدليل ما ذكره الفارقي من أن العملة الكرجية كتب عليها ((اسم السلطان والخليفة في الوجه الواحد وفي الوجه الآخر اسم الله واسم النبي عليه السلام واسمه على جانب الدرهم))[٣] . ويبدو أن الملك الكرجي كان يهدف بالاعتراف

١- ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص٣١٣ ؛ النويري : نهاية الأرب ،جـ٢٧ ،ص٢٤ ؛ ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ،جـ١٢، ص١٤١ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ،ص٦١ ؛ ويذكر ابن العمراني أن السلطان محمود عندما وصل إلى شروان ، تهرب عن لقاء الكرج ، وأن الملك الكرجي ديمتريوس Demetrius أرسل إليه يقول : ((قد سمعت عنك أنك قلت أنا أمضي وأقلع بيت داود ، وابن داود قد تقدم إليك خمسين فرسخاً ، فإن كنت رجلاً فتقدم إليه خمسة فراسخ ولولا أنك صاحب تخت وتاج وقد جرت عوائدنا بحفظ حرمة الملوك ، وإلا لهجمت عليك وأسرتك فأذهب بحرمتك ، ولا تحدث نفسك بعد هذا بقصدي)) . فلما سمع السلطان محمود رسالة دمتريوس عاد إلىبلاده . انظر ابن العمراني : الأنباء في تاريخ الخلفاء ،ص٢١٤ . وررواية ابن العمراني يغلب عليها الطابع القصصي بالاضافة الى أن الملك داود الثاني كان في هذه الفترة لا يزال على قيد الحياة وممسكا بزمام الأمور في مملكة الكرج .

٢- ابن الأثير : الكامل ،جـ٨ ،ص٣١٢ .

٣- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٧٠ب .

بالسيادة السلجوقية على بلاده لكسب ولاء السكان المسلمين الخاضعين للحكم الكرجي ، والذين كانوا يشكلون جزءً كبيراً من سكان مملكة الكرج .

وعندما توفي الملك داود الثاني David II سنة ٥١٨هـ/١١٢٥م[١]. خلفه على العرش ابنه ديمتريوس الأول ١. Demetrius (٥١٩-٥٥٠هـ/١١٢٥-١١٥٥م)[٢] . ولقد سار ديمتريوس Demetrius على نفس سياسة أبيه بالاعتراف بالسيادة السلجوقية على بلاده ، بدليل ما ذكره مينورسكي Minorsky من أنه تم العثور على عملة يرجع تاريخها إلى عصر ديمتريوس ، مكتوب على وجهها باللغة العربية والكرجية ، ملك الملوك ، وعلى ظهرها محمود بن ملكشاه[٣] . كما ذكر مينورسكي أيضاً أنه تم العثور على عملة أخرى ترجع إلى عصر الملك ديمتريوس ، مكتوب على وجهها باللغة العربية والكرجية ((ملك الملوك حسام المسيح ديمتريوس)) وظهر العملة مكتوب في وسطه باللغة العربية المقتفي لأمر ا لله

١- اختلفت المصادر الإسلامية في ذكر تاريخ وفاة الملك الكرجي داود الثاني فقد ذكرت بعض المصادر أنه توفي سنة٥١٦هـ . انظر الأصفهاني : البستان الجامع ، ورقة ٩٨أ ؛ ابن أيبك : كنز الدرر ،جـ٦ ، ص٤٩٠ . بينما ذكر البعض أنه توفي سنة ٥١٨هـ . انظر ابن الأثير : الكامل،جـ٨ ،ص٣١٧ ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ،جـ٤ ،ص٤٢ ؛ فايز نجيب اسكندر : الكرج والأتراك السلاجقة في عهد داود الثاني (بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، القاهرة ، العدد الأول ،١٩٩٣م) ،ص٢٨٨ .

٢- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٥٣٧.

٣- Minorsky , The Turks , Iran and the caucasus in the middle ages, p . ٣١ .

أمير المؤمنين[١] ، وتحتها السلطان مسعود[٢] . وقد استدلت إحدى الدراسات من هذا النص على أن السيادة السلجوقية ظلت قائمة على بلاد الكرج حتى عصر ديمتريوس Demetrius[٣].

ويبدو أن الملك الكرجي ديمتريوس Demetrius حاول إقامة علاقات حسنة مع السلطان السلجوقي مسعود بن محمد ، فقد أشار البنداري إلى أن السلطان مسعود تزوج من ابنة ملك الكرج[٤].

و لم تقتصر علاقات الملك ديمتريوس Demetrius بالسلطان مسعود فقط ، بل حدثت مراسلات بين ديمتريوس والسلطان سنجر(٥١١-٥٥٢هـ/١١١٧-١١٥٧م)[٥] فلقد ذكر مينورسكي Minorsky أنه ورد في تاريخ مدينة بيهق[٦] مانصه ((في شهر صفر٥٤٣هـ / يوليه ١١٤٨م

١- الخليفة العباسي أبو عبد الله محمد المقتفي لأمر الله ، حكم الدولة العباسية في الفترة (٥٣٠-٥٥٥هـ / ١١٣٦-١١٦٠م) . انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ،جـ١،ص١٣ . والسلطان غياث الدين مسعود : حكم الدولة السلجوقية في الفترة (٥٢٧-٥٤٧هـ/ ١١٣٣-١١٥٢م) . انظر استانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ، ص١٤٥ .

٢- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ص٤٥٢ .

٣- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ،ص٤٥٢ .

٤- البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٢١٥ .

٥- استانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ، ص١٤٣ .

٦- تاريخ مدينة بيهق : كتاب في تاريخ وجغرافية مدينة بيهق ، وقد اشتمل على تراجم لأشهر أدباء وعلماء مدينة بيهق ، وقد ألف هذا الكتاب أبو الحسن علي بن أبي القاسم زيد بن محمد البيهقي المعروف بابن فندق في عام ٥٦٣هـ /١١٦٧م . انظر أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة ،ص٢٦٩ .

أرسل ملك الأبخاز ديمتريوس بن داود بن يعقوب الملقب ((بحسام المسيح)) مبعوثين شخصيين إلى السلطان سنجر بن ملكشاه ، ووجها إليه أسئلة باللغتين العربية والسريانية ، لأنهم كتبوا أسئلتهم بهاتين اللغتين ، وقد أعددنا نسخاً من الأسئلة والأجوبة عليها ، سنوزعها في جميع أنحاء البلاد النائية ، عن طريق القوافل))[١] .

وعلى الرغم من اعتراف الملك ديمتريوس Demetrius بالسيادة السلجوقية على بلاده ، إلا أنه لم يتخل عن أطماعه التوسعية في إقليم الران ، ففي سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨ تعرضت مدينة جنزة لزلزال مدمر ، أدى إلى تخريب المدينة وتهديم أسوارها ، ومات عشرات الآلاف من سكانها تحت الأنقاض ، وكان من بين القتلى زوجة وأولاد حاكم إقليم الران الأتابك[٢] قراسنقر[٣] .

---

١ - عفاف صبرة:دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٤٥٢ - ٤٥٣ .

٢-الأتابك كلمة تركية تتألف من لفظين((أتا))بمعنى أب و((بك)) بمعنى أمير أومربي وقيل أبو الأمراء ،وكانت مهمة الأتابك رعاية وتربية أبناء السلاطين السلاجقة.انظر القلقشندي:صبح الأعشى،جـ٤ ،ص١٨.

٣- الذهبي : تاريخ الإسلام (مخطوط) ،جـ٩ ، ورقة ١٢٧ب؛ ابن الجوزي : المنتظم ،جـ١٧ ، ص٣٣٥؛البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ،ص١٧٥؛ ابن كثير : البداية والنهاية ،جـ١٢ ، ص٢٣٠ ،ويذكر ابن الأثير أن هذه الحادثة وقعت سنة ٥٣٤هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ،ص٣٦٨ . و قراسنقر : كان في بداية أمره مملوكاً للسلطان طغرل بن محمد ، وما زال يترقى في سلك المناصب الحكومية ، حتى ولاه السلطان مسعود حاكماً على أذربيجان والران ، ومات في أردبيل سنة ٥٣٥هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ،جـ٨ ،ص٣٦٩ .

ويذكر البنداري أنه عندما وصلت أنباء الزلزال إلى مسامع الكرج، قاموا بالهجوم على المدينة المنكوبة ، وقتلوا كل من وجدوه حياً من سكانها ، ولم ينجُ من بطشهم إلا من اعتصم بقلعة المدينة ، ثم عاد الكرج إلى بلادهم محملين بالغنائم ، وكان من ضمن هذه الغنائم الباب الحديدي لمدينة جنزة ، ويضيف البنداري أيضاً بأن الكرج قاموا ببناء مدينة في بلادهم سموها جنزة ، وقاموا بتعليق الباب الحديدي فيها[١]. وهذه صورة من عدم الرحمة والانسانية والحقد الصليبي على المسلمين .

أما بالنسبة لحاكم إقليم الران الأتابك قراسنقر ، فقد كان أثناء هجوم الكرج على جنزة منشغلاً بخلافاته مع حاكم إقليم فارس بوزابه[٢]. مما هيأ للكرج دخول جنزة ونهبها دون أن يعترضهم أحد .

وعندما بلغت أنباء الزلزال الذي ضرب جنزة إلى مسامع الأتابك قراسنقر ، عاد مسرعاً إلى إقليم الران ، فلما وصل إلى جنزة علم بما فعله الكرج في المدينة ، فصمم على الانتقام منهم ، فهاجم مدينة جنزة الكرجية واستولى عليها ، وقام بإحراقها ، بعد أن استرجع الباب

١- البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ،ص١٧٥-١٧٦ .

٢- عن الخلافات بين الأتابك قراسنقر وبوازبة انظر ابن الأثير : الكامل ،جـ٨ ،ص٣٦٥ ؛ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ،ص١٧٤-١٧٥ . وفارس : ناحية مشهورة ، يحدها من الشرق كرمان ، ومن الغرب خوزستان ، ومن الشمال خراسان ، ومن الجنوب البحر ، وبها مواضع شديدة البرد . انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٢٣٢-٢٣٣ . وبوزابه : كان في بداية أمره نائباً للأمير منكبرس على خوزستان ، وعندما قتل منكبرس سنة ٥٣٢هـ استولى على إقليم فارس ، غضب عليه السلطان مسعود فحاربه وقتله سنة٥٤٢هـ . انظر ابن الأثير جـ٨ ،ص٣٦١ و جـ٩ ،ص١٦ .

الحديدي لمدينة جنزة الإسلامية ، وعندما عاد إلى جنزة ، أمر بإعادة بناء أسوارها ، وأعاد الباب الحديدي في مكانه[1] .

ويشكك أحد المستشرقين في صحة رواية البنداري ، ويذكر أنها لا تتفق مع الواقع ،لأن الباب الحديدي الذي استولى عليه الكرج من جنزة ، لايزال موجوداً في دير جلثي Gelathi في كوتايس Koutais وتوجد عليه كتابة باللغة الكرجية تروي قصة انتقال هذا الباب ، ولا تزال عليه كتابة عربية يرجع تاريخها إلى عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م وهو العام الذي أقيم فيه هذا الباب[2] . ولا نستطيع أن نشكك في رواية البنداري ، فمن المؤكد أن الكرج استولوا على مدينة جنزة في عام ٥١٦هـ/١١٢٢م ، وربما قاموا بنقل الباب الحديدي لمدينة جنزة إلى كوتايس Koutais ، وسجلوا عليه أخبار انتصاراتهم ، وهذا استدلال يمكن أن نطمئن إليه ، ومن خلاله نستنتج أن الباب الحديدي لجنزة والذي تحدث عنه البنداري ليس هو نفس الباب الموجود في دير جلثي Gelathi في كوتايس Koutais .

١- البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ،ص١٧٦ .

٢- دائرة المعارف الإسلامية ،جـ٧ ، مادة جنزة ، ص١٢٣ . وكوتايس : هي عاصمة مقاطعة امريثي وتقع على نهر ريونة . انظر فايز نجيب إسكندر : الكرج والأتراك السلاجقة في عهد داود الثاني (بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، القاهرة ، العدد الأول ،١٩٩٣م) ،ص٢٥٥ نقلاً عن Laurent,p.٦١.n.٥١ . أما بالنسبة للأبواب الحديدية في جنزة فترجع إلى عهد الحاكم الشدادي أبو الأسوار شاور ، فقد ذكر المولوي أنه ((في سنة ٤٥٥هـ بنى أبو الأسوار حول ربض جنزة سوراً حصيناً وعلق عليها أبواباً محكمة ، وضرب حواليها خندقاً عميقاً ، وصارت جنزة أضعاف ما كانت)) . انظر المولوي : صحائف الأخبار ،جـ١ ، ورقة ٥٠٧أ .

ولقد ظل حكام إقليم الران وبحكم قربهم من ممتلكات الكرج ، يتحملون عبء الجهاد ضد الكرج ، ففي سنة٥٤١هـ/ ١١٤٦م قام حاكم إقليم الران الأتابك عبد الرحمن بن طغايرك[1] بتجهيز قوات ضخمة للقيام بغزوات واسعة في بلاد الكرج ، وعندما وصلت الحملة الإسلامية إلى شمكور[2] ، قام بعض أمراء الحملة بزعامة خاصبك بن بلنكري[3] باغتيال عبد الرحمن بن طغايرك ، وقد أعاقت عملية الاغتيال هذه إرسال الحملة إلى بلاد الكرج[4].

وقد يتبادر إلى الذهن أن السلطان مسعود أصدر أوامره باغتيال عبدالرحمن بن طغايرك ، ليمنعه من غزو ممتلكات الكرج ، وفي الحقيقة أن

١- عبد الرحمن بن طغايرك : كان حاجباً للسلطان مسعود ، أقطعه إقليم الران بعد وفاة حاكمها جاولي ، وعند مسيره إلى إقليم الران اصطحب معه بعض أمراء السلطان مسعود مثل إيلدكز وخاصبك بن بلنكري ، وعندما وصل إلى إقليم الران قام هؤلاء الأمراء بقتله ، بأمر من السلطان مسعود. انظر ابن النظام الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية ،ص١٢٤-١٢٥ .

٢- شمكور : قلعة بنواحي الران ، بينها وبين جنزة يوم وأحد عشر فرسخاً . انظر ياقوت : معجم البلدان ،جـ٣ ، ص٤١٣ . ولا تزال خرائبها موجودة حتى اليوم ، وكانت تعرف بالمتوكلية . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ،ص٢١٣ .

٣- خاصبك بن بلنكري : صبي من التركمان نفق على السلطان مسعود فقدمة على جميع الأمراء ، وصار له من المال مالا يحصى ، فلما مات مسعود خطب لملكشاه ، ثم قبض على ملكشاه ، ونصب محمد بن محمود السلجوقي على عرش السلطنة السلجوقية في همذان ، فخاف محمد من تمرده عليه ، فقتله سنة٥٤٨هـ . انظر ابن الجوزي : المنتظم ،جـ١٨ ،ص٩١-٩٢ .

٤- البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ،ص١٩٩ ؛ الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٢٢٣-٢٢٤ .

وراء عملية الإغتيال هذه دوافع داخلية ، دفعت بالسلطان مسعود على الأمر بها ، لا سيما وأن عبد الرحمن بن طغايرك اتفق مع بوازيه حاكم فارس وعباس[١] حاكم الري على السيطرة على مقاليد الحكم في الدولة السلجوقية وحرمان السلطان مسعود من سلطاته[٢] .

وعندما توفى السلطان مسعود سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م تمكن ابن أخيه السلطان محمد بن محمود(٥٤٨-٥٥٤هـ/١١٥٣-١١٥٩م) من بسط نفوذه على عرش السلطنة السلجوقية[٣].وقد دخل في بداية حكمه في صراع مرير مع عمه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه[٤]،الذي اعترف به الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله سلطاناً على الدولة السلجوقية، و لم يكتف الخليفة العباسي بذلك بل حرض سليمان شاه

١- عباس : كان مملوكاً للسلطان محمود بن محمد ملكشاة ، ومازال يترقى في سلك المناصب الحكومية ، حتى عين حاكماً على الري ، وكان حسن السيرة ، عادلاً في رعيته ، كثير الجهاد للباطنية ، قتل منهم كثيراً ، وبنى من رؤوسهم منارة في الري ، وحاصر قلعة ألموت مدة ، غضب عليه السلطان مسعود ، فقتله في بغداد سنة ٥٤١هـ ، ودفن بالري . انظر ابن الأثير : الكامل /جـ٩ /ص١٥ .

٢- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص١٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ،جـ٢٧ ،ص٤٧ ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية ،ص١٢٤-١٢٥؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ،ص٧٨-٧٩ .

٣- الحسيني: زبدة التواريخ ،ص٢٣٧-٢٣٨ ؛ الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ،ص٣٧٢ .

٤- سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه : حكم الدولة السلجوقية في الفترة (٥٥٤-٥٥٦هـ / ١١٥٩-١١٦١م).انظر أحمد السعيد سليمان تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، جـ١ ،ص٣٢١ .

على قتال ابن أخيه السلطان محمد ، وانضم إلى سليمان شاه ثلاثة آلاف جندي من قوات الخلافة العباسية ، كما انضمت إليه قوات حاكم إقليم الران الأتابك إيلدكز[١] .

أما بالنسبة للسلطان محمد ، فقد قاد قواته ، وسار إلى إقليم الران ، جيث التقى مع عمه سليمان شاه وإيلدكز عند نهر الرس ، وهزمهما هزيمة نكراء في سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م ، كما تمكن من دخول نخجوان ، بعد أن غادرها إيلدكز[٢] .

وأقام السلطان محمد مدة من الزمن في إقليم الران ، رتب خلالها أمور الإقليم ، وأجتمع في نخجوان مع بعثة كرجية أرسلها الملك داود الثالث David III (٥٥٠-٥٥١هـ / ١١٥٥-١١٥٦م)[٣] لعقد الصلح مع السلطان محمد ((فصالحهم على ما أرادوا))[٤] .

وعلى الرغم من أن السلطان محمد وافق على عقد الصلح مع الكرج ،إلا أنه لم يكن مطمئناً إلى هذا الصلح ، بدليل أنه

١- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩،ص٤٨-٤٩ ؛ النويري : نهاية الأرب ،جـ٢٧ ،ص٥٨ ؛ أبو الفداء: المختصر ،جـ٣ ،ص٢٩ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ،ص٨٤ .

٢- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٢٥٣-٢٥٤ ؛ الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ، ص٣٨٢-٣٨٣ . ونهر الرس : يعرف لدى اليونان باسم اراكسس ، وينبع نهر الرس أو أرس في بلاد قيلقية في غربي أرمينية ، ويجري بمحاذاة حدود أذربيجان الشمالية ، ويلتقي مع نهر الكر عند بلاد قراباغ -في شرقي الران- . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ،ص٢١٣ .

٣- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ،ص٤٥٦ .

٤- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٢٥٤-٢٥٥ ، والحاشية : رقم (١) من ص٢٥٥ .

قبل اعتذار إيلدكز وأعاده إلى منصبه كحاكم لإقليم الران ، بعد أن أخـذ عليه العهود والمواثيق بأن لا يلجأ إلى العصيان عليه مرة ثانية[1] .

وعندما توفى السلطان محمد سنة ٥٥٤هـ /١١٥٩م ، تمكن إيلدكز في سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م من دخول همذان ، ونصب ربيبه-ابن زوجته- أرسلان شاه بن طغرل على عرش السلطنة السلجوقية (٥٥٦-٥٧٣هـ/ ١١٦١-١١٧٧م) ، وصار إيلدكز أتابكاً له[2] .

ولقد قاد السلطان أرسلان شاه القوات الإسلامية التي قامت بغزو بلاد الكرج سنة٥٥٨هـ/١١٦٣م وحققت انتصارات رائعة على الكرج[3].

وعندما توفى السلطان أرسلان شاه سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م خلفه ابنه طغرل الثالث (٥٧٣-٥٩٠هـ/١١٧٧-١١٩٤م) . ولم أعثر للسلطان طغرل على أي معلومات تفيد وجود علاقات بينه وبين الكرج،ويبدو أن السبب الرئيسي في ذلك يرجع إلى انشغاله طوال فترة حكمه ،بمنازعاته مع أبناء عمه البهلوان[4].ومنازعاته مع الخلافة العباسية، التي قامت بتحريض السلطان الخوارزمي تكش (٥٦٨-٥٩٦هـ/١١٧٢-١١٩٩م)

١- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٢٥٥ ؛ الرواندي : راحة الصدور وآية السرور،ص٢٨٣ .

٢- ابن الأثير:الكامل ،جـ٩ ،ص٧٢-٧٣ ؛ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ،ص٢٧١-٢٧٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ،جـ٢٧ ،ص٦٠-٦١ ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية ،ص١٤٢-١٤٤ .

٣- انظر الفصل الثاني ، ص١٥٤ - ١٥٨ .

٤- عن النزاع بين السلطان طغرل الثالث وأبناء عمه البهلوان ، انظر الرواندي : راحة الصدور ، ص٥٠٢-٥١٢ .

على القضاء عليه ، وقد تمكن تكش من هزيمة السلطان طغرل قرب الري، وقتله سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م[1] .

ويتضح مما سبق ذكره ، أن سلاطين سلاجقة العراق وإيران ، انشغلوا معظم فترات حكمهم بالمنازعات والحروب الداخلية فيما بينهم ، مما شجع الكرج على شن الغارات ضد ممتلكات سلاجقة العراق وإيران، كما يتضح أيضاً أن حكام إقليم الران تحملوا عبء الجهاد ضد الكرج.كما أن سلاجقة العراق وإيران لم يكن بينهم وبين أبناء عمومتهم سلاجقة الروم أي تنسيق في سياستهم إزاء الكرج ، الأمر الذي ساعد الكرج على تنفيذ مطامعهم . كما سيتضح في المبحث التالي.

١- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٣١٢-٣١٣ ؛ الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ، ص٥١٣-٥١٤ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٢٣٠ ؛ أبو الفداء : المختصر ، جـ٣، ص٨٩ .

العلاقات بين سلاجقة الروم والكرج

(٤٧٠-٦٢٨هـ / ١٠٧٧-١٢٣١م)

لقد أعقب انتصار المسلمين على البيزنطيين في معركة ملازكرد سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م قيام هجرات كثيفة ، قام بها الأتراك السلاجقة ، الذين أتوا الى آسيا الصغرى لكي يستقروا ، وأحضروا مع جيوشهم كل قبائلهم وأسرهم ومواشيهم بحثاً عن مراعٍ وبيوت جديدة[١] .

ولقد تمكن الأمير السلجوقي سليمان بن قطلمش[٢] ، بمساعدة قبائل التركمان ، من بسط نفوذه على أجزاء كبيرة من آسيا الصغرى على أراضي الدولة البيزنطية ، واتخذ من نيقية عاصمة له ، وبذلك تأسست دولة سلاجقة الروم سنة ٤٧٠هـ /١٠٧٧م[٣] .

و لم أعثر - فيما بين يدي من مصادر - على معلومات تفيد وجود علاقات بين سليمان بن قطلمش والكرج ، ويبدو أن السبب في ذلك

١- حسنين محمد ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص١٩٢ . وانظر أيضاً تامارا تالبوت رايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص٤٣ .

٢- سليمان بن قطلمش : حكم دولة سلاجقة الروم في الفترة (٤٧٠-٤٧٩هـ / ١٠٧٧-١٠٨٦م) انظر استانلي لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ، ص١٤٥ .

٣- علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي ، ص١٧٣،١٧٥ . ولمزيد من التفاصيل عن دولة سلاجقة الروم انظر النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٩٠-١١٤ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ، ص١٨٦-٢٠١ ؛ تامارا تالبوت رايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص٤٢-٩٥ . ونيقية : من اعمال اصطنبول على البر الشرقي ، عقد فيها أول مجمع ديني نصراني . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥،ص٣٨٥ . وقد أطلق عليها الأتراك اسم يزنيق أو أزنيق . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٩٠ .

يرجع الى انشغال سليمان بن قطلمش طوال فترة حكمه ، في بسط نفوذه على آسيا الصغرى وشمال بلاد الشام[١] . بالإضافة إلى أن بعض الإمارات الإسلامية في آسيا الصغرى وأرمينية ، تحملت عبء حركة الجهاد ضد الكرج ، فقد ذكر المولوي أن الأمير منكوجك صاحب أرزنجان ، كان من أكثر أمراء المسلمين قياماً بأعباء الجهاد ضد الكرج ، وكان أُمراء الأسرة الدانشمندية يشتركون معه أحياناً في هذا الجهاد[٢] .

وعلى الرغم من أن سليمان بن قطلمش لم يساهم في الجهاد ضد الكرج ، إلا أن ابنه قليج أرسلان الأول (٤٨٥-٥٠٠هـ / ١٠٩٢-١١٠٦م) قام بتقديم بعض المساعدات العسكرية لأمراء القوى الإسلامية في آسيا الصغرى في جهادهم ضد الكرج[٤] .

وعقب وفاة السلطان قليج أرسلان الأول سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م ، تمكن ابنه مسعود في سنة ٥١٠هـ / ١١١٦م من الاستيلاء على قونية من يد أخيه السلطان ملكشاه الأول (٥٠٠-٥١٠هـ / ١١٠٦-١١١٦م)

١- عن جهود سليمان بن قطلمش في بسط نفوذه على آسيا الصغرى وشمال بلاد الشام . انظر سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان (الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة) ، ص٢٢٩ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب،جـ٢،ص٨٦-٩٢ ؛ زبيدة عطا : بلاد الترك في العصور الوسطى ، ص٥٥-٦٢.

٢- المولوي : صحائف الأخبار ، جـ١ ، ورقة ٦٠٤ب .

٣- تامارا تالبوت رايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص٦٥ .

وأعلن نفسه سلطاناً على سلاجقة الروم (٥١٠-٥٥١هـ / ١١١٦-١١٥٦م)[١].

وعلى الرغم من أن السلطان مسعود تربع على عرش سلطنة سلاجقة الروم أكثر من أربعين سنة ، إلا أنني لم أعثر - فيما بين يدي من مصادر - على أي معلومات تفيد وجود علاقات بينه وبين الكرج ، ويرجع السبب في ذلك إلى عدم وجود حدود جغرافية مشتركة بين ممتلكات سلاجقة الروم والكرج[٢].

وعندما توفي السلطان مسعود سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م دب النزاع بين أولاده[٣] . وقد حاول الأمير شاهنشاه بن مسعود صاحب مدينة أنقرة بمساعدة بعض أمراء البيتين السلجوقي والدانشمندي الإطاحة بحكم أخيه السلطان قليج أرسلان الثاني (٥٥١-٥٨٨هـ / ١١٥٦-١١٩٢م)[٤] . ومن المرجح أن الإمبراطورية البيزنطية حرصت على حفظ التوازن بين زعماء المسلمين، حتى تستنزف قواهم في المنازعات

١- ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص١٣٢. وقونية : من أعظم مدن الإسلام في بلاد الروم ، وبها وبأقصرى سُكنى ملوكها . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٤٧١ .

٢- انظر الخريطة رقم (١) .

٣- ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٣٢ .

٤- ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص١٧٥ . وأنقرة : مدينة مشهورة بأرض الروم ، تقول العجم أنكورية . انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٥٠٦ .

الداخلية[1].ولما كانت تدرك أن أقوى حكام المسلمين في آسيا الصغرى هو السلطان قليج أرسلان الثاني ، فقد عملت على تحجيمه ، لذلك أرسل الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين Manuel Comnena (٥٣٨-٥٧٦هـ / ١١٤٣ - ١١٨٠م) .حملة كبيرة سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م ضد ممتلكات السلطان قليج أرسلان الثاني ، وقد حققت الحملة البيزنطية بعض الانتصارت على قوات السلطان قليج أرسلان عند وادي نهر الماندر ، الأمر الذي أجبر السلطان على طلب الصلح من الإمبراطور البيزنطي[2].

وفي سنة ٥٥٧هـ / ١١٦١م - ١٢٦٢م قام السلطان قليج أرسلان الثاني بزيارة القسطنطينية ومكث فيها ثمانين يوماً في ضيافة الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين ، حيث وقّع على معاهدة الصلح مع الدولة البيزنطية[3].

ونتيجة لهذا الصلح فقد تمكن السلطان قليج أرسلان الثاني في سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م من الإستيلاء على سيواس،وفر أميرها الدانشمندي ذو النون[4]

١- علي الغامدي : معركة ميريو كيفالوم (بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى ، العدد الأول ، عام ١٤٠٩هـ) ، ص١٣٢ .

٢- علي الغامدي : معركة ميريوكيفالوم ، ص١٣٢ .

٣- ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص١٧٥.

٤- ذو النون : حكم الإمارة الدانشمندية في سيواس فترتين ، الفترة الأولى سنة ٥٣٧هـ/١١٤٢م . والفترة الثانية (٥٦٤-٥٧٠هـ / ١١٦٨ - ١١٧٤م) انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، جـ١ ، ص٣٢٨ .

إلى القسطنطينية[١] .

أما بالنسبة للأمير السلجوقي شاهنشاه ، فقد هرب من أخيه السلطان قليج أرسلان الثاني ، وتوجه إلى خلاط ثم الى أذربيجان ، وعندما لم يتمكن من إقناع القوى الإسلامية في هذه المنطقة من تقديم المساعدة له ضد أخيه ، توجه في سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م الى تفليس ، حيث استقبله الملك جورج الثالثGeorge III(٥٥١-٥٨٠هـ / ١١٥٦-١١٨٤م)[٢] وبالغ في إكرامه والحفاوة به ، وأقام عنده مدة من الزمن[٣] .

وعلى الرغم من هذه الحفاوة التي وجدها شاهنشاه في تفليس ، إلا أن الملك جورج الثالث George III لم يكن مستعداً -فيما يبدو - لإرسال قواته الى آسيا الصغرى ، لمساعدة الأمير شاهنشاه ، في الوقت الذي كان يخوض فيه حروباً دائمة ضد القوى الإسلامية في أرمينية وأذربيجان[٤]

لم يحاول الملك جورج الثالث George III استغلال النزاع بين الأمير شاهنشاه وأخيه السلطان قليج أرسلان الثاني للحصول على مكاسب إقليمية في آسيا الصغرى، إلا أنه استغل ذلك النزاع لتحقيق مكاسب لحلفائه البيزنطيين ، بدليل أنه أقنع شاهنشاه بطلب المساعدة من البيزنطيين ، فتوجه شاهنشاه إلى سخوم ، حيث ركب البحر إلى

١- ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص١٩٠ .

٢- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٥٦ .

٣- الفارقي : ملخص تاريخ ميامارقين ، ورقة ٢٠٨ب .

٤- انظر الفصل الثاني ، ص ١٦٠-١٦٢ .

القسطنطينية[١]. مما يدل دلالة واضحة على وجود تنسيق بين الدولة البيزنطية والكرج في سياستهما إزاء سلطنة سلاجقة الروم بصفة خاصة والمسلمين بصفة عامة .

ولقد أرسل الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين Manuel Comnena إلى السلطان قليج أرسلان الثاني ، يطلب منه التخلي عن ممتلكات شاهنشاه والأمير الدانشمندي ذي النون، فلما رفض السلطان قليج أرسلان ذلك ، اتخذ الإمبراطور البيزنطي هذا الرفض ذريعة لنقض الصلح مع سلاجقة الروم ، وهاجم أملاك السلطان قليج أرسلان ، ولكنه تعرض لهزيمة ساحقة في معركة ميريوكيفالوم سنة ٥٧٢هـ /١١٧٦م[٢].

وبعد أن تمكن السلطان قليج أرسلان الثاني من القضاء على الخطر البيزنطي على ممتلكاته ، قام بتقسيم ممتلكاته بين أبنائه ، ولقد أدت هذه السياسة الى ظهور الخلاف والتنافس بين هؤلاء الأخوة ، حتى في أثناء فترة حياة أبيهم[٣] .

١- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ٢٠٨ب .

٢- علي الغامدي : معركة ميريوكيفالوم (بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى ، العدد الأول ، ١٤٠٩هـ) ، ص١٣٥-١٣٩ ؛ محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص٢٨٥-٢٩٧.

٣- العماد الأصفهاني :الفتح القسي، ص٦٢٣-٦٢٤ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ،ص٢٢٢؛ ابن الفرات : تاريخ الفرات ،م٤،جـ٢ ، ص٩٣-٩٤ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، جـ٢ ، ص٢١٩-٢٢٠ .

وعندما توفي السلطان قليج أرسلان الثاني سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م ، ازدادت حدة النزاع بين أولاده ، وقد تمكن ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان في سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٦م من الاستيلاء على مدينة قونية من يد أخيه غياث الدين كيخسرو[١] ، وبسط نفوذه على معظم أجزاء دولة سلاجقة الروم[٢]

ولقد كان السلطان ركن الدين سليمان (٥٩٣-٦٠٠هـ / ١١٩٦ - ١٢٠٣م)يدرك أهداف الكرج وأطماعهم التوسعية في بلاد المسلمين ، فلقد كانت الملكة الكرجية ثمارا Thamara (٥٨٠-٦٠٩هـ / ١١٨٤ - ١٢١٢م)[٣]تمثل أعظم خطر صليبي على المسلمين في ذلك الوقت[٤].لذلك قام السلطان ركن الدين سليمان بقيادة حملة ضخمة ضد الكرج سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠١م ، ولقد اشترك في هذه الحملة معظم أمراء سلاجقة

١- غياث الدين كيخسرو : هو غياث الدين أبو الفتح كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود السلجوقي صاحب الروم . كان أخوه سليمان قد اخذ منه مدينة قونية ، وهرب غياث الدين الى حلب ، فلم يرَ من سلطانها الملك الظاهر قبولاً ، فذهب الى القسطنطينية ، فأكرمه ملكها ، فاتفق موت اخيه فرجع ، وكان عاقبته أن استولى على ممالك الروم ، واستقام حاله ، وكانت وفاته سنة سبع وستمائة . انظر ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، جـ٤ ،ق٢ ، ص١٢٠٢-١٢٠٣ .وقد حكم دولة سلاجقة الروم فترتين. الفترة الأولى (٥٨٨-٥٩٣هـ - ١١٩٢ - ١١٩٦م) . والفترة الثانية (٦٠١ - ٦٠٧هـ / ١٢٠٤ - ١٢١٠م) انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، جـ١ ، ص٣٢١ .

٢- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٢٢٣ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٩٧-٩٨ .

٣- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٥٣٧.

٤- رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ٣ ،ص١٨٥ .

الروم ، وكان من بينهم الأمير مغيث الدين طغرل صاحب ابلستين[١] .

ولقد سار السلطان ركن الدين سليمان الى أرزنجان ، حيث انضمت قوات هذه الامارة بقيادة أميرها فخر الدين بهرامشاه[٢] لجيش السلطان ، ثم سار السلطان ركن الدين سليمان الى مدينة أرزن الروم[٣].

وعندما اقترب السلطان ركن الدين سليمان من أرزن الروم ، سارع صاحبها الأمير علاء الدين بن ملكشاه[٤] لمقابلة السلطان ، وتقديم الولاء له ، ولكن السلطان ركن الدين سليمان قبض عليه ، واستولى على إمارته في سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠١م[٥] ثم قام السلطان بإقطاع أرزن الروم

١- ابن البيبي : الأوامر العلائية في الأوامر العلائية ، ص٧٠ . وابلستين : ويطلق عليها اسم (أرابيسوس Arabissus) وتقع في شرق قيصرية ، وهي من مدن الثغور في أيام الروم . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٧٨ .

٢- فخر الدين بهرام شاه : هو الملك السعيد فخر الدين بهرامشاه بن داود الأول ، حكم إمارة بني منكوجك في أرزنجان في الفترة (٥٥٠-٦١٥هـ) تقريباً . انظر زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ص٢١٩ .

٣- ابن البيبي : الأوامر العلائية ، ص٧١-٧٣ .

٤- علاء الدين بن ملكشاه : ورد اسمه في معجم زامباور كالتالي : علاء الدين بن ملكشاه بن محمد بن سلدق بن علي بن أبو القاسم ، وقد حكم أرزن الروم في الفترة (٥٩٠ - ٥٩٨هـ) . انظر زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ص٢١٩ .

٥- الأصفهاني : البستان الجامع ، ورقة ١٤٩ب ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٢٥٥ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص٣٩٣ ، ابن الساعي : الجامع المختصر ، جـ٩ ،ص٥٣ ؛ أبو الفداء : المختصر ، جـ٣ ، ص١٠٠-١٠١ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، جـ٢ ، ص١٦٨-١٦٩ ، ويذكر بعض المؤرخين أن هذه الحادثة تمت سنة ٥٩٨هـ . انظر المولوي : صحائف الأخبار ، جـ١، و٦٠٤أ ؛ انظر البدليسي : شرفنامه ، جـ١،ص١٥٩ ؛ زامباور : معجم الأنساب ، ص٢١٩ .

لأخيه مغيث الدين طغرل وأخذ منه مدينة إبلستين وأضافها إلى ممتلكاته[١] . ويعلل ابن البيبي تصرف السلطان ركن الدين سليمان تجاه حاكم أرزن الروم علاء الدين بن ملكشاه ، بأنه أهمل الرسالة التي أرسلها اليه السلطان يطلب منه المساهمة في حملته ضد الكرج[٢].

وبعد أن رتب السلطان ركن الدين سليمان أحوال أرزن الروم ، تقدم الى بلاد الكرج ، وهاجم ممتلكاتهم وعندما وصلت أنباء حملة السلطان إلى مسامع الملكة الكرجية ثمارا Thamara ، أرسلت قوات ضخمة بقيادة زوجها داود سوسلان David Sosolan للتصدي لقوات سلاجقة الروم[٣].

وعندما التقى الجمعان عند قلعة أونيك[٤] ، تفوقت قوات سلاجقة الروم على الكرج ، وكادت أن تحقق انتصاراً رائعاً ، غير أن إرادة الله شاءت أن يسقط حامل العلم السلطاني عن ظهر جواده ، فلما شاهد المسلمون هذا المنظر ، ظنوا أن سلطانهم قد انهزم ، فاضطربت صفوفهم ، ودب

١- المولوي : صحائف الأخبار ، جـ١ ، ورقة ٥٧٢أ ؛ ابن البيبي: الأوامر العلائية ، ص٧٣ .

٢- ابن البيبي : الأوامر العلائية في الأوامر العلائية ، ص٧٣ .

٣- يوسف عزت : تاريخ القوقاز ، ص٣٩ .

٤ – أونيك : قلعة حصينة في كورة باسين من أرض أرزن الروم . انظر ياقوت : معجم البلدان جـ١،ص٣٣٦ .

اليأس في نفوسهم ، وحاقت الهزيمة بهم في سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م[١] .

أما بالنسبة للسلطان ركن الدين سليمان ، فقد التجأ هو وفلول قواته إلى مدينة أرزن الروم ، حيث قضى فترة من الراحة في هذه المدينة ، ثم سار الى قونية[٢] .

وعلى الرغم من الهزيمة القاسية التي تعرض لها السلطان ركن الدين سليمان على يد الكرج (الذين فعلوا به وبعسكره كل عظيم)[٣] إلا أن الكرج لم يحاولوا استغلال انتصارهم لتحقيق مكاسب على حساب ممتلكات سلاجقة الروم،فلم يحاولوا الاستيلاء على أرزن الروم القريبة من ممتلكاتهم ، ويبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى توجه أطماع الملكة ثمارا Thamara في ذلك الوقت للاستيلاء على ممتلكات أتابكية أذربيجان[٤] .

١- ابن البيبي : الأوامر العلائية في الأوامر العلائيـة ، ص٧٣-٧٤ . وقد ذكر المولوي أن هذه المعركة حدثت عند قلعة بنج كرو . انظر المولوي: صحائف الأخبار ، جـ١ ، ورقة ٥٧٢أ ؛ ؛ وقلعة بنج كرو : لم أعثر لها على ترجمة فيما بين يدي من مصادر . وتذكر بعض المصادر أن هذه المعركة حدثت عند سركماش Sarikamish انظر :

The Cambridge History of Islam, vol. I, P. ٢٤٥ .

٢- ابن البيبي : الأوامر العلائية ، ص٧٤

٣- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٦٦ .

٤- انظر الفصل الثاني ، ص ١٦٤-١٧٠.

أما بالنسبة للسلطان ركن الدين سليمان فعندما وصل إلى قونية ، أرسل بعض قواته لمحاصرة مدينة أنكورية التابعة لأخيه محي الدين مسعود[١] ، وقد تمكن من الاستيلاء عليها سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م بعد حصار طويل استمر ثلاث سنوات[٢] .

ويذكر ابن البيبي أن السلطان ركن الدين سليمان بعد أن استولى على أنقرة ، وفرض سيطرته على جميع ممتلكات سلاجقة الروم ، أخذ يتجهز للقيام بحملة ثانية ضد الكرج ، إلا أنه ما لبث أن توفي سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م[٣] .

وعقب وفاة السلطان ركن الدين سليمان ، لم أعثر لسلاطين سلاجقة الروم ولمدة ربع قرن تقريباً على أي معلومات تفيد وجود علاقات لهم مع الكرج ، ويبدو أن السبب في ذلك يرجع الى أن علاقات الكرج انحصرت في تلك الفترة مع إمارة سلاجقة الروم في أرزن

١- محي الدين مسعود : هو أحد أولاد السلطان قليج أرسلان الثاني ، أقطعه والده مدينة أنقرة ، فطمع شقيقه السلطان ركن الدين سليمان في الاستيلاء على ممتلكاته ، وحاصره مدة ثلاث سنوات ، حتى سلمها له بالأمان ، ولكن السلطان ركن الدين سليمان غدر به فقتله سنة ٦٠٠هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٢٢٢،٢٦٥ .

٢- الأصفهاني: البستان الجامع ، ورقة ٥٤أ ؛ ابن الأثير الكامل ، جـ٩ ، ص٢٦٥ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص١٣٦ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧،ص٩٨ ؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات،م٥،جـ١،ص١٥٤-١٥٥؛ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون،جـ٥، ص١٩٣.

٣- ابن البيبي : الأوامر العلائية في الأوامر العلائية ، ص٧٤ .

الروم بحكم قربها من ممتلكاتهم . والذي بدأ زعيمها مغيث الدين طغرل في الاشتراك مع إمارة خلاط في الجهاد ضد الكرج ، ففي سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م تعرضت إمارة خلاط لاعتداءات الكرج الذين قاموا بقيادة زكري الصغير[١] بفرض الحصار على حصن التين - التابع لإمارة خلاط والقريب من أرزن الروم ، فاستنجد حاكم خلاط[٢] بمغيث الدين طغرل ، الذي لم يتوان عن إرسال جميع قواته للانضمام لقوات إمارة خلاط ، وقد تمكن المسلمون من إنزال هزيمة ساحقة بالكرج ، وقتلوا وأسروا أعداداً كبيرة منهم ، وكان من ضمن القتلى قائد الحملة الكرجية زكري الصغير[٣] .

وعلى الرغم مما قام به مغيث الدين طغرل في بداية حكمه من دور مشرف في حركة الجهاد ضد الكرج ، إلا أنه اضطر تحت تهديد غاراتهم إلى توثيق علاقاته بهم ، حتى أنه (لبس خلعة ملك الكرج[٤] ، ورفع على

١- زكري الصغير : يبدو أنه القائد Zakare أحد قادة جيوش الملكة ثمارا.
انظر عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٧١ الحاشية رقم (١٠٨) .

٢- حاكم خلاط في تلك الفترة كان محمد بن بكتمر ؛ الذي حكم خلاط في الفترة (٥٩٤ - ٦٠٣هـ / ١١٩٨ - ١٢٠٦م) انظر استانلي لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ، ص١٥٩ .

٣- ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص٢٤٤ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص١٥١-١٥٢ ؛ الذهبي : تاريخ الاسلام ، حوادث سنة ٦٠١هـ ، ص٤٧ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، جـ ٧ ،ص٥ .

٤- ملك الكرج : هو الملك جورج الرابع ، الذي خلف والدته ثمارا على عرش الكرج ، وحكم بلاد الكرج في الفترة (٦٠٩ - ٦١٩هـ / ١٢١٢ - ١٢٢٢م) . انظر عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٧٨ . (بتصرف) .

رأسه علماً منه في أعلاه صليب)[١] . مما يدل على اعتراف مغيث الدين طغرل بتبعيته للكرج،ويوضح مدى الضعف التي وصلت اليه هذا الإمارة.

وعندما تعرضت ممتلكات الكرج لغزو المغول سنة ٦١٧-٦١٨هـ / ١٢٢٠ - ١٢٢١م وعجز الكرج عن مقاومة المغول (استنجدوا بعسكر أرزن الروم)[٢] . ويبدو أن عساكر أرزن الروم لم تشترك في قتال المغول ، لأن المغول سرعان ما غادروا بلاد الكرج، وتوجهوا الى إقليم شروان[٣] .

لم يقف مغيث الدين طغرل في المتاجرة بدينه عند هذا الحد ، بل عندما توفي الملك جورج لاشا[٤] الرابع Goerge Lasha IV سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م ، واتفق أمراء الكرج على تنصيب شقيقته روسودان Rusudan (٦٢٠-٦٤٣هـ / ١٢٢٣-١٢٤٥م)[٥] ملكة للكرج ، كما ملكة للكرج ، كما قرروا تزويجها من أحد أمراء الأسر الحاكمة لكي

١- ابن الأثير:الكامل،جـ٩،ص٣٦٦.وانظر أيضاً ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون،جـ٥،ص١٤٨ .

٢- الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث سنة ٦١٧هـ ، ص٤٦ .

٣- الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث سنة ٦١٧ هـ ، ص٤٦ . وينقل الذهبي عن المؤرخ المعاصر الموفق بن عبداللطيف البغدادي تعليقه على مغادرة المغول بلاد الكرج (رجع التتر بغير أمر معروف ، ولا سبب مخوف ، بل لسعادة لحقت ، وأيام بقيت ، وكان هذا سنة ثمان عشرة ، وأنا بأرزن) . انظر المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

٤- لاشا : معناها في لغة الكرج الجليل . انظر عفاف صبرة: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٧٨ ، الحاشية رقم (١) . ويذكر أحد الباحثين الغربيين أن معناها نور العالم ، انظر Michael Pereira , OP. cit P. ٧٣.

٥- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٨٦ .

ينوب عنها في إدارة شئون الحكم ، فأرسل مغيث الدين طغرل يخطب الملكة لأحد أبنائه[1] ، إلا أن الكرج اشترطوا للموافقة على هذا الزواج أن يرتد ابن طغرل عن الاسلام ، ويعتنق النصرانية ، فأرسل مغيث الدين ابنه الى تفليس ، وأمره باعتناق النصرانية ، فتنصر ابن طغرل ، وتزوج ملكة الكرج سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م ، وأقام معها في تفليس ، وأخذ يساعدها في إدارة شئون الحكم ، إلا أن روسودان Rusudan سرعان ما ضيقت على زوجها ، وسجنته في إحدى القلاع عندما أنكر عليها ما شاهده من انحلالها الخلقي[2].وهذا يدل على مدى تلاعب مغيث الدين طغرل بالدين ورغبته في الملك على أي صورة كانت .

١- لم أعثر فيما بين يدي من مصادر على اسم ابن مغيث الدين طغرل زوج الملكة روسودان ، وكل ما وجدته أنه الابن الأصغر لمغيث الدين طغرل من زوجته ابنة حاكم خلاط بكتمر . انظر الذهبي : تاريخ الاسلام ، حوادث سنة ٦١٧هـ ، ص٤٧ . ويذكر النسوي أن ابن مغيث الدين طغرل هذا ظل موجوداً في تفليس حتى فتحها السلطان جلال الدين سنة ٦٢٣هـ ، حيث تظاهر بالرجوع إلى الاسلام ثم مالبث أن ارتد عن الإسلام ، واعتنق النصرانية وقام بدور خطير في تحريض الكرج على الاستيلاء على تفليس سنة ٦٢٤هـ . انظر النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص٢١٧ .

٢- الأصفهاني : البستان الجامع ، ورقة ١٨٩ب ، ١٩٠أ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٥١-٣٥٢ ؛ أبو الفداء : المختصر ، جـ٣ ، ص١٣٣ ؛ الذهبي : دول الإسلام ،جـ٢ ، ص١٢٦ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، جـ٢ ، ص٢٠٨ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، جـ٢ ، ص٣٩٤ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، جـ٦ ، ص٢٥٨-٢٥٩ ؛ ابن العماد = الحنبلي : شذرات الذهب ، جـ٧ ، ص١٧١-١٧٢ .

ورغم ما فعلته روسودان Rusudan مع زوجها ابن مغيث الدين طغرل وما اشتهرت به من انحلال خلقي ، إلا أنها كانت تعترف بأبوه زجها ابن مغيث الدين لولديها داود وثمر[١] .

وعندما توفي مغيث الدين طغرل سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م خلفه في حكم إمارته ابنه ركن الدين جهان شاه[٢] ، وقد عاصر هذا الأمير منذ بداية حكمه ظهور قوة إسلامية جديدة ظهرت على مسرح الأحداث في شمال العالم الإسلامي ، وهي القوة الخوارزمية التي قام سلطانها جلال الدين منكبرتي بفتوحات واسعة في بلاد الكرج[٣].وبدأت العلاقات تظهر بين الخوارزميين والقوى الأخرى ، حتى أنه في سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م تعرضت إمارة أرزن الروم السلجوقية ، لتهديد الدولة الخوارزمية ، مما أجبر أميرها جهان شاه على إعلان ولائه وطاعته للخوارزميين[٤].

أما سلطان سلاجقة الروم علاء الدين كيقباذ (٦١٦-٦٣٤هـ / ١٢١٩ - ١٢٣٦م) فإنه عند سماعه بأنباء دخول ابن عمه جهان شاه

١- ابن البيبي : الأوامر العلائية في الأوامر العلائية ، ص٤٢٣ .

٢- ركن الدين جهان شاه : حكم أرزن الروم في الفترة (٦٢٢ - ٦٢٧هـ / ١٢٢٥م - ١٢٣٠م) انظر زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ص٢١٦،٢١٧ ، حاشية رقم (٦) .

٣- عن فتوحات السلطان جلال الدين في بلاد الكرج ، انظر الفصل االرابع ، ص .

٤- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص٣٠١-٣٠٣ . وعن تعرض إمارة أرزن الروم السلجوقية لاعتداءات الخوارزميين ، انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٦٨ ؛ السيد الباز العريني : المغول ، ص١٠٤ .

في طاعة السلطان جلال الدين ، خاف أن يقوم ابن عمه وكان بينهما (عداوة مستحكمة) بتحريض السلطان الخوارزمي على غزو ممتلكاته في آسيا الصغرى ، فسارع الى التحالف مع الأيوبيين ضد أطماع السلطان جلال الدين[١] .

وقد تمكن السلطان علاء الدين كيقباذ وحلفائه الأيوبيين من إنزال هزيمة ساحقة بالخوارزميين في موقعة ياسي جمن في شهر رمضان سنة ٦٢٧هـ/ الموافق أغسطس ١٢٣٠م ، ووقع أمير أرزن الروم جهان شاه في الأسر[٢].

وعقب المعركة ، تقدم السلطان علاء الدين كيقباذ إلى مدينة أرزن الروم ، وتمكن من دخولها ، وضمها إلى ممتلكاته[٣] .

وعندما سقطت الدولة الخوارزمية على يد المغول سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م ، تعرضت ممتلكات سلاجقة الروم سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م

١- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ، ص٣٨١ . وانظر أيضاً ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ٤ ، ص٢٩٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص١٠٣-١٠٤ .

٢- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ، ص٣٨١ ؛ ابن نظيف : التاريخ المنصوري ،ص٢٠٦-٢١٠ ؛ ابن العميد : أخبار الأيوبيين ،ص١٧ . وياسي جمن : موضع بين خلاط وأرزن الروم . به عين يفور منها الماء فوراناً شديداً .

انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ،ص٥٦٨ .

٣- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٣٨١-٣٨٢ ؛ ابن نظيف : التاريخ المنصوري ، ص٢١٢ ؛ سبط ابن الجوزي:مرآة الزمان ،جـ٨ ،ق٢ ، ص٦٦١-٦٦٢ ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص٢٧٦-٢٧٧ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ٤ ، ص٣٠٠ ؛ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ، ص١٦٠ .

لاعتداءات المغول الذين وصلت غاراتهم حتى نواحي مدينة سيواس ، فأرسل السلطان علاء الدين كيقباذ جيشاً بقيادة كمال الدين كاميار[١] لوقف تقدم المغول ، وعندما سمع المغول بقرب وصول الجيش السلجوقي، عادوا إلى قواعدهم في أذربيجان[٢].ويذكر ابن العبري أن السبب في عودة المغول إلى أذربيحان يرجع إلى تعهد السلطان علاء الدين كيقباذ للمغول بدفع أتاوة سنوية لهم[٣].وعلى الرغم مما ذكره ابن العبري، فيبدو أن اعتداءات المغول على ممتلكات سلاجقة الروم ، لم تكن سوى غارات استكشافية تمهيداً للحملة الكبرى التي قادها بايجونويان ضد ممتلكات سلاجقة الروم سنة ٦٤٠-٦٤١هـ/١٢٤٣م[٤].

وأما بالنسبة للجيش السلجوقي فعندما وصل كمال الدين كاميار إلى سيواس، علم برجوع المغول ، فتقدم إلى مدينة أرزن الروم ، حيث اجتمع مع حاكمها مبارز الدين جاولي[٥] ، الذي أشار عليه بالاستعانة بآلات الحصار ومن ثم يتوجه لمهاجمة ممتلكات الكرج ، لمعاقبة ملكتها

١- كمال الدين كاميار : أحد أبرز قادة سلاجقة الروم ، وتقدم عند السلطان علاء الدين كيقباذ حتى كان يلقب بملك الأمراء ، وكان شجاعاً مدبراً لأمور العسكر ، بارعاً في العلوم الإسلامية ، غضب عليه السلطان غياث الدين كيخسرو ، فأعتقله ثم قتله . انظر المولوي : صحائف الأخبار،جـ١ ورقة ٥٨٢أ و ٥٨٣أ .

٢- المولوي : صحائف الأخبار ،جـ١ ، ورقة ٥٨٠ب .

٣- ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص٢٧٩ .

٤- انظر مايلي ص١١٣ .

٥- مبارز الدين جاولي : لم أقف له على ترجمة فيما بين يدي من مصادر.

روسودان لدورها في تحريض المغول على مهاجمة أملاك سلاجقة الروم ، فتقدم كمال الدين إلى بلاد الكرج ، وهاجم بلادهم ، وتمكن من فتح ثلاثين قلعة تابعة لهم[١] .

وعندما أدركت الملكة روسودان عجزها عن مقاومة جيش سلاجقة الروم ، أرسلت إلى كمال الدين كامبار تعرض عقد صلح مع سلاجقة الروم ، كما أنها اعتذرت من سماحها للمغول بالمرور في أراضيها لمهاجمة ممتلكات سلاجقة الروم ، وعرضت أن يتزوج الأمير السلجوقي غياث الدين كيخسرو بن السلطان علاء الدين كيقباذ من ابنتها ثمر[٢]. فأرسل كمال الدين رسول الملكة الكرجية إلى السلطان علاء الدين كيقباذ ، الذي بالغ في إكرمه والعناية به ، ووافق على جميع مقترحات الملكة الكرجية ، وأرسل إلى قائده كمال الدين يأمره بالانسحاب من بلاد الكرج ، وعدم التعرض لها[٣] .

وعندما توفى السلطان علاء الدين كيقباذ سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م خلفه على عرش السلطنة السلجوقية ابنه غياث الدين كيخسرو ((٦٣٤-٦٤٤/١٢٣٦-١٢٤٦م)) . ويذكر ابن العبري أن السلطان غياث الدين

١- ابن البيبي:الأوامر العلائية،ص٤٢٠-٤٢٢ .ويذكر المولوي أن كمال الدين كاميار تمكن من فتح أربعين قلعة تابعة للكرج ومدينتي خاخ ونخاخ.انظر المولوي:صحائف الأخبار،جـ١،ورقة ٥٨٠ب .

٢-المولوي:صحائف الأخبار،جـ١ ،ورقة ٥٨٠ب؛ابن البيبي : الأوامر العلائية ص٤٢٣ .

٣- المولوي:صحائف الأخبار،جـ١،ورقة ٥٨٠ب ؛ابن البيبي:الأوامر العلائية،ص٤٢٣-٤٢٤ .

كيخسرو تزوج من الأميرة ثمر ابنة الملكة روسوداني Rosudan ، وقد كانت هذه الأميرة تعتنق النصرانية ، وحضر زواجها أخوها داود الصغير وعددٌ من رجال الدين النصارى ، ويضيف ابن العبري أن الأميرة ثمر سرعان ما اعتنقت الإسلام[١] .

ومثل هذا الزواج السياسي أدى إلى تشكيل الحياة السياسية، ولهذا فإن الأميرة ثمر قامت بدور خطير في توجيه الحياة السياسية في سلطنة الروم ، حيث أن السلطان غياث الدين هام بها حباً ، حتى أنه عزم على أن يرسم صورتها على النقود في بلاده ، فأشار عليه بعض نصحائه ((أن يصور صورة أسد عليه شمس لينسب إلى طالعه ويحصل به الغرض))[٢] . كما أن الأميرة ثمر حرضت زوجها السلطان غياث الدين على قتل اخوته ، حتى يتمكن ابنها علاء الدين كيقباذ[٣] من وراثة عرشه[٤]. كما أن ثمر شجعت السلطان غياث الدين كيخسرو على تعيين قائد كرجي لجيشه[٥] .

١- ابن العبري : تاريخ الزمان ،ص٢٨٣-٢٨٤ .

٢- ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص٢٥٥ .

٣- علاء الدين كيقباذ : هو أحد أبناء السلطان غياث الدين كيخسرو من زوجته ثمر ، وكان والده قد أوصى له بولاية العهد ، إلا أن إخوته ركن الدين قلج أرسلان وعز الدين كيكاوس نافسوه في عرش السلطنة السلجوقية ،ثم اتفقوا على أن يتوجه علاء الدين كيقباذ لمقابلة الخان المغولي منكوخان يطلب منه الصلح والهدنة ، فسار إلى قراقورم ومات في الطريق . انظر النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ،ص١٠٧-١٠٩ .

٤- المولوي : صحائف الأخبار ، جـ١ ، ورقة ٥٨٤ب .

٥-النويري:نهاية الأرب،جـ٢٧، ص١٠٦ ؛ العيني : عقد الجمان ، وفيات سنة ٥٥٤هـ ، ص١٣٧؛

ولقد تعرضت ممتلكات السلاجقة الروم في سنة ٦٤٠هـ /١٢٤٣م لاعتداءات حملة مغولية ضخمة بقيادة بايجونويان ، وتمكن المغول من الاستيلاء على أرزن الروم ، وقتلوا وأسروا جميع سكانها[١] .

وعقب استيلاء المغول على أرزن الروم توجهوا في السنة التالية ٦٤١هـ /١٢٤٣م لحرب السلطان غياث الدين كيخسرو وتمكنوا من هزيمته في معركة كوسه طاغ(الجبل الأقرع) ، واستولوا على أجزاء كبيرة من مملكته ولكنهم أبقوا على سلطان سلاجقة الروم تابعاً لهم ، يدفع إليهم أتاوة سنوية[٢]

ومن خلال العرض السابق يتبين أن سلاطين سلاجقة الروم انشغلوا بتوطيد نفوذهم في آسيا الصغرى ، ومقاومة أطماع الدولة البيزنطية في هذه المنطقة . و لم ينضح معالم العلاقات بين سلاجقة الروم والكرج إلا في فترة متأخرة من تاريخ سلطنة الروم ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى عدم وجود حدود سياسية مباشرة بين ممتلكات سلاجقة الروم والكرج ، بدليل أنه بعد أن استولى السلطان ركن الدين سليمان على إمارة أرزن الروم-المتاخمة لممتلكات الكرج- بدأت العلاقات تظهر بين سلاجقة الروم والكرج ، وبدأ سلاطين سلاجقة الروم في تحمل أعباء حركة الجهاد ضد الكرج . مما يدل دلالة واضحة على الجهود الكبيرة

١-ابن العبري:تاريخ الزمان،ص٢٨٦ .

٢-النويري:نهاية الأرب،جـ٢٧ ، ص١٠٧ ؛ اليافعي : مرآة الجنان ،جـ٤ ،ص١٠٤ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ،ص١٩٧.

التي قامت بها الإمارات الإسلامية في شمال العالم الإسلامي لوقف أطماع الكرج المتوسعة في هذه المنطقة كما سيتضح في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى .

الفصل الثاني

علاقات القوى الإسلامية في أرمينية وشروان والجزيرة الفراتية وأذربيجان مع الكرج

(٤٨٥ – ٦٢٨ هـ / ١٠٩٢ – ١٢٣١ م)

– سقوط تفليس بيد الكرج وأثره

سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م

– موقف القوى الإسلامية في شروان من الكرج

(٤٨٥ – ٦٢٨ هـ / ١٠٩٢ – ١٢٣١ م)

– علاقات الإمارات الإسلامية في أرمينية والجزيرة الفراتية مع الكرج

(٤٨٥ – ٦٠٤ هـ / ١٠٩٢ – ١٢٠٧ م)

– موقف أتابكية أذربيجان من الكرج

(٥٤١ – ٦٢٢ هـ / ١١٤٦ – ١٢٢٢ م)

سقوط تفليس بيد الكرج وأثره
سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م

رأينا في الفصل السابق كيف تمكن السلطان السلجوقي ألب أرسلان من القضاء على أطماع الكرج في تفليس ، وكيف تمكن ابنه السلطان ملكشاه من اخضاعهم للنفوذ السلجوقي .

وعقب وفاة السلطان ملكشاة سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ بدأت أطماع الملك الكرجي داود الثاني David II تظهر في تفليس ، وقد شجعته عوامل كثيرة للهجوم عليها أهمها .

أولاً : كانت تفليس تحتل مكانة سياسية ودينية خاصة عند الكرج لكونها العاصمة السياسية القديمة لمملكة الكرج[١] .بالإضافة إلى المكانة الدينية لهذه المدينة عند النصارى ، ففيها توجد كنيسة خاصة بهم ((هي لهم كالكعبة للمسلمين))[٢].

ثانياً : عقب وفاة السلطان محمد بن ملكشاه سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م شهدت الدولة السلجوقية مرحلة من الفوضى والاضطرابات السياسية بسبب انشغال أبناء البيت السلجوقي بمنازعاتهم حول من يخلفه على عرش السلطنة السلجوقية،وقد كان السلطان محمود بن

١- رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ٢ ص ٢٥٣ .

٢- الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ١٠٤.

محمد منشغلاً بإخماد تمرد أخيه مسعود،في نفس السنة التي حاصر فيها الكرج تفليس[١].

ثالثاً : كانت القوى الإسلامية في أرمينية والجزيرة الفراتية وبلاد الشام ، منشغلة بالجهاد ضد الصليبيين الذين قاموا بتأسيس ثلاث إمارات صليبية ـ إمارة الرها وإمارة أنطاكية وإمارة طرابلس بالإضافة إلى مملكة بيت المقدس ـ في بلاد الشام والجزيرة الفراتية [٢] .

رابعاً:شهدت تفليس مرحلة من الفوضى والاضطرابات السياسية، عقب زوال نفوذ بني جعفر عنها ، وقد ظلت هذه المدينة مدة أربعين سنة بيد أهلها ، الذين كانوا يقومون بالاشراف على شئونها وتعيين حاكماً عليها من بينهم يحكم مدة شهر واحد فقط[٣] .

١- ابن الأثير:الكامل،ج٨،ص٢٩١-٢٩٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ، ص ٥٨ - ٥٩ . ويعلق ياقوت الحموي على النزاع بين السلطان محمود وأخيه مسعود وأثره في سقوط تفليس بقوله: ((وكان في هذه السنة الاختلاف واقعاً بين محمود ومسعود ابني محمد بن ملكشاه ، وجعلها الأمراء سوقاً بالانتماء تارة إلى هذا وأخرى إلى هذا ،واشتغلوا عن مصالح الثغور،فواقع الكرج ولاة أرمينية وقائع كان آخرها أن استظهر الكرج وهزموا المسلمين ونزلوا على تفليس فحاصروها حتى ملكوها عنوة)) . انظر ياقوت:معجم البلدان،جـ٢ ، ص٤٣ .

٢- عن انشغال القوى الإسلامية في أرمينية والجزيرة الفراتية وبلاد الشام بجهاد الصليبيين انظر ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٦٦ - ١٧٨ ؛ مسفر الغامدي: الجهاد ضد الصلبيين في المشرق الإسلامي ، ص ٧٩ - ٩٩ .

٣-الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٦٩ب و١١٧٠ أ ؛ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ٢ ، ص٧٣٩ .

وقد أدت هذه الأسباب إلى تشجيع الملك داود الثاني David II على الهجوم على تفليس فضايقها مضايقة شديدة فلجأ أهلها إلى طلب المساعدة من الملك السلجوقي طغرل بن محمد حاكم إقليم الران ، فأستجاب الملك طغرل لطلب أهالي تفليس ، وأرسل إليهم شحنه لحمايتهم من اعتداءات الكرج[١] .

وعلى الرغم من قيام الملك طغرل بن محمد بإرسال قوة سلجوقية إلى تفليس لحمايتها من اعتداءات الكرج ، إلا أن هذه القوة لم تجدِ نفعاً أمام الكرج وتصميمهم على بسط نفوذهم على المدينة، حيث تابعوا غاراتهم عليها[٢] .

وعندما أدرك أهالي تفليس عجز القوة السلجوقية في مدينتهم عن توفير الحماية لهم ، كما شعروا بما وصلت إليه أحوال مدينتهم من ضعف شديد نتيجة غارات الكرج اضطروا إلى مراسلة الملك داود الثاني David II،وتعهدوا له بدفع أتاوة سنوية مقدارها عشرة آلاف دينار، كما تعهدوا بالسماح لشحنة كرجية بالإقامة في تفليس،مقابل كف اعتداءاتهم
عن المدينة ، فوافق الملك الكرجي على ذلك[٣] ويتضح من ذلك بأن

١- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٧٠ أ . وانظر أيضاً سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ٢ ، ص ٧٤٠ . ولمزيد من التفاصيل عن هذه المضايقات . انظر فايز نجيب إسكندر : الكرج والأتراك السلاجقة في عهد داود الثاني(بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، العدد الأول القاهرة ١٩٩٣ م) ، ص ٢٦٦ - ٢٦٨ .

٢- الفارقي : ملخص تاريخ ميا فارقين ، ورقة ١٧٠ أ .

٣- الفارقي : ملخص تاريخ ميا فارقين ، ورقة ١٧٠ أ ؛

أهالي تفليس اعترفوا بالسيادة الكرجية على مدينتهم

وعلى الرغم من اعتراف أهالي تفليس بالسيادة الكرجية على مدينتهم ، إلا أنهم أدركوا خطأ موقفهم ، وقرروا التخلص من النفوذ الكرجي في مدينتهم، فأرسلوا إلى الأمير الأرتقي نجم الدين إيلغازي[٢] يسنجدون به وتعهدوا له بتسليم مدينتهم إليه إذا تمكن من القضاء على أطماع الكرج فيها[٣] .

ويذكر ابن الأثير أنه عندما وصلت أخبار تفليس وما تتعرض له إلى مسامع المسلمين ، تمت مراسلات بين بعض القوى الإسلامية في أرمينية وأذربيجان والجزيرة الفراتية،تم على أثر ذلك الاتفاق على تكوين حلف إسلامي لإنقاذ تفليس يضم كلاً من الملك طغرل بن محمد السلجوقي ، والأمير نجم الدين إيلغازي الذي اصطحب معه صهره على

١- إيلغازي : الأمير نجم الدين بن أرتق بن أكسب التركماني صاحب ماردين ، كان هو وأخوه سقمان من أمراء الملك تتش صاحب الشام ، أقطعهما القدس قبل أن يستولي عليها الفرنج واستولى إيل غازي على ماردين ، وحارب الفرنج غير مرة ، كان شجاعاً مهيباً ، تملك حلب بعد أولاد رضوان بن تش وملك ميافارقين ، وتوفى بها سنة ست عشرة وخمسمائة انظر الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ١٠ ، ص٢٦ . وقد حكم ماردين في الفترة (٥٠٢ – ٥١٦ هـ / ١١٠٨ – ١١٢٢ م) انظر استانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ، ص ١٥٨ .

٢- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٧٠ أ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ٢ ، ص ٧٤٠ ؛ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، جـ٣ ، ق ٢ ، ص ٤٣٠ .

ابنته كهارخاتون الأمير دبيس بن صدقة المزيدي[١]. ويشير الفارقي إلى انضمام الأمير طغان أرسلان الأحدب[٢] أمير أرزن وبدليس ودوين إلى هذا الحلف[٣] .

وقد اتفق زعماء الحلف الإسلامي على الاجتماع عند تفليس ، فخرج طغان أرسلان الأحدب من دوين وتوجه إلى شرق تفليس ، بينما خرج الأمير إيلغازي من ميافارقين وتوجه إلى أرزن الروم ، ثم سار من طريق ثرياليت ، وتوجه إلى غرب تفليس، بينما خرج الملك طغرل بن محمد

١- ابن الأثير : الكامل ح٨ ، ص ٢٩٣ ودبيس بن صدقة المزيدي : هو أبو الأغر دبيس بن سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي الناشري الملقب نور الدولة ملك العرب صاحب الحلة المزيدية ، كان جواداً كريماً عنده معرفة بالأدب والشعر ، وتمكن في خلافة الإمام المسترشد واستولى على كثير من بلاد العراق وهو من بيت كبير . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٢ ص ٢٦٣ . وقد حكم الحلة المزيدية في الفترة (٥٠١ - ٥٢٩ هـ/١١٠٧-١١٣٤ م) . انظر استانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ، ص ١١٨ .

٢- شمس الدولة طغان أرسلان الأحدب بن حسام الدولة طغتكين الذي توفى سنة ٥٣٢ هـ . انظر زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص ٣٥٠ .

٣- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٧٠أ؛سبط ابن الجوزي:مرآة الزمان ، جـ٢، ص٧٤٠ - ٧٤١ وأزرن : مدينة مشهورة قرب خلاط ، ولها قلعة حصينة ، وكانت من أعمر نواحي أرمينية . انظر ياقوت : معجم البلدان جـ١ ، ص١٨٠ . وبد ليس : بلدة من نواحي أرمينية قرب خلاط ذات بساتين كثيرة وتشتهر بزراعة التفاح انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص ٤٢٧ . وتقع في جنوب غرب بحيرة وان . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٨ .ودوين : بلدة من نواحي إقليم الران في أواخر حدود أذربيجان بالقرب من تفليس . انظر ياقوت :معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٥٥٨ . وكانت تسمى دبيل ، وتدل عليها الآن قرية صغيرة في جنوب أريفان قرب نهر الرس . انظر لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٦ .

من جنزة وتوجه إلى تفليس[١]. وقد قدر بعض المؤرخين المسلمين الحشود الإسلامية بثلاثين ألف مقاتل ، بينما كانت قوات الكرج تتكون من جموع غفيرة من الكرج والقفجاق، بقيادة الملك داود الثاني David II ومعه ابنه ديمتريوس . Demetrius[٢] .

وعلى الرغم من ضخامة الحشود الإسلامية التي توجهت لإنقاذ تفليس ، إلا أن المسلمين تعرضوا لهزيمة قاسية عند ديدجوري Didgori وذلك في شهر جمادي الأولى سنة ٥١٥ هـ / الموافق أغسطس ١١٢١ م[٣] .

وقد ذكر المؤرخون المسلمون عدة أسباب أدت إلى هذه الهزيمة ،

١- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٧٠ أ ؛ وثرياليت : منطقة جبلية تقع بين نهر الكر وبحيرة بانافاري . انظر فايز نجيب إسكندر : الكرج والأتراك السلاجقة في عهد داود الثاني ، ص ٣١٣ الحاشية رقم(١٢٩) .

٢- العيني:عقد الجمان،جـ١١،ورقة ١٨٨ ب ؛ ابن الأثير : الكامل،جـ٨،ص٢٩٣ ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر، جـ٤ ص ٣١ ؛ ابن شاكر الكتبي:عيون التواريخ، جـ١٢ ، ص ١٠٤.

٣- ابن العديم : بغية الطلب،جـ٧ ، ص٣٤٨٢ ؛ فايز نجيب إسكندر : الكرج والأتراك السلاجقة في عهد داود الثاني، ص٢٧٢ - ٢٧٣.ولم تذكر المصادر الإسلامية اسم هذه المعركة . ويذكر أحد الباحثين المحدثين أن هذه المعركة تسمى منجليزي انظر,Michael perira ,opcit p.٨٢ وعلى أية حال فإن هذه المعركة وقعت بالقرب من تفليس. أما بالنسبة لتاريخ المعركة ، فقد ذكر سبط ابن الجوزي أنها وقعت في سنة ٥١٦هـ. انظر سبط بن الجوزي : مرآة الزمان، جـ٢،ص٧٣٩-٧٤٠ .وهذا تاريخ لا يمكن أن نطمئن إليه لا سيما وان إيلغازي توفى في هذه السنة . وقد ذكر ابن الأثير أن هذه الموقعة حدثت في أواخر سنة ٥١٤ انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٢٩٣ . ومن المرجح حسبما ذكر العظيمي أنه حدثت معركتين بين المسلمين والكرج بالقرب من تفليس. انظر سهيل زكار : الحروب الصليبية،جـ٢ ، ص٦٧٢.

فقد ذكر الفارقي أن سبب هـذه الهزيمه يرجع إلى أن قوات إيلغازي اشتبكت مع الكرج ، قبل أن تصل قوات الملك طغرل بن محمد وقوات طغان أرسلان الأحدب[١].بينما ذكر البعض أن الكرج انهزموا في بداية المعركة،وتبعهم المسلمون (فأخذ الكرج عليهم الدروب ، ورضخوهم بالصخر فانكسروا)[٢] . اما ابن العمراني فقد ذكر أن سبب هزيمة المسلمين ترجع بعد قضاء الله وقدره الى شؤم دبيس بن صدقة الشيعي[٣].بينما ذكر ابن الأثير-ومن نقل عنه-،أن سبب هزيمه المسلمين يرجع إلى أنه عندما اصطفت الطائفتان للقتال،خرج من صفوف الكرج مائتا رجل من القفجاق فظن المسلمون أنهم مستأمنون فلم يحترزوا منهم ودخلوا بينهم ، ورموا بالنشاب ، فاضطربت صفوف المسلمين،فظن من في الصفوف الخلفية أنها الهزيمة فانهزموا،وتبعهم الكرج مسافة عشرة فراسخ يقتلون ويأسرون،حتى أبادوا أكثرهم،وأسروا أربعة آلاف رجل من المسلمين ، بينما نجى إيلغازي ودبيس[٤]

١- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٧٠ أ .

٢- ابن العديم : بغية الطلب ، جـ٧ ، ص٣٤٨٣ . وانظر ايضاً ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ؛ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

٣- ابن العمراني ، الأنباء في تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٣ .

٤- ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٢٩٣ . وانظر أيضاً الذهبي : تاريخ الإسلام ، جـ٩ ، ورقة ٩٧ ب ؛ بدر الدين العيني : عقد الجمان ، جـ١١ ، ورقة ١٨٨ ب ؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ، ص ١٠٥ ؛ ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ ، جـ١٢ ، ص ١٠٤ ؛ عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

ويشير ابن شداد[١] إلى أنه لم يرجع معهما إلى ميافارقين سوى عشرين فارساً .

وعقب هذه المعركة ، قام الكرج بنهب المناطق القريبة من تفليس، كما قاموا بفرض الحصار الشديد على المدينة واشتد قتالهم لمن بها وعظم الأمر وتفاقم الخطب على أهلها ، فلما أدرك أهالي تفليس حقيقة ضعفهم وعجزهم عن مقاومة الكرج أرسلوا بعثة ضمت كلا من قاضي المدينة وخطيبها - إمام المسجد الجامع - الى الكرج طالبين الأمان لمن بها من السكان ، ولكن الكرج رفضوا إعطاءهم الأمان وصمموا على الاستيلاء على المدينة ، وتمكنوا من دخولها قهراً وغلبة وأكثروا القتل والأسر ، وذلك في سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م [٢] .

ويذكر الفارقي أن الملك داود الثاني David II بعد أن استولى على تفليس أمن أهلها وطيب قلوبهم .. وأسقط عنهم تلك السنة الأعشار والمؤن كما سمح لأهالي تفليس المسلمين بممارسة شعائرهم الدينية[٣] ويضيف أيضاً ان ابنه ديمتريموس Demetrius سار على سياسة أبيه تجاه

١- ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، جـ٣ ، ق٢ ، ص٤٣١ .

٢- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٩٣ . وانظر أيضاً ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٣٥٠-٣٥١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص ١٩٨ . وقد ذكر بعض المؤرخين أن الكرج تمكنوا من الاستيلاء على تفليس سنة ٥١٦هـ . انظر سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ٢ ، ص٧٤١ ؛ فايز نجيب اسكندر : الكرج والأتراك السلاجقة في عهد داود الثاني ، ص٢٧٨ .

٣- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٧٠ ب .

المسلمين ، فقد كان يجلهم ويحترمهم (ولقد كنت أرى لاحترامه للمسلمين مالو أنهم ببغداد ما احترموا تلك الحرمة)[١] .

ويبدو أن ما فعله الملك داود الثاني David II ومن بعده ابنه ديمتريوس Demetrius تجاه أهالي تفليس من المسلمين ، لم يكن بدافع أخلاقي ومروءة ، وإنما كان الهدف الأساسي لهذا التصرف هو أن الملك داود الثاني كان قد عزم على اتخاذ تفليس عاصمة لمملكته ، فلم يكن راغباً في تخريبها وقتل سكانها بالإضافة إلى أن الكرج كانوا متأثرين بالحضارة الإسلامية[٢] .

وهكذا سقطت تفليس بيد الكرج ، بعد أن ظلت تنعم بالحكم الإسلامي أكثر من أربعة قرون من الزمان ، وكان سقوطها بداية لمرحلة جديدة من العلاقات بين المسلمين والكرج تميزت بظهور أطماع الكرج التوسعية على حساب القوى الإسلامية في أرمينية وأذربيجان وشروان ، فبعد سقوط تفليس بيد الكرج توجهت أطماعهم نحو إقليم شروان كما سيأتي تفصيله في المبحث التالي إن شاء الله تعالى :

١- المصدر السابق ، نفس الورقة .

٢- بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص ١١١ ومما يدل على تأثر الملك داود بالحضارة الإسلامية أنه كان يعقد المناظرات الفكرية مع بعض علماء المسلمين . انظر الأصفهاني : البستان الجامع ، ورقة ٩٨ أ ؛ ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ٦ ص ٤٩٠ .

موقف القوى الإسلامية في شروان من الكرج
(٤٨٥ - ٦٢٨ هـ / ١٠٩٢ - ١٢٣١ م)

كانت المناطق الواقعة جنوبي بحر قزوين ، وكذلك منطقة شروان تحكمها في الأغلب أسرات محلية ، وكان حكامها يحملون لقب شروان شاه[١] .

وكان حكام شروان يعترفون بالسيادة السلجوقية على بلادهم ففي سنه ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م أعلن شروان شاه فريبرز بن سالار دخوله في طاعة السلطان السلجوقي ألب أرسلان[٢] .

ولم يقف شروان شاه فريبرز بن سالار عند الحد ، بل تعهد بدفع أتاوة سنوية لخزانة السلطان السلجوقي ملكشاه ، ولقد استمر حكام شروان في دفع هذه الأتاوة حتى عهد السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه[٣] .

وعندما تمكن الكرج من الاستيلاء على تفليس سنة ٥١٥ هـ / ١٢٢١ م وجهوا أطماعهم نحو إقليم شروان ، وتعرضت مدينة دربند شروان لأعنف غاراتهم ، الأمر الذي دفع أهالي شروان إلى طلب

١- المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ١ ، ص١٧٧ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ف ٢ ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ؛ أحمد السعيد سليمان تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرالحاكمة جـ٢ ، ص ٣٦٠ .

٢- المولوي : صحائف الأخبار ، جـ٢ ، ورقة ٥٠٧ ب .

٣- البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٣٢ ؛ الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ١٥٠ .

المساعدة من السلطان السلجوقي محمود بن محمد ، الذي سار لنجدتهم ، وتمكن من حماية شروان من أخطار الكرج وذلك في سنة ٥١٧ هـ/ ١١٢٣م[١]. ولم يقف السلطان محمود عند هذا الحد ، بل قبض على شروان شاه[٢] ، وضم إقليم شروان إلى ممتلكاته ، مما أدى إلى زيادة الاضطرابات في هذا الإقليم[٣] .

ويبدو أن هذه الاضطرابات التي عصفت بإقليم شروان ، قد شجعت الملك الكرجي داود الثاني David II على بسط نفوذه على هذا الإقليم ، وتمكن في ٥١٨ هـ /١١٢٥م من ضمه إلى ممتلكاته[٤] .

وعلى الرغم من خضوع إقليم شروان للسيطرة الكرجية ، إلا أن المسلمين سرعان ما استعادوا نفوذهم السياسي في هذه المنطقة ، حيث قامت إمارة إسلامية في إقليم شروان وهي إمارة بنو كسران [٥] . الذي

١- ابن الأثير : الكامل جـ٨ ، ص ٣١٣ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ص ٢٣- ٢٤ ؛ ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، جـ١٢ ص ١٤١ .

٢- شروان شاه : لم تذكر المصادر الإسلامية المتداولة إسم له .

٣- البنداري : تاريخ دوله آل سلجوق ، ص ١٣١ - ١٣٢ .

٤- فايز نجيب إسكندر : الكرج والأتراك السلاجقة في عهد داود الثاني ، ص ٢٧٩ .

٥- بنو كسران :تنسب هذه الأسرة الى بهرام جوبين الذي كان قائداً عساكر الأكاسرة. انظر ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، جـ٤ ، ق٢ ، ص ١٠٦٧ . وقد ظهرت هذه الإمارة في القرن السادس الهجري ، وكان مقر حكومتهم مدينة شماخي ، ومدة حكم ملوكها معروفة بالتقريب . انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، جـ٢ ص ٣٦٠ .

كان مؤسسها أبو المظفر منوجهر بن كسران[١]يرتبط بعلاقات حسنة مع الكرج،حيث تزوج من ابنه الملك الكرجي ديمتريوس Demetrius[٢] .

وعندما توفى أبو المظفر منوجهر بن كسران سنة ٥٥٦ هـ/١١٦١م خلفه ابنه أخستان الأول[٣]،الذي سار-فيما يبدو- على نفس سياسة أبيه من الكرج فأقام معهم علاقات حسنة ، بدليل ما ذكره بارتولد من أنه ورد في قصيدة للشاعر الشرواني خاقاني[٤] من أن أخستان بن منوجهر تمكن بمساعدة الملك الكرجي .جورج الثالث George III من تدمير أسطول روسي يتألف من سبعين سفينة عند باكو ، كما تمكن من فتح مدينتي

١- أبو المظفر منوجهر بن كسران : حكم في الفترة (٥٥٠ - ٥٥٦ هـ) انظر زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، ص ٢٧٩ . ولقد ذكر الفارقي أن أبو المظفر كان في سنة ٥٤٩هـ حاكماً على مدينة الدربند . انظر الفارقي : تاريخ الفارقي - تارخ الدولة المروانية - ، ص ٤٣ .

٢- الفارقي: تاريخ الفارقي - تارخ الدولة المروانية - ، ص ٤٣ .

٣- أخستان الأول : ذكر محقق كتاب زبدة التواريخ أنه حكم في الفترة (٥٥٥-٥٩٤ أو ٥٩٥ هـ) . انظر الحسيني : زبدة التواريخ ، ص٣٠٣، الحاشية رقم (٣) . وقد ذكر زامباور أنه حكم شروان في الفترة (٥٥٦ هـ / ٥٦٦ هـ) انظر زامباور : معجم الأنساب ص ٢٧٩ ويبدو أن ماذكره محقق كتاب زبدة التواريخ هو الأقرب إلى الصواب بدليل أن انتصارات أخستان على الروس تمت في حوالي سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥م. انظر دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٩ ، مادة دربند ص١٨٥ - ١٨٦ .

٤- خاقاني:هو أفضل الدين الخاقاني ، كان رجلاً حكيماً شاعراً اخترع صنفاً من الكلام انفردبه ، وكان قادراً على نظم القريض جداً محترزاً عن الرذائل التي تركبها الشعراء ، محافظاً على المروءة والديانة ، وكان مقرباً من ملوك شروان ,انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٦٠١.

دربندشروان وشابران في سنة ٥٧١هـ/١١٧٥ م[1] .

ولقد كان أخستان الأول يعترف بالسيادة الكرجية على بلاده ، حتى أنه تعهد بدفع أتاوة سنوية لخزانة الكرج . كما أنه اشترك معهم في حروبهم ضد أتابكية أذربيجان سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤م[2] .

ولقد ظل خلفاء أخستان الأول يرتبطون بعلاقات حسنة مع الكرج ، بدليل أن شروان شاه رشيد[3] رفض عرض قبائل القفجاق بالتحالف

١- بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص ١١٥ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٩ مادة دربند ، ص ١٨٥. وباكو : وهي عند القزويني باكوية : وهي مدينة بنواحي دربند بقرب شروان ، بها عين نفط عظيمة . انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٧٨ . وشابران : مدينة من أعمال الران ، وقيل من أعمال دربند شروان ، وتبعد عن شروان عشرين فرسخاً . انظر ياقوت : معجم البلدان جـ٣ ، ص ٣٤٤

٢- الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

٣- شروان شاه رشيد : يذكر زامباور أن اسمه كرشاسب بن فرخزاد بن منوجهر ، وقد حكم في الفترة (٥٧٥هـ -٦٢٢هـ) . انظر زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، ص٢٧٩. بينما ذكر السلمان أن شروان شاه كان في تلك الفترة فرخزاد بن منوجهر،وقد حكم في الفترة (٦٠٢-٦٣٠هـ / ١١٥٥ - ١٢٠٥م) . انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، جـ٢ ، ص٣٦١ . ويبدو ان ما ذكره زامباور هو الأقرب إلى الصواب لأنه اعتمد على نقش في باكو يرجع إلى سنة ٦٠٠هـ وكتب عليه اسم الخليفة العباسي الناصر لدين الله واسم شروان شاه . انظر زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص٢٧٩ ، الحاشية رقم(١) . بالإضافة إلى أن ما ذكره زامباور عن تحديد نهاية حكم شروان شاه يتفق مع ما ذكره ابن الأثير من ان رشيد عزل سنة ٦٢٢هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٥٧ . أما ما ذكره زامباور حول بداية حكم رشيد فيصعب الاطمئنان إلى صحته .

معهم ضد الكرج ، ولم يكتف بذلك ، بل قام بحرب هذه القبائل وذلك سنة ٦١٩هـ /١١٢٢م[١] . مما يدل على شدة حرصه على إقامة علاقات جيدة مع الكرج .

وكان شروان شاه رشيد (سيء السيرة ، كثير الفساد والظلم يتعرض إلى أموال الرعايا وأملاكهم)،وقد أدت سياسته التعسفية إلى تذمر أهالي شروان وكراهيتهم لحكمه ، فقاموا بخلعه من الحكم ونصبوا أحد أولاده مكانه[٢] فأرسل الولد إلى أبيه يقول له (إني أردت أن أتركك في بعض القلاع وأجري لك الجرايات الكثيرة ولكل من تحب أن يكون عندك ، والذي حملني على ما فعلت معك سوء سيرتك وظلمك لأهل البلاد وكراهيتهم لك ولدولتك) إلا أن رشيد رفض ذلك[٣].

لم يقف رشيد عند هذا الحد ، بل قرر الاستنجاد بالكرج ، وتعهد لهم بالتنازل عن نصف ممتلكاته،إذا ساعدوه في العوده إلى الحكم فرحب الكرج بمقترحات رشيد ، وأرسلوا معه ثلاثة ألاف فارس ، سار معهم لاستعادة شروان . وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن ابن رشيد من

١- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٤٨ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص١٠٨-١١١.

٢- ابن رشيد : يذكر النسوي أن اسمه أفريدون بن فريبرز . انظر النسوي سيرة السلطان جلال الدين ، ص ٢٨٩ . بينما ذكر ابن الفوطي أن اسمه علاء الدين قرامرز بن كشتاسب . انظر ابن الفوطي تلخيص محمع الأداب ، جـ٤ ، ف ٢ ص ١٠٦٧ بينما ذكر زامباور أن أسمه علاء الدين فريبرز بن كرشاسب وقد حكم في الفترة (٦٢٢ هـ / ٦٤٩هـ) . انظر زامباور : معجم الأنساب ، ص ٢٧٩ .

٣- ابن الأثير : الكامل ح ٩ ، ص ٣٥٧ .

إنزال هزيمة ساحقة بالكرج سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م ، وخسر الكرج أعداداً كبيرة من قواتهم ، بينما تمكن رشيد من الهرب مع بعض قادة الكرج ، فقال له مقدم الكرج (إننا لم نلق بسببك خيراً ـ فلا تقم ببلادنا ففارقهم وبقي متردداً لا يأوي إلى أحد) بينما استقر ابنه في حكم شروان[١] .

وعقب هذا الانتصار الذي حققه شروان شاه بن رشيد ضد الكرج حاول إقامة علاقات حسنة معهم ، حتى أنه قام بتنصير ابنه سلطان شاه وأرسله إلى تفليس ليتزوج من ابنة الملكة روسودان Rusudan وقد ظل سلطان شاه في تفليس حتى فتحها السلطان جلال الدين سنه ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م ، فاخذ سلطان شاه وأحسن تربيته ، (وطُهر بتطهير الملوك أولادهم)[٢] .

وعندما استولى السلطان جلال الدين منكبرتي على أذربيجان والران سنه ٦٢٢هـ /١٢٢٥ م أرسل إلى شروان شاه يأمره بتقديم الأتاوه السنوية التي كان يقدمها أسلافه للسلطان السلجوقي ملكشاة ـ والتي قدرها النسوي بمائة ألف دينار[٣] -إلا أن شروان شاه اعتذر عن تقديم

١-ابن الأثير : الكامل، جـ ٩ ، ص ٣٥٧ . و انظر أيضاً اليافعي:جامع التواريخ المصرية ،ورقة ٧ أ

٢- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

٣- النسوي:سيرة السلطان جلال الدين ص٢٨٩.وقد قدرالحسيني هذه الأتاوة التي كان يقدمها حكام شروان للسلطان ملكشاه بسبعين ألف دينار.انظرالحسيني: زبدة التواريخ،ص١٥٠ بينما قدر البنداري هذه الأتاوة بسبعين ألف دينار وما لبث هذا المبلغ أن خفض إلى أربعين ألف دينار في عصر السلطان محمود بن محمد انظر البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص١٣٢

هذا المبلغ ، بسبب ضعف موارد بلاده الإقتصادية ، واستيلاء الكرج على أجزاءٍ كبيره من ممتلكاته مثل شكى وقبله وغيرها ،فقبل السلطان عذره وخفف الأتاوة السنوية إلى خمسين ألف دينار فقط[١].

وقد قام السلطان جلال الدين بفتوحات كبيرة في بلاد الكرج وتمكن من فتح مدينة تفليس سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م كما تمكن الخوارزميون من الاستيلاء على مدينتي شكى وقبلة. وعلى الرغم من ذلك فإن السلطان جلال الدين لم يسلم هاتين المدينتين إلى شروان شاه ، بل ضمهما إلى ممتلكاته ، وعين فيهما والياً من قبله ، كما رتب فيهما حامية عسكرية [٢].

لم يقف الخوارزميون عند هذا الحد،بل قام الوزير الخوارزمي شرف الملك[٣] بالاستيلاء على إقليم كشتاسفي[٤]،وطرد عنها نواب شروان شاه

١- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص ٢٨٩ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .وقبلة : مدينة قديمة قرب الدربند من أعمال أرمينية ، أسسها الملك الفارسي قباذ انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ٣٤٨ .

٢- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص ٢٤٧ . وعن فتوحات السلطان جلال الدين منكبرتي في بلاد الكرج : انظر الفصل الرابع ، ص٢٤٤-٢٦١ .

٣- شرف الملك : هو فخر الدين علي بن أبي القاسم الجندي،كان في بداية أمره مستوفياً في ديوان مدينة جُند ، وتقدم عند السلطان جلال الدين .فولاه منصب الحاجب ، ثم عينة وزيراً له ، وتلقب بلقب شرف الملك خواجة جهان، وكان كريماً،فصيحاً في اللغة التركية ، غضب عليه السلطان فقتله سنة ٦٢٨ هـ .انظر النسوي:سيرة السلطان جلال الدين، ص١٨٣-١٨٦ .

٤- كشتاسفي : ولاية تقع جنوب باكو ، قرب فم نهر الكر ، وتسقى من نهر يحمل منه وتشتهر بزراعة القمح والقطن . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢١٥ .

في سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م ، إلا أن السلطان جلال الدين قام بإقطاع هذا الإقليم لسلطان شاه بن شروان شاه [١]. ويبدو أن هذا الصنيع كان له موقعٌ طيبٌ في نفس شروان شاه ، بدليل أنه قام في نفس السنة بزيارة إقليم الران ، حيث اجتمع مع السلطان جلال الدين ، وقدم له مجموعة من الخيول الأصيلة ، فأقره السلطان على حكم ممتلكاته ، واسقط عنه عشرين ألف دينار من الأتاوة المقررة[٢].وعلى الرغم من هذا ، إلا أن شروان شاه لم يكن مخلصاً في طاعته للسلطان جلال الدين،بدليل أنه عندما سمع بأنباء الحملة المغولية ضد الدولة الخوارزمية سنة٦٢٧هـ/ ١٢٣٠ م قام بقتل نواب السلطان الخوارزمي في بلاده،ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل حاول إقامة حلف مع الكرج ضد الدولة الخوارمية[٣].

وعندما سقطت الدولة الخوارمية على يد المغول سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م،تمكن المغول من بسط نفوذهم على إقليم شروان وبلاد الكرج وصار حكام الدولتين يخضعون للقوة المغولية التي سيطرت على بلادهم[٤].

١- النسوي:سيرة السلطان جلال الدين،ص ٢٨٧؛ ابن خلدون تاريخ ابن خلدون جـ٥،ص١٥٨.

٢- اليافعي : جامع التواريخ المصرية ، ورقة ٣١ ب ؛ النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ، ص ١٥٨ .

٣- ابن نظيف الحموي : التاريخ المنصوري ، ص ٢١٨ - ٢١٩ . وعن حملة المغول ضد الدولة الخوارزمية انظر الجويني : تاريخ جها نكشاي ، م٢ ، جـ٢ ، ص ٨٥ - ٩٣ .

٤- ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٩١ ؛ رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ (قسم خلفاء جنكيزخان) ، ص ١٨٤ .

وهكذا كان للقوى الإسلامية في شروان علاقات بالكرج تقلبت بين الإيجابية والسلبية ، وما مرد ذلك إلا لأن هذه القوى كانت في مركز لا يسمح لها بالوقوف في وجه الكرج باستمرار،فحتى يحافظ زعماء هذه القوى على مركزهم فإنهم كانوا يلجأون أحياناً إلى الخضوع للكرج ودفع الأتاوة لهم ، وأحياناً أخرى يتعاونون مع بعض القوى الإسلامية ضد الكرج ، وهذا بخلاف ما سنلاحظه عن الإمارات الإسلامية في أرمينية والجزيرة الفراتية وموقفها من الكرج .

علاقات الإمارات الإسلامية في أرمينية والجزيرة الفراتية مع الكرج (٤٨٥-٦٠٤هـ / ١٠٩٢-١٢٠٧م)

لقد أدى الفتح السلجوقي لأرمينية إلى ظهور عدة إمارات إسلامية في هذه المنطقة ، وتعتبر إمارة خلاط أقوى هذه الإمارات ، على الرغم من أن مساحتها لم تتجاوز خمس مساحة أرمينية[١] .

ولقد أسس إمارة خلاط سكمان القطبي[٢]،الذي تمكن في سنة٤٩٣هـ/١١٠٠م من الاستيلاء على مدينة خلاط،بعد أن استنجد به أهالي المدينة لانقاذهم من الفوضى والاضطرابات السياسية التي عصفت بمدينتهم في أواخر حكم الأسرة المروانية[٣] .

ولقد انشغل سكمان القطبي في بداية حكمه بتوطيد نفوذه في أرمينية بالإضافة إلى انشغاله بحركة الجهاد ضد الإمارات الصليبية في بلاد الشام والجزيرة الفراتية[٤] ولعل ذلك السبب الذي يفسر عدم وجود علاقات بينه وبين الكرج .

١- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ،جـ٤ ، ص٨٥ ؛ أديب السيد : أرمينية في التاريخ العربي ، ص٢١٦ .

٢- سكمان القطبي حكم إمارة خلاط في الفترة (٤٩٣-٥٠٦هـ/١١٠٠ - ١١١٢م).انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، جـ٢ ، ص٣٥٧ .

٣- أبو الفداء : المختصر ،جـ٢ ،ص٢١٣ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ،جـ٢ ، ص١٧ .

٤- عن جهود سكمان في جهاد الصليبين .انظر ابن العديم:زبدة الحلب،جـ٢،ص١٥٤،١٥٨؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،جـ٢،ص٥٢٦،عماد الدين خليل:الإمارت الأرتقية، ص٢٢١،٢٢٣ .

وعندما توفى سكمان سنة ٥٠٦هـ /١١١٢م ، خلفه في حكم إمارة خلاط ابنه ظهير الدين إبراهيم[١].وقد ذكر صاحب صحائف الأخبار أن الأمير إبراهيم كان يقوم بغزو الكرج[٢].والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو لماذا لم يشترك الأمير إبراهيم مع القوات الإسلامية التي حاولت إنقاذ تفليس من السقوط بيد الكرج سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م ؟ والحقيقة أنه لم يرد في المصادر المتداولة بين يدي تفسير لهذا الموقف ، ولكن يبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى سوء العلاقات بين الأمير إبراهيم وبين الأمير إيلغازي بن أرتق أحد زعماء القوات الإسلامية التي حاولت إنقاذ تفليس، حيث أن إيلغازي قام بعد وفاة سكمان القطبي بالهجوم على قوات إمارة خلاط أثناء عودتها من ميدان الجهاد ضد إمارة الرها الصليبية[٣] .

وعندما توفى ظهير الدين إبراهيم سنة٥٢١هـ / ١١١٢م خلفه في حكم إمارة خلاط أخيه أحمد بن سكمان[٤] الذي لم يلبث في الحكم

١- ظهير الدين إبراهيم : حكم إمارة خلاط في الفترة (٥٠٦-٥٢١هـ / ١١١٢-١١٢٧م). انظراستانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ،ص١٥٩.

٢- المولوي : صحائف الأخبار ،جـ١ ، ورقة ٦٠٥أ . ولمزيد من التفاصيل عن جهاد الأمير إبراهيم ضد الكرج انظر فايز نجيب إسكندر : الكرج والأتراك السلاجقة في عهد داود الثاني (بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، القاهرة ،العدد الأول ، ١٩٩٣م) ،ص٢٨٣ .

٣- ابن الأثير : الكامل ،جـ٨ ،ص٢٦٣ .

٤- أحمد بن سكمان : حكم إمارة خلاط في الفترة (٥٢١-٥٢٢هـ/١١٢٧-١١٢٨م) . انظراستانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ،ص١٥٩.

سوى عشرة أشهر ، حيث توفى سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٨م . فخلفه في حكم إمارة خلاط ابن أخيه ناصر الدين سكمان بن إبراهيم (٥٢٢-٥٨١هـ/١١٢٨-١١٨٤م)[١] . ولم أعثر - فيما بين يدي من مصادر لناصر الدين سكمان في بداية حكمه على معلومات تفيد وجود علاقات بينه وبين الكرج . ويبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى أن سكمان عندما تولى حكم إمارة خلاط كان طفلاً في السادسة من عمره، وقامت جدته إينانج بالوصاية عليه ، وقد حاولت جدته أن تستبد بالحكم وأن تقتل سكمان ، ولكن أشراف خلاط علموا بأهدافها ، فقاموا بخنقها سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م وبذلك تخلص سكمان من وصاية جدته[٢] ، بالإضافة إلى أن إمارة خلاط لم تتعرض لأخطار الكرج طوال فترة حكم ناصر الدين سكمان الثاني ، ويبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى توجه أطماع الكرج للإستيلاء على ممتلكات الأسرة الشدادية في آني[٣] .

١- أبو الفداء : المختصر ،جـ٢ ، ص٢٢٦ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ،جـ٢ ،ص٣٠ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ،ص٢٠٣، استانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ، ص١٥٩.

٢- أبو الفداء : المختصر ،جـ٢ ،ص٢٢٦ ، ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ،جـ٢ ،ص٣٠ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ،ص٢٠٣ .

٣- يذكر مينورسكي أن الملك الكرجي داود الثاني استولى على آني سنة ٥١٧هـ/١١٢٤م ، ولكن الكرج إضطروا إلى الإنسحاب من المدينة في عهد الملك ديمتريوس ، بعد أن هددهم السلطان سنجر بالحرب ، وعاد حكم الشدادين إلى المدينة انظر :

Minorsky , studies in caucasian history , pp.٨٤،٨٥ .

ويجدر بنا أن نشير الى أن عدم إدراك حاكم آني الشدادي الأمير فخر الدين شداد[١] لطبيعة أطماع الكرج التوسعية على حساب الإمارات الإسلامية في أرمينية ، قد مهد الطريق لسقوط الإمارة الشدادية في آني بيد الكرج . بدليل ما ذكره الفارقي من أن الأمير فخر الدين شداد أرسل يخطب ابنة الأمير عز الدين سلدق[٢] حاكم أرزن الروم، ولكن عز الدين رفض طلبه، مما أدى إلى غضب الأمير شداد ، فأرسل إلى عز الدين يقول : ((ضعفت عن آنة ، فتحضر تشتريها مني ، فمالي طاقة بالكرج ولا أقدر على دفعهم))[٣] ، فصدقه عزالدين ، وسار إلى آني على رأس قواته ، فلما اقترب منها ، أرسل الأمير شداد إلى ملك الكرج ديمتريوس Demetrius يخبره بوصول عزالدين ، وكان الملك الكرجي معسكراً في جبل بازوي –بينه وبين آني مسيرة يوم أو أكثر –،ويبدو أن الملك ديمتريوس Demetrius كان يخشى من وقوع آني بيد عز الدين سلدق مما يقوي مركزه،ويضعف أطماع الكرج في الإستيلاء على المدينة ، فما أن علم الملك الكرجي بقرب وصول عز الدين سلدق إلى آني ، حتى سار على جناح السرعة إلى آني،واشتبك مع قوات أرزن الروم عند أبوابالمدينة وتمكن من هزيمتهم ، وقُتل وأُسر أعداد كبيرة منهم ،

١- فخر الدين شداد : لم أقف له على ترجمة .

٢- عز الدين سلدق : حكم إمارة أرزن الروم في الفترة (٥٤٠-٥٧٠هـ/ ١١٤٥-١١٧٤م) . انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ،جـ١ ،ص٣٣٤

٣- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٨٩أ . ومدينة آنة هي مدينة آني .

وكان من ضمن الأسرى الأمير عز الدين سلدق نفسه ، وذلك في سنة ٥٤٩هـ /١١٥٤م[١] .

وعندما علم حكام الإمارات الإسلامية في أرمينية والجزيرة الفراتية بما حدث لعز الدين أرسلوا إلى الملك ديمتريوس Demetrius يعرضون إطلاق سراح عز الدين مقابل فدية ضخمة ، فأستجاب الملك الكرجي لطلبهم ، وأطلق سراح عز الدين سلدق مقابل مائة ألف دينار[٢] . وعندما عاد عز الدين إلى بلاده ، أرسل أموالاً طائلة لفداء جنوده الذين وقعوا في أسر الكرج[٣] .

ولقد شجعت هذه الهزيمة التي حلت بالمسلمين سكان آني من النصارى- الذين تمتعوا بنفوذ كبير داخل المدينة ، طوال فترة حكم الأسرة الشدادية - على التمرد على حكم الأمير فخر الدين شداد ، وقد قاد حركة التمرد هذه رجال الدين الأرمن ، الذين تمكنوا من عزل الأمير فخر الدين ، ونصبوا شقيقه فضلون[٤] مكانه ، وذلك

١- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٨٩أ .

وقد ذكر ابن الأثير أن هذه الحادثة كانت في سنة٥٤٨هـ.انظر ابن الأثير:الكامل،جـ٩،ص٤٣ .

ويبدو أن ما ذكره الفارقي هو الأقرب إلى الصواب لأنه مؤرخ معاصر للأحداث بالإضافة إلى صلاته المميزة مع أمراء الإمارات الإسلامية في أرمينية ومع ملوك الكرج .

٢- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٨٩أ .

٣- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٨٩أ .

٤- فضلون : لم أقف له على ترجمة .

في سنة ٥٥٠هـ /١٢٥٥م[١] .

لم يقف رجال الدين الأرمن عند هذا الحد ، بل قاموا في شهر جمادى الأولى سنة٥٥٦هـ/مايو ١١٦١م بتمرد خطير ضد الحكم الإسلامي في آني ، ولم يتمكن الأمير الشدادي فضلون من إخماد هذا التمرد، واضطر إلى مغادرة المدينة ، واعتصم بقلعة بكوان ، فأرسل رجال الدين الأرمن إلى الملك الكرجي جورج الثالث George III يطلبون منه القدوم لتسلم المدينة ، فسار الملك الكرجي على جناح السرعة ، وتمكن من دخول آني ، وقام بأسر جميع أفراد الأسرة الشدادية المقيمين فيها ، ونهب ممتلكاتهم ، وعين حاجبه سعدون نائباً عنه في المدينة ثم عاد إلى تفليس[٢] .

ويعتبر استيلاء الكرج على آني من أهم الأحداث السياسية المؤثرة في تاريخ العلاقات بين القوى الإسلامية في أرمينية والجزيرة الفراتية وبين الكرج ، فلقد شعر زعماء المسلمين في هذه المنطقة بخطورة هذا الأمر،كما أدركوا طبيعة أهداف الكرج التوسعية في أرمينية ، فتكون حلف إسلامي لاسترداد آني من يد الكرج ، تحت قيادة ناصر الدين سكمان الثاني أمير خلاط، وقد ضم هذا الحلف كلاً من عزالدين سلدق

١- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ،ورقة ١٨٩أ ؛ ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٤٧ .

٢- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٩٢أ . وأشار إلى الحادثة باختصار كلاً من ابن الأثير : الكامل،جـ٩ ،ص٧٧ ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ،ص١٧٤ .

صاحب أرزن الروم ، وفخر الدين دولت شاه[١] صاحب أرزن ، وإبراهيم[٢] صاحب سرماري ، كما سار الأمير الأرتقي نجم الدين ألبي بن تمرتاش[٣] صاحب ماردين للانضمام إلى هذا الحلف[٤].

لم يصبر ناصر الدين سكمان الثاني حتى تكتمل القوات الإسلامية بوصول قوات أراتقة ماردين ، فسار في شهر رجب في نفس السنة ، وعبر نهر الرس ، وعندما سمع الملك جورج الثالث George III بمسير الجيش الإسلامي لاسترداد آني سار على جناح السرعة للقائهم ، وعندما التقى الجمعان عند أبواب آني انفصلت قوات أرزن الروم عن صفوف الجيش الإسلامي ، الأمر الذي أدى إلى اضطراب صفوفهم ،وضعف معنوياتهم ، فتعرضوا لهزيمة نكراء في شهر شعبان سنة ٥٥٦هـ / يوليه١١٦١م[٥] . وأفلت سكمان من الوقوع في الأسر بصعوبة بالغة ، ولم يرجع معه إلى خلاط من عسكره سوى

١- فخر الدين دولت شاه : حكم بدليس وأرزن سنة ٥٤٣هـ ،وتاريخ وفاته غير معروف . انظر زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ،ص٣٥٠ .

٢- الأمير إبراهيم : لم أقف له على ترجمة .

٣- نجم الدين ألبي بن تمرتاش : حكم ماردين في الفترة (٥٤٧-٥٧٢هـ/١١٥٢-١١٧٦م) . انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ،جـ٢ ،ص٣٥٣ .

٤- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ،١٩٢أ .

٥- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٩٢أ . ويذكر الفارقي أن السبب في انسحاب قوات أرزن الروم من صفوف الجيش الإسلامي يرجع إلى أن الأمير عز الدين لما وقع في أسر الكرج سنة ٥٤٨هـ /١١٥٤م قام الملك ديمتريوس قبل أن يطلق سراحه باجباره على أن يقسم أن ((لا يضرب في وجهه سيفاً ولا وجه أولاده ، ولا يلقى لـه عسكراً ولا لأولاده ما عاش)). انظر الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ،ورقة ١٩٢أ.

أربعمائة فارس[١] .

ويقدر ابن الأثير عدد شهداء المسلمين في هذه الموقعة بأربعة آلاف شهيد[٢] . بينما قدر الفارقي عدد أسراهم بتسعة آلاف من الفرسان والمشاه[٣] .

أما بالنسبة للأمير عز الدين سلدق ،فمن المرجح –حسبما ورد في الكامل – أن الكرج عندما تمكنوا من هزيمة الجيش الإسلامي عند آني، قاموا بالهجوم على قوات عز الدين سلدق ، وأنزلوا الهزيمة القاسية بها ، وقتلوا وأسروا أعداداً كبيرة من عساكر أرزن الروم ، وكان من ضمن الأسرى الأمير عز الدين سلدق[٤] . ويضيف ابن الأثير أنه عندما سمعت أخته شاه بانوار – زوجة ناصر الدين سكمان الثاني – بوقوع أخيها بالأسر ، أرسلت إلى الملك الكرجي جورج الثالث George III مجموعة من الهدايا الثمينة ، وطلبت منه أن يطلق سراح أخيها ، فاستجاب الملك الكرجي لطلبها ، وأطلق سراح الأمير عز الدين سلدق[٥] .

أما بالنسبة للأمير الأرتقي نجم الدين ألبي بن تمرتاش، فقد سار على

١- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٧٧ .

٢- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ، ص٧٧ .

٣- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٩٢أ .

٤- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٧٧ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ،ص٢٠٣ ؛ البدليسي : شرفنامة ،جـ١ ،ص١٥٨ .

٥- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٧٧ ؛ البدليسي : شرفنامه ،جـ١ ،١٥٨.

جناح السرعة للحاق بناصر الدين سكمان الثاني ، إلا أنه عندما وصل إلى ملاذكرد علم بأنباء الكارثة التي تعرض لها المسلمون عند آني ، فعاد إلى بلاده ، ولم يجتمع بناصر الدين سكمان الثاني[١] .

وعلى الرغم من هذه الهزيمة التي تعرضت لها القوى الإسلامية في أرمينية ، إلا أنها ساعدت في إبراز روح التعاون بين المسلمين ، فعندما علم وزير الإمارة الزنكية بالموصل جمال الدين الأصفهاني[٢] بأنباء هذه الهزيمة التي تعرض لها المسلمون عند آني ، أرسل أحد رجال الدين النصارى ويدعى أغناطيوس كمبعوث من قبله إلى الملك جورج الثالث George III[٣]. وأرسل معه مبلغ خمسة آلاف دينار لافتداء الأسرى المسلمين الذين ليس لهم ((أحد ولا أهل ولا مال))[٤] . ويذكر ابن العبري أن الملك الكرجي بالغ في اظهار الحفاوة والعناية بأغناطيوس ، وقام بإطلاق سراح بعض أسرى المسلمين دون مقابل ، وأعاد أغناطيوس محملاً بالهدايا وبصحبته بعض المبعوثين الكرجيين لمقابلة الوزير

١- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ،ورقة ١٩٢أ .

٢- جمال الدين : هو أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور ، الملقب جمال الدين المعروف بالجواد الأصفهاني ، وزير صاحب الموصل،فلما تولى عماد الدين زنكي ولاية الموصل ، ولاه نصيبين ، وكان من خواصه وأكبر ندمائه ، وما زال يترقى عند الأسرة الزنكية حتى عينه سيف الدين غازي بن أتابك عماد الدين وزيراً له ، وقبض عليه قطب الدين مودود سنة٥٥٨هـ ، ومات في سجنه سنة ٥٥٩هـ . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ٥ ، ص١٤٣-١٤٤ .

٣- ابن العبري : تاريخ الزمان ،ص١٧٤ .

٤- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٩٢ب .

جمال الدين[١]. وعلى الرغم من أن ابن العبري لم يذكر أهداف هذه السفارة ، إلا أنها تدل دلالة واضحة على رغبة الكرج في إقامة علاقات حسنة مع الأمير الزنكي قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي[٢] .

أما بالنسبة لناصر الدين سكمان ، فعندما أدرك عجزه وبقية زعماء الحلف من أمراء الإمارات الإسلامية في أرمينية والجزيرة الفراتية عن التصدي للكرج ووقف أطماعهم التوسعية في أرمينية ، قرر-فيما يبدو – أن ينتهج سياسة جديدة تقوم على تخليه عن زعامة حركة الجهاد الإسلامي ضد الكرج ، والانضمام إلى الجيوش الإسلامية التي قادها السلطان السلجوقي أرسلان شاه وأتابكة إيلدكز ضد الكرج ، ففي سنة ٥٥٨هـ/١١٦٤ اشترك سكمان وفخر الدين دولت شاه صاحب أرزن في الحملة التي قادها السلطان أرسلان شاه وأتابكة إيلدكز ضد الكرج ، ولقد تمكنت القوات الإسلامية من إنزال هزيمة ساحقة بالكرج ، واستولى المسلمون على غنائم طائلة ، وكان لناصر الدين سكمان الثاني نصيباً كبيراً منها،حتى أن الفارقي ذكر أنه حازعلىغنائم طائلة تقدر بثلاثين ضعف ما فقده عند هزيمته قرب آني[٣].

١– ابن العبري : تاريخ الزمان ،ص١٧٤-١٧٥ .

٢– قطب الدين مودود : السلطان صاحب الموصل ، قطب الدين ، مودود بن الأتابك زنكي بن آقسنقر التركي الأعرج ، تملك بعد أخيه غازي ، وكان لابأس بسيرته ، وهو الذي نكب وزيرهم الجواد ، وكانت أيامه اثنتين وعشرون سنة . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠،ص٥٢١-٥٢٢ . وقد حكم الموصل في الفترة (٥٤٤-٥٦٥هـ/١١٤٩-١١٦٩م) . انظر استانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ،ص١٥٣ .

٣– الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٩٤ب .

ويبدو أن الانتصارات التي حققتها القوات الإسلامية ضد الكرج قد شجعت الأمير إبراهيم صاحب سرماري على القيام بغارات عنيفة ضد الكرج ((وقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر جماعة من كبرائهم)) وذلك في سنة ٥٥٩هـ/١١٦٤[١] .

وامتداداً لجهود الإمارات الإسلامية في أرمينية ضد الكرج ، اشترك الأمير ناصر الدين سكمان الثاني في الحملة التي قادها البهلوان بن إيلدكز ضد الكرج في سنة ٥٧١هـ /١١٧٧م وقد حققت القوات الإسلامية بعض الانتصارات ، ثم عادت إلى بلادها محملة بالغنائم[٢].

وعندما توفى ناصر الدين سكمان الثاني سنة ٥٨١هـ/١١٨٧م شهدت إمارة خلاط مرحلة من الفوضى والإضطرابات السياسية ، حيث لم يترك سكمان ولداً يخلفه في حكم إمارة خلاط ، فتولى مملوكه بكتمر[٣] مقاليد الحكم في هذه الإمارة[٤] .

وعندما قتل بكتمر سنة٥٨٩هـ/١١٩٣م قبض آقسنقرهزار ديناري[٥] على محمد بن بكتمر وسجنه ، واستولى على مقاليد الحكم

١- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين، ورقة ١٩٦أ وانظر أيضاً .

٢- عن اشتراك ناصر الدين سكمان في هذه الحملة . انظر الفارقي : ملخص ميافارقين ، ورقة٢٠٨أ ؛ الرواندي : راحة الصدور وآية السرور ،ص٤٢٧-٤٢٨.

٣- هو سيف الدين بكتيمور ، مملوك ظهير الدين إبراهيم ، حكم خلاط في الفترة (٥٨١هـ/٥٨٩هـ) . انظر زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، ص٣٤٨ .

٤- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص١٦٨-١٦٩ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ٢ ،ص١٦٨ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ،ص٢٠٥ .

٥- بدر الدين آقسنقر هزار ديناري : تولى حكم خلاط في الفترة (٥٨٩-٥٩٤هـ/١١٩٣-١١٩٨م) . انظر استانلي لين بول :طبقات سلاطين الإسلام ،ص١٥٩ .

في خلاط[١] .

وعندما توفي آقسنقرهزار ديناري سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م نَصَّب أهالي خلاط محمد بن بكتمر أميراً عليهم ، ولقبوه بالملك المنصور ، وعينوا أحد مماليك ناصر الدين سكمان الثاني ويدعى شهاب الدين قتلغ أتابكاً له[٢].

وعلى الرغم من مرحلة الاضطرابات وعدم الاستقرار السياسي التي شهدتها إمارة خلاط بعد وفاة ناصر الدين سكمان الثاني ، إلا أنني لم أعثر -فيما بين يدي من مصادر - على معلومات تشير إلى وجود أطماع للكرج في أراضي إمارة خلاط ، ويبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى أن الملكة الكرجية ثمارا Thamara انشغلت في تلك الفترة بإخضاع اقليم الران للنفوذ الكرجي ، وليس من مصلحتها الاصطدام مع إمارة خلاط[٣] .

ولقد شهد أواخر عصر الملكة ثمارا Thamara امتداد أطماع الكرج نحو ممتلكات إمارة خلاط ، ففي سنة ٦٠١هـ /١٢٠٤-١٢٠٥ قامت القوات الكرجية بالتوغل في أراضي إمارة خلاط ، ووصلت غاراتهم المدمرة حتى ملازكرد، ولم تجرؤ قوات إمارة خلاط على الخروج للقائهم، أو حتى وقف تقدمهم، فكلما تقدمت القوات الغازية

١- أبو الفداء : المختصر ،جـ٣ ،ص٨٨ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ،جـ٢ ،ص١٥٦ .

٢- أبو الفداء : المختصر ،جـ٣ ،ص٩٤ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ،جـ٢ ،ص١٦٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ،ص٢٠٥-٢٠٦ .

٣- انظر مايلي ،ص ١٦٥ - ١٦٩ .

في أراضي الإمارة ، انسحبت القوات الإسلامية أمامها ، مخلية الطريق أمام الكرج الذين قاموا بعمليات نهب وأسر واسعة ، ثم عادوا إلى بلادهم محملين بالغنائم[١] . ويبدو أن عدم الإستقرار السياسي في خلاط ، بالإضافة إلى صغر سن حاكمها محمد بن بكتمر ، قد أدى إلى تقاعس عساكر خلاط عن التصدي للكرج .

لم تقف الملكة ثمارا Thamara عند هذا الحد ،بل قامت في نفس السنة بتجهيز حملة ضخمة بقيادة زكري الصغير ، وقد توغلت هذه الحملة في أراضي إمارة خلاط ، وهاجمت أرجيش ونواحيها ، ثم غادرتها وتوجهت شمالاً ، حيث قامت بفرض الحصار على حصن التين -الواقع ضمن إمارةخلاط والقريب من أرزن الروم-[٢].ويبدو أن الهدف الأساسي للحملة الكرجية كان السيطرة على هذا الحصن،لتهديد طريق المواصلات بين إمارة خلاط وإمارة أرزن الروم السلجوقية، وبالتالي منع قيام سلاجقة الروم من تقديم المساعدات لإمارة خلاط ، لا سيما أن الأمير مغيث الدين طغرل صاحب أرزن الروم كان يرتبط بعلاقات جيدة مع إمارة خلاط ، حيث كان متزوجاً من شقيقة حاكم خلاط محمد بن بكتمر[٣].

١- الأصفهاني : البستان الجامع ، ورقة ١٥٥أ ؛ ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٢٦٩.

٢- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ /ص٢٦٩ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ،جـ٢ ،ص٢٩٢ .

٣- سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ،جـ٨ ،ق٢ ،ص٥٣٤ ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص٦٠ ؛ النويري : نهاية الأرب ،جـ٢٩ ،ص٤٤ .

وإزاء هذا الخطر أرسل حاكم خلاط يستنجد بمغيث الدين طغرل، الذي أدرك خطورة سقوط حصن التين على إمارته، فلم يتوان عن إرسال جميع قواته للانضمام لقوات إمارة خلاط،وقد سارت القوات الإسلامية بقيادة حاكم خلاط للتصدي لإعتداءات الكرج،وفك الحصارعن حصن التين،وعندما اقترب المسلمون من حصن التين اشتبكوا مع الكرج، ودارت معركة عنيفة بين الجانبين أسفرت عن هزيمة ساحقة للكرج،الذين فقدوا أعداداً كبيرة من قواتهم،وكان من ضمن القتلى زكري الصغير[١] .

وعلى الرغم من هذه الهزيمة التي تعرض لها الكرج عند حصن التين،إلا أنهم لم يتخلوا عن أطماعهم التوسعية في أراضي إمارة خلاط ، ففي العام التالي ٦٠٢هـ/١٢٠٦م استأنف الكرج غاراتهم على أراضي إمارة خلاط ، وقد تقاعست القوات الإسلامية في خلاط عن الخروج للقائهم ، ويعلل ابن الأثير ذلك بقوله : ((لأن صاحبها صبي والمدبر لدولته ليس له تلك الطاعة على الجند))[٢] . ولكن عندما اشتدت غارات الكرج ، حرض المسلمون بعضهم بعضاً ، وشعروا بوجوب أداء

١- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٢٦٩ ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ،ص٢٤٤ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر ،جـ٩ ،ص١٥١-١٥٢ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ،حوادث سنة ٦٠١هـ ، ص٤٧ ؛ الغساني: العسجد المسبوك ، جـ٢ ،ص٢٩٢ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، جـ٨ ، ص٥ .

٢- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٢٨٣ .

فريضة الجهاد للدفاع عن أنفسهم وأموالهم وحرماتهم ، فاجتمعت العساكر الإسلامية من جميع أنحاء الإمارة ، وانضم إليهم جمعٌ غفيرٌ من المتطوعة ، وعينوا قائداً لهم ، وتوجهوا للقاء الكرج ، فلما سمع الكرج بذلك ، تركوا مواقعهم ،ونزلوا في إحدى الوديان الضيقة للقيام بمباغتة المسلمين إذا دخل الليل ، ولكن أنباء تحركات الكرج وصلت إلى مسامع المسلمين ، الذين توجهوا على جناح السرعة لمحاصرة الوادي ، وتمكن المسلمون من السيطرة على رأس الوادي وأسفله، فلما شاهد الكرج ذلك اضطربت صفوفهم ، ودب اليأس في نفوسهم ، وأصبح من السهل على المسلمين الانقضاض عليهم ، فأكثروا القتل والأسر فيهم ((ولم يفلت من الكرج إلا القليل))[1] .

لم تفت هذه الهزائم في عضد الملكة ثمارا Thamara ، التي وجهت أطماعها نحو حصن قرس[2] ، مستغلة حالة الفوضى والاضطرابات السياسية في خلاط ، والتي بلغت أوجها عندما قام محمد بن بكتمر بقتل أتابكه شهاب الدين قتلغ[3] . ويبدو أن الاستيلاء على القرس كان هدفاً أساسياً للقادة العسكريين الجورجان ، لكون قرس

١- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٢٨٣ . وانظر أيضاً ابن الساعي : الجامع المختصر ،جـ٩ ، ص١٧٧ ؛الذهبي : المختار من تاريخ ابن الجزري ،ص٩٠ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ،جـ٢ ، ص٣٠٤ .

٢- قرس : ورد هذا الاسم عند ياقوت باسم قرص : وهي مدينة أرمنية من نواحي تفليس ، بينها وبين تفليس يومان . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ،جـ٤ ،ص٣٦٧ .

٣- ابن الأثير :الكامل ،جـ٩ ،ص٢٨٨ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ،ص٢٠٦ .

تعتبر المفتاح الحيوي لمنطقة القوقاز[١] . بالإضافة إلى ما تتمتع بـه هـذه المدينة من حصانة طبيعيـة شـديدة[٢] . وكـان حصـن قـرس قـد تعـرض لمضايقات الكرج وغاراتهم المستمرة ، حتى أنهم استولوا على مواردها المالية لعدة سنوات ، مما أدى إلى اضعافها ، ثم قـاموا بفـرض الحصـار عليها ، فأرسل حاكم المدينة يستنجد بالحكومة المركزيـة فـي خـلاط، إلا أنه لم يحصل على أي مساعدة، حيث كـان المسئولون فـي خـلاط منهمكين بخلافاتهم ومنازعاتهم ، فلما يئس حاكم قـرس مـن الحصـول على أي مساعدة من القـوى الإسـلامية فـي أرمينيـة ، بالإضافـة إلـى مـا أصاب قواته من ضعف جـراء استمرار الحصـار الكرجـي الشـديد علـى حصن قرس ، اضطر إلى مراسلة الكرج ، وتعهد لهم بتسليم الحصن لهم مقابل مبلغ كبير من المال وإقطاع يأخذه منهم ، فوافق الكرج على ذلك ، وتسلموا حصن قرس ((وصارت دار شرك بعد أن كانت دار توحيـد)) وذلك في سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦- ١٢٠٧ م[٣] .

وإزاء هذه الخطوة غير الموفقة من قبل حاكم قـرس ، فقـد هـاجم المؤرخ المعاصر ابن الأثير ملوك وأمـراء المسـلمين فـي ذلـك الوقـت ، واتهمهم بالتقاعس والتخاذل وحملهم مسؤولية سقوط هذا الحصـن بيـد

١- Michael Pereira : op.cit , p . ٧٣ .

٢- مما يدل على ما تتمتع به قرس من حصانة طبيعيـة شـديدة ، أنهـا مـن الحصـون القليلـة التـي استعصت على السلطان جلال الدين منكبرتي . انظر الفصل الرابع ،ص٢٥٤.

٣-ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٢٨٩ . وانظر أيضاً ابن العـبري : تـاريخ الزمـان ،ص٢٤٦ ؛ ابـن الساعي : الجامع المختصر ،جـ٩ ،ص٢٠٦ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ،جـ٢ ،ص٣١٢

الكرج بانشغالهم بخلافاتهم الداخلية ، وظلم رعاياهم ، وتركهم لأداء فريضة الجهاد وحماية الثغور[١] .

وبالرغم من أن الكرج تمكنوا من الاستيلاء على آني وعلى قرس أهم المدن الحصينة في أرمينية من أمراء الإمارات الإسلامية في هذه المنطقة ، فإن حركة الجهاد لم تنقطع ضد الكرج ، حيث قام زعماء أتابكية أذربيجان وبعض مماليكهم بالجهاد ضد الكرج ، وهذا ما سنرى تفصيله في المبحث التالي إن شاء الله تعالى .

١- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٢٨٩ . وانظر أيضاً .

موقف أتابكية أذربيجان من الكرج
(٥٤١-٦٢٢هـ / ١١٤٦-١٢٢٢م)

تعتبر أتابكية أذربيجان من أهم الإمارات الإسلامية التي قامت في شمال العالم الإسلامي،ولقد كانت علاقات هذه الإمارة مع الكرج تعتبر امتداداً لعلاقات سلاجقة العراق وإيران مع الكرج،حيث تحملت مع الإمارات الإسلامية في أرمينية لفترة من الزمن أعباء حركة الجهاد ضد الكرج .

وتنسب أتابكية أذربيجان إلى إيلدكز ، الذي كان في بداية أمره مملوكاً تركياً للوزير السلجوقي الكمال السميرمي[1] ، وما زال إيلدكز يترقى في سلك المناصب الحكومية ، حتى عينه السلطان مسعود في سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م حاكماً على إقليم الران ، وزوجه من أرملة أخيه السلطان طغرل بن محمد[2] .

ولما كان إقليم الران من أقرب أقاليم الدولة السلجوقية إلى ممتلكات الكرج ، وأكثرها تعرضاً لاعتداءاتهم ، فقد كان من الطبيعي أن يكون إيلدكز من أكثر حكام السلاجقة تأثراً بتلك السياسة الصليبية التي سارت

١- الكمال السميرمي : هو الكمال نظام الدين أبو طالب علي بن أحمد بن حرب السُميرمي ، كان وزيراً للسلطان محمود ، سيء السيرة ، كثير الظلم للرعية ، قُتل على يد الإسماعيلية سنة ٥١٦هـ . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ،جـ٢ ،ص١٩٠ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ٢، ص٧٥٧ -٧٥٨ .

٢- المولوي : صحائف الأخبار ، جـ١ ، ورقة ٦٣٩ب ؛ ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٧٣ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ،ص٩٨ ؛ أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ،جـ٢ ،ص٣٦٣ .

عليها مملكة الكرج . وقد وصلت أحوال إقليم الران في بداية حكم إيلدكز إلى مرحلة من الضعف الشديد ، حتى أن بعض مدن هذا الإقليم مثل جنزة وبيلقان، اضطرت إلى دفع أتاوة سنوية للكرج مقابل كف اعتداءاتهم عنها[١] .

وعندما توفى السلطان السلجوقي محمد بن محمود سنة ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م تهيأت الفرصة لإيلدكز لتوسيع نفوذه ، فقد تمكن إيلدكز في سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م من دخول همذان ، ونصب ربيبه -ابن زوجته- أرسلان شاه بن طغرل على عرش السلطنة السلجوقية ،والذي لم يكن له إلا الاسم[٢] .

ولقد استغل الكرج فترة انشغال إيلدكز بإخماد الفتن والاضطرابات التي اندلعت ضد حكم السلطان أرسلان شاه ، بالإضافة إلى بُعد إيلدكز عن ممتلكاته في أذربيجان والران،فحشد الملك جورج الثالث George III ثلاثين ألف مقاتل توجه بهم إلى مدينة دوين ، وتمكن من الاستيلاء عليها في شهر شعبان سنة ٥٥٧هـ / الموافق شهر يوليو ١١٦٢م[٣].

١- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٢٧٢.وبيلقان : مدينة قرب الدربند ، تُعد في أرمينية الكبرى قريبة من شروان . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ،ص٦٣٣ .

٢- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٧٢-٧٣ ؛ الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ،ص٤٠٩ ؛ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ،ص٢٧١ ؛ عبد النعيم حسنين : سلاجقة العراق وإيران ، ص١٤٠-١٤١ .

٣- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٧٩ ؛ الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ،ص٤١١ ؛ أبو الفداء : المختصر ،جـ٣ ،ص٣٩ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ،جـ٢ ،ص٩١ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ،ص٩٤ .

لم يكتفِ الكرج بالاستيلاء على المدينة فقط ، بل دمروها ، فهدموا مساجدها ، وأحرقوا منازلها ((ونقضوا المنارة التي كان بناها قرني بن الأحدب[١] من جماجم الكرج))[٢] . وقتلوا عشرة آلاف من سكان دوين ونواحيها ، ثم عادوا إلى بلادهم ومعهم جموع غفيرة من أسرى المسلمين ، وقد أجبر الكرج نساء المسلمين الأسرى على السير طوال الطريق حفاة عراة ، فلما وصلوا الى بلادهم استنكر نساء الكرج هذا التصرف القذر وقلن لهم : ((قد أحوجتم المسلمين إلى أن يفعلوا بنا مثل ما فعلتم بنسائهم وكسونهن))[٣] .

ويبدو أن ما حققه الكرج من انتصار في دوين ، وما استولوا عليه من غنائم ، قد أغراهم بمواصلة اعتداءاتهم ، ففي نفس السنة هاجم الكرج أراضي إقليم الران، فأغاروا على جنزة ونواحيها،ثم عادوا الى بلادهم محملين بالغنائم[٤].

أما بالنسبة للأتابك إيلدكز ، فعندما علم بأنباء اعتداءات الكرج ،

١- قرني بن الأحدب : هو حسام الدولة قرني بن طغان أرسلان الأحدب ، حكم أرزن وبدليس ودوين في الفترة (٥٣٢هـ/٥٣٨هـ) انظر زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص٣٥٠ .

٢- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٩٣أ .

٣- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٧٩-٨٠ . وانظر أيضاً عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٥٩ .

٤- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٩٣أ .

ترك همذان ، وعاد مسرعاً إلى إقليم الران ، فلما وصل إلى نخجوان أرسل إليه الكرج يقولون إن ((لنا على كنجة وبيلقان خراج يصل إلى خزانة الملك في كل سنة ، وقد انقطع عنا منذ سنين ما وصل إلى الخزانة ، ونريد منك أن تدفع ذلك لنا)) ، إلا أن إيلدكز رفض أن يدفع لهم شيئاً ، وذكر لرسولهم أنه لم يأتِ إلى إقليم الران ، إلا لأداء فريضة الجهاد وفتح تفليس[١].

ولقد أرسل إيلدكز إلى السلطان السلجوقي أرسلان شاه يخبره بأطماع الكرج في بلاد المسلمين ، ويطلب منه المسير لقتالهم ، فخرج السلطان أرسلان من همذان ، واصطحب معه عساكر العراق العجمي ، وسار إلى إقليم الران، والتقى مع أتابكة إيلدكز في نخجوان[٢] .

وكانت أطماع الكرج وغاراتهم المستمرة على ممتلكات المسلمين في أرمينية وأذربيجان ، واستيلاءهم على آني في سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م قد أجبرت كلاً من ابن آقسنقر الأحمديلي[٣]،صاحب مراغة[٤]،وحليفة ناصر الدين

١- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٢٧٢ .

٢- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٢٧٢ . والعراق العجمي أو إقليم الجبال : اسم علم للبلاد الواقعة بين أصفهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور والري وما بين ذلك من البلاد ، وتسمية العجم له بالعراق غلط لا أعرف سببه . انظر ياقوت : معجم البلدان ،جـ٢ ،ص١١٥ .

١- ابن آقسنقر الأحمد يلي : هو نصرة الدين أرسلان آبة بن آقسنقر الأحمديلي،كان صهراً للأتابك إيلدكز على ابنته جلالية . انظر الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٢٤٧، الحاشية رقم(١) .

٤- مراغة : مدينة كبيرة مشهورة ، وهي قصبة بلاد أذربيجان ، وهي كثيرة الأهل غزيرة الأنهار كثيرة الأشجار وافرة الثمار . انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ،ص٥٦٢ . وهي تبعد عن تبريز سبعين ميلاً ، وتقع على نهر صافي .انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ،ص١٩٨.

سكمان الثـاني صـاحب خـلاط ، علـى تناسـي خلافاتهمـا مـع الأتـابك إيلدكز ، وانضمـا إلى القـوات الإسـلامية بقيـادة السـلطان أرسـلان شـاة وأتابكه إيلدكز[١] .

وعندما وصلت أنباء الحشـود الإسـلامية - الـتي قدرهـا ابـن الأثـير بخمسين ألف مقاتل[٢] - إلى مسامع الملك جورج الثالث George III ، حاول عدم الاصطدام مع القوات الإسلامية ، فأرسل إلى الأتابك إيلدكـز رسالة يخبره فيها بأنه مستعد لعقد الصلح مـع المسـلمين[٣] .فلمـا وصلـت رسالة الملك الكرجـي إلى إيلدكـز اجتمـع بـأمراء المسـلمين لمناقشـة هـذا العرض ، وكان إيلدكز يميل إلى عقـد الصلـح مـع الكـرج ، إلا أن أمـراء العراق العجمي رفضوا عقد الصلح معهم،وذكروا أنهم ما جاؤوا إلى هذه المنطقة ، وما تكبدوه من عناء السفر ، كان من أجل أداء فريضة الجهاد ، والانتقام من الكرج جزاء ما فعلوه بالمسـلمين ونسـائهم ، وأيدهـم نـاصر الدين سكمان الثاني صاحب خلاط ، الذي كان من أكثر أمراء المسلمين إدراكـاً لحقيقـة أطمـاع الكـرج في الأراضـي الإسـلامية ، فـنزل الأتـابك

١- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٨٠ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلـدون ،جـ٥ ،ص٩٤ . وعـن الخلاف بين ابن آقسنقر الأحمديلي والأتابك إيلدكز انظر ابن الأثير : الكامل،جـ٩ ،ص٧٣ .

٢- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٨٠ .

٣- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٦٢ .

إيلدكز عند رأيهم[١]. وبدأ عملياته العسكرية ضد الكرج بالهجوم على مدينة مرين -التي تقع شمال دوين - ، وحاصرها ، وتمكن من الاستيلاء عليها ، وقتل بها أربعة آلاف من النصارى ،ثم أحرقها .ووضع بها حامية عسكرية[٢] .

وعندما علم الملك جورج الثالث George III بأنباء الهجوم الإسلامي على ممتلكاته ، قاد جيشه ، وسار لقتال القوات الإسلامية ، والتقى بهم عند حصن الكركي[٣] ، وكان إيلدكز قد قام بتقسيم الجيش الإسلامي إلى ثلاثة فرق ،الفرقة الأولى تقدمت للقاء العدو ، فلما اشتد القتال واضطربت صفوف المسلمين دفع إيلدكز بالفرقة الثانية التي تتكون من أمراء العراق العجمي وعساكرهم، واستمر القتال بين الطرفين حتى منتصف النهار ، دون أن يتمكن أي من الطرفين من تحقيق النصر ، وعند ذلك دخلت الفرقة الثالثة بقيادة إيلدكز نفسه إلى ميدان المعركة ، وقامت بمهاجمة الكرج الذين أنهكهم القتال ، فانهزموا شر هزيمة[٤]، ويشير الفارقي إلى أن هذه المعركة حدثت في التاسع من شهر شعبان سنة

١- الحسيني:زبدة التواريخ ،ص٢٧٢-٢٧٣

٢- Minorsky : op.cit , p . ٩٣ .

٣- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٩٤أ . وحصن الكركي : لم أقف له على ترجمة .

٤- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٢٧٤-٢٧٥ .

٥٥٨هـ / الموافق /١٣ يولية ١١٦٣م[1] .

ويذكر ابن الأثير أن السبب في هزيمة الكرج يرجع إلى أن أحد أمراء الكرج اعتنق الإسلام ، وطلب من إيلدكز أن يعطيه بعض قواته ليقوم بالالتفاف حول الجيش الكرجي ، ويهاجمهم من الخلف ، فوافق إيلدكز على ذلك ، واتفق معه على الهجوم على الكرج في يوم محدد ((فلما كان ذلك اليوم قاتل المسلمون الكرج ، فبينما هم في القتال وصل ذلك الكرجي الذي أسلم ومعه العسكر وكبروا، وحملوا على الكرج من ورائهم فانهزموا وكثر القتل فيهم والأسر)) وطاردهم المسلمون مدة ثلاثة أيام[2] .

أما بالنسبة للملك جورج الثالث George III ، فقد هرب من ميدان المعركة ، واعتصم بإحدى الغابات ((فيها خشب الصنوبر مسيرة ثلاثة أيام))[3] .

١- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ،ورقة ١٩٤أ . ويذكر ابن الأثير أن الحملة الإسلامية التي قادها إيلدكز ضد الكرج بدأت في شهر صفر سنة ٥٥٨هـ واستمرت أكثر من شهر .انظر ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٨٠ . بينما ذكر الحسيني أن هذه المعركة حدثت في سنة ٥٥٦هـ. انظر الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٢٧٦ وهو تاريخ لا يمكن أن نطمئن إلى صحته لأن الهدف الأساسي لهذه الحملة كانت تأديب الكرج الذين استولوا على دوين سنة ٥٥٧هـ . ويبدو أن التاريخ الذي ذكره الفارقي هو الأقرب إلى الصواب ، لأن الفارقي كان معاصر لهذا الحدث ، بالاضافة إلى أنه حدد مكان وزمان المعركة .

٢- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩،ص٨٠ .

٣- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٩٤أ .

وعلى الرغم من الخسائر الكبيرة التي تكبدها الكرج في موقعة حصن الكركي –والتي قدرها الحسيني بعشرة آلاف قتيل[١] – ،إلا أن إيلدكز لم يستثمر هذا الانتصار لتحقيق مكاسب كبيرة للمسلمين ، فلم يحاول فتح تفليس كما كان ينوي سابقاً ، ويبدو أن السبب الرئيسي في ذلك هو أن الإسماعيلية في إيران استغلوا فترة انشغال إيلدكز بقتال الكرج ، وقاموا بالاستيلاء على بعض الأراضي القريبة من قزوين ، وشيدوا فيها عدة قلاع ، مما اضطر السلطان أرسلان وأتابكة إيلدكز إلى التوجه إلى إيران لاسترداد هذه الأراضي[٢] . وهذا يدل دلالة واضحة على ما كان لهذه الطائفة من أثر كبير في تعطيل حركة الجهاد ضد الكرج .

ونظراً لأن سقوط آني بيد الكرج في سنة ٥٥٦هـ /١١٦١م قد أعطاهم موقعاً متقدماً لمهاجمة أراضي أتابكية أذربيجان ، فإن إيلدكز وجه إهتمامه لإستعادتها ، وتمكن بعد جهود كبيرة من فتحها ، وضمها إلى ممتلكاته ، إلا أن الكرج تمكنوا من الاستيلاء عليها مرة أخرى وذلك في سنة ٥٥٩هـ /١١٦٤م[٣] .

١- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٢٧٥ .

٢- الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ،ص٤١٤ ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية ،ص١٤٩. وقزوين:مدينة كبيرة مشهورة عامرة في فضاء الأرض،طيبة التربة واسعة الرقعة كثيرة البساتين والأشجار ، وهي مدينتان ، إحداهما في وسط الأخرى ، والمدينة الصغرى تسمى شهرستان ، لها سور وأبواب ، والمدينة الكبيرة محيطة بها ، ولها سور وأبواب . انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ،ص٤٣٤ .

٣-الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٩٦أ؛عفاف صبرة:دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٦٣ .

وعندما علم إيلدكز بسقوط آني بيد الكرج ، سار على جناح السرعة ، وهاجمها ، وتمكن من دخولها-بعد أن هرب من بها من الكرج- في نفس السنة ، وأقام إيلدكز بها مدة من الزمن ، رتب خلالها أمور المدينة ، ((وشرع في عمارتها)) ، كما قام بتعيين الأمير الشدادي شاهنشاه بن منوجهر[١] حاكماً عليها[٢] .

لم تفت هذه الهزائم في عضد الملك جورج الثالث George III الذي قامت قواته في سنة ٥٦١هـ /١١٦٦م بغارات عنيفة على أراضي إقليم الران ، ووصلت اعتداءاتهم حتى مدينة جنزة ((فقتلوا واسروا وسبوا كثيراً ونهبوا مالا يحصى))[٣] .

أما بالنسبة لإيلدكز ، فمن المرجح أنه لم يتمكن من تأديب الكرج ، لا سيما وأنه انشغل في تلك الفترة بالتصدي لأطماع السلطان الخوارزمي آيل أرسلان (٥٥١-٥٦٨هـ/١١٥٦-١١٧٢م) في مدينة نيسابور[٤] .

١- شاهنشاه بن منجوهر : لم أقف له على ترجمة .

٢- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٩٦ أ ؛ Minorsky : op.cit , p ٩٦ .

٣- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٩٤ . وانظر أيضاً عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٦٣ .

٤- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٢٧٧-٢٧٨ . ونيسابور : مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة ، معدن الفضلاء ومنبع العلماء ، وتنسب إلى مؤسسها الملك الفارسي سابور ، وتبعد عن مرو ثلاثون فرسخاً . انظر ياقوت : معجم البلدان ،جـ٥ ،ص٣٨٢ .

وعندما توفى إيلدكز سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م خلفه ابنه محمد البهلوان[١] الذي نصب نفسه أتابكة لأخيه السلطان أرسلان شاه ، ثم لابن أخيه السلطان طغرل الثالث[٢] .

أما بالنسبة للعلاقات بين محمد البهلوان والكرج ، فإنها ترجع إلى سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م ، عندما قام الكرج بالهجوم على مدينة آني ، وعجز الأمير الشدادي شاهنشاه عن التصدي لهم ، فتمكن الكرج من الاستيلاء عليها ، وقاموا بنهبها ، ثم عينوا فيها والياً من قبلهم[٣] .

وعقب سقوط آني بيد الكرج ، قامت عساكر أتابكية أذربيجان ببعض الغارات على ممتلكات الكرج ، وحدثت بعض الاشتباكات بين الكرج والمسلمين ، ولم يتمكن أي من الطرفين بتحقيق انتصار حاسم على الطرف الآخر ، وعاد المسلمون على أثرها إلى نخجوان[٤] .

لم يقف محمد البهلوان[٥] مكتوف الأيدي ، بل صمم على الانتقام

١- محمد البهلوان : حكم أتابكية أذربيجان في الفترة (٥٦٨-٥٨١هـ / ١١٧٢-١١٨٥م) . انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة،جـ٢، ص ٣٦٤ .

٢- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص١٧٤ ؛ سعد الغامدي : أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ،ص٦١-٦٢ .

٣- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ٢٠٤ب ؛ عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ،ص٤٦٣ .

٤-الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ٢٠٥ب .

٥- يذكر الفارقي أن إيلدكز اشترك في هذه الحملة ، ولكن إيلدكز توفى سنة ٥٦٨هـ ، وقد تمت هذه الحملة في عهد ابنه البهلوان . انظر عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٦٤ ، حاشية رقم (٨٤).

من الكرج لقيامهم بالاستيلاء على آني ، فقاد قواته ، وانضمت إليه قوات صهره ناصر الدين سكمان الثاني حاكم خلاط ، وجموع غفيرة من قبائل التركمان التي تقطن المنطقة ، وقد توجهت هذه القوات إلى صحراء لوري ودومانيس من بلاد الكرج سنة ٥٧١هـ/١١٧٦[١] .

أما بالنسبة للكرج ، فعندما سمع الملك جورج الثالث George III بمسير القوات الإسلامية ، لم يجرؤ على الخروج للقائهم ، وأعتصم بإحدى الغابات الجبلية ((و لم يكن لجند المسلمين منفذ إلى هذه المنطقة الضيقة)) ، فهاجمت القوات الإسلامية مدينة آق شهر[٢] ، وتمكنوا من فتحها ، كما

١- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ٢٠٨أ ؛ Minorsky : op . cit , pp , ٩٧،٩٨.
وقد ذكر الراوندي أن هذه الحملة بدأت في أواخر سنة ٥٦٩هـ . انظر الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ، ص ٤٢٧ . وهو تاريخ لا يمكن أن نطمئن إليه ، لأن حاكم خلاط ناصر الدين سكمان كان في هذه الفترة منشغلاً بجهاد السناسنة . انظر ابن العديم : بغية الطلب ،جـ٤ ،ص١٥٧٩ . وقد ذكر الراوندي أن السلطان السلجوقي أرسلان شاه كان ينوي الاشتراك في هذه الحملة ، إلا أن ظروفه الصحية منعته من ذلك . انظر الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ، ص٤٢٧ .
ولوري : المدينة الأولى من مقاطعة تأشير ، خراباتها اليوم في أرمينية الحالية ، وكانت عاصمة أرمينية في القرن العاشر الميلادي . انظر الجويني : تاريخ جهانكشاي ،م٢ ،جـ٢ ،ص٦٥ ، الحاشية رقم (٢) . ودومانيس أو دُمانس : مدينة من نواحي تفليس بأرمينية ، يُجلب منها الإبرسيم . انظر ياقوت : معجم البلدان ،جـ٢ ،ص٥٢٦ .

٢- آق شهر : مدينة كبيرة بناها الملك جورج الثالث ، ومعناها المدينة البيضاء . انظر الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ، ص ٤٢٨ والحاشية رقم (١) من نفس الصفحة .

هاجموا ولاية ثرياليت، ودمروا مزارعها ، واستولوا على غنائم طائلة[١].

وبعد أن انتهت هذه الحملة التأديبية على بلاد الكرج ، عادت القوات الإسلامية إلى بلادها في سنة ٥٧١هـ /١١٧٦[٢] .

ولم يقف محمد البهلوان عند هذا الحد ، بل قام بتقديم المساعدات للثورة التي قادها إيفان الأوربلي Ivane Orbeliane ضد حكم الملك الكرجي جورج الثالث George III ، إلا أن الملك الكرجي تمكن من القضاء على هذه الثورة[٣] .

وامتداداً لجهود محمد البهلوان في حركة الجهاد ضد الكرج ، قاد حملة ضخمة ضدهم ((فلم يقدر أحد أن يقابله ، ونفذوا إليه وصالحوه على ما أراد))[٤] .

وعندما توفي محمد البهلوان سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م ، خلفه في حكم أتابكية أذربيجان أخيه مظفر الدين قزل أرسلان[٥] ونصب نفسه أتابكاً

١- الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ،ص٤٢٧-٤٢٨ . انظر أيضاً الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ٢٠٨أ ، ابن النظام الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية ،ص١٥٤-١٥٥ ؛ عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ،ص٤٦٤ .

٢- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ٢٠٨أ.

٣- عن ثورة ايفان الأوربلي أنظر

Minorsky , The Turks , Iran and the Caucasus in the middle ageg pp٨٧٥, ٨٧٦.

عفاف صبرة : درايات في تاريخ الحروب الصليبية ،ص٤٦٤-٤٦٥ .

٤- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٢٨٨ . ولم يذكر الحسيني تاريخ هذه الحملة .

٥- مظفر الدين قزل أرسلان:حكم أتابكية أذربيجان في الفترة (٥٨٢-٥٨٧هـ/ ١١٨٦-١١٩١م). أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة،جـ٢،ص٣٦٤ .

للسلطان السلجوقي طغرل الثالث[١] .

و لم أعثر -فيما بين يدي من مصادر - على معلومات تفيد وجود علاقات بين مظفر الدين قزل أرسلان والكرج ، ويبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى انشغال مظفر الدين طوال فترة حكمه بالنزاع مع السلطان السلجوقي طغرل الثالث[٢]. بالإضافة إلى انشغاله بالنزاع مع أبناء أخيه البهلوان -اينانج محمود وأمير أميران عمر - بسبب ميله إلى ابن أخيه أبو بكر بن البهلوان[٣] .

وعندما قتل الأتابك قزل أرسلان سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م[٤] ، هرب ابن أخيه أبو بكر[٥] من همذان ، وتوجه إلى نخجوان ، وبسط نفوذه

١- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص١٧٤ ؛ أبوالفداء: المختصر ،جـ٣ ،ص٧٠-٧١ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ،ص٩٩ .

٢- عن النزاع بين الأتابك مظفر الدين قزل أرسلان والسلطان السلجوقي طغرل الثالث . انظر الحسيني : زبدة التواريخ ، ص٢٩٣-٣٠١ ؛ الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ، ص٤٩٢-٥٠١ ؛ ابن النظام الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية ،ص١٦٢-١٦٤ ؛ سعد الغامدي : أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص٦٥-٧٣ .

٣- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٢٩١-٣٠٠ ؛ سعد الغامدي : أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ،ص٦٥ .

٤- عن ظروف اغتيال الأتابك قزل أرسلان . انظر الحسيني: زبدة التواريخ ،ص٢٩٨-٢٩٩ ؛ ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ، ص٢١٨ ؛ الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ،ص٥٠١-٥٠٢ .

٥- أبو بكر بن البهلوان : حكم أتابكية أذربيجان في الفترة (٥٨٧-٦٠٧هـ/ ١١٩١-١٢١٠م). انظر استانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام،ص١٦١ .

على إقليمي أذربيجان والـران[١] . ومنـذ عهـد أبـي بكـر بـدأ نفـوذ بـني إيلدكز ينحصر في هذه المنطقة[٢].

وما لبث أن دخل أبو بكر بـن البهلـوان في نـزاع مريـر مـع أخويـه إينانج محمود وأمير أميران عمر ، حيث حاول إينانج وأخيه الأصغـر أمـير أميران عمر الاستيلاء على ممتلكات أخيهما أبي بكر ، وتمكنا من دخـول تبريز ، وانضم إليهمـا جمـوع غفـيرة مـن جنـود أتابكيـة أذربيجـان ، ثـم توجها للاستيلاء على نخجوان ، حيث تصدى لهمـا أبـو بكـر ، وهزمهـم هزيمة نكراء ، هرب على إثرها إينانج محمود إلى العراق[٣] .

أما بالنسبة لأمير أميران عمر ، فقد هرب إلى إقليم شروان ، حيـث التقى مع حاكمها شروان شـاه ، الـذي أحسـن اسـتقباله ، وزوجـه مـن ابنته[٤] . و لم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن شـروان شـاه قـام بإقنـاع أمير أميران عمر بطلب المساعدة من الكرج ضد أخيـه أبـو بكـر ، فسـار أمير أميران وصهره شروان شاه إلى تفليـس ، حيـث اجتمعـا مـع الملكـة ثمارا Thamara ، التي أحسنت استقبالهما ، وقدمت لأمير أميران مجموعة

١- العماد الأصفهاني:الفتح القسي،ص٥٧٥؛الحسيني:زبدة التواريخ،ص٢٩٩-٣٠٠ ؛ الروانـدي: راحة الصدور وآية السرور ،ص٥٠٢ ؛ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٢٧٦ .

٢- حافظ حمدي : المشرق الإسلامي ،ص١٠٨ ؛ عبد النعيم حسـنين : دولـة السـلاجقة ،١٣٠ ؛ أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة ،ص١٥١ .

٣- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٣٠٣ .

٤- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٣٠٣ -٣٠٤ .

من الهدايا الثمينة،وقام أمير أميران بطلب المساعدة العسكرية من الكرج مقابل اعطاء الكرج جزء من ممتلكات أخيه أبي بكر[١] .

وكان من الطبيعي أن ترحب الملكة ثمارا Thamara بهذا الحلف ، الذي سيتيح لها فرصة التدخل في النزاع بين أبناء البهلوان ، وتحقيق مكاسب كبيرة على حساب ممتلكات المسلمين في أذربيجان والران ، لذلك قامت الملكة الكرجية بإرسال حملة ضخمة بقيادة زوجها داود سوسلان David Sosolan ، وقد انضم إلى هذه الحملة كلاً من شروان شاه وأمير أميران عمر ، الذي أدى وجوده في صفوف الحملة الكرجية إلى انضمام أعداد كبيرة من عساكر أتابكية أذربيجان وقبائل التركمان إلى هذه الحملة[٢] .

وعندما وصلت أنباء هذه الحملة إلى مسامع أبي بكر ، قاد جيشه ، والتقى بالكرج وحلفائهم عند بيلقان ، ولكنه تعرض لهزيمة قاسية في سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤ ، وأفلت من الوقوع بالأسر بصعوبة بالغة ،وهرب إلى نخجوان[٣] .

وعقب هذه المعركة قرر الكرج الاستيلاء على مدينة جنزة ، وعندما اقتربوا منها أرسل أمير أميران إلى أهالي جنزة يطلب منهم

١- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٣٠٤

٢- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٣٠٤-٣٠٥، والحاشية رقم (١) من ص٣٠٥ .

٣- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٣٠٥-٣٠٦ .

تسليم المدينة إليه ، إلا أن أهالي جنزة رفضوا ذلك ، وقالوا له : ((لو كنت قد جئتنا بمفردك ، كنا قد سلمنا إليك البلد ، أما وأنت في هذه الجموع من عساكر الكفار ، فلا سبيل لنا أن نسلم إليك هذه المدينة خوفاً من غدر الكفار بك واستيلائهم عليها ، ونسبى نحن وذرارينا ، ويقتل رجالنا وأهالينا))[١].

وعندما أدرك أمير أميران صعوبة الاستيلاء على جنزة ، لشجاعة أهلها ، ووجود أعدادٍ كبيرة من قوات أخيه أبي بكر – التي هربت من معركة بيلقان – داخل المدينة ، بالإضافة الى خوفه من قيام الكرج بتخريبها إذا تمكنوا من دخولها ، لذلك أرسل الى أهالي جنزة يطلب منهم تسليم المدينة اليه ، وتعهد لهم بأن لا يمكن الكرج من دخولها ، فوافق أهالي جنزة على ذلك[٢] .

وعندما وصلت أنباء هذا الاتفاق الى مسامع الكرج ، اشترطوا للموافقة عليه أن يدخل بعض أمرائهم إلى جنزة ليقوموا بتنصيب أمير أميران على عرش جنزة ، فوافق أهالي جنزة على ذلك ، ودخل أمير أميران وبصحبته ثلاثة من أمراء الكرج إلى جنزة ، وساروا إلى قصر السلطنة[٣] ((وأجلسوه على سرير السلطنة ، وحلفوه وهو جالس على

١- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٣٠٦.

٢- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٣٠٦ .

٣- قصر السلطنة : هو قصر بناه السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه في جنزة . انظر النسوي : سيرة السلطان جلال الدين،ص٣٧٠.

السرير أن لا يضمر بهم غدراً ، وأن يكون موافقاً لهم سراً وجهراً . وكل ما توافقوا عليه يوصل اليهم . وأن لا يخالفهمً فيما يتقدمون بـه . فحلـف لهم بذلك ، وخرجوا من المدينة) وعادوا إلى بلادهم[١] .

وعندما توفي أمير أميران عمر – بعد أن حكم جنزة أقل مـن شـهر واحد – أرسـل أهـالي جنزة إلى الأتـابك أبـابكر يعلمونـه بوفـاة أخيـه ، ويطلبون من القدوم ليتسلم حكم مدينتهـم ، فسـار أبوبكـر علـى جنـاح السرعة ، ودخل جنزة ورتب أمورها ، وعين فيها حاكما من قبلـه ، ثـم عاد إلى نخجوان[٢] .

أما بالنسبة للكرج ، فعندما علموا بموت امير أميران عمـر ، سـاروا إلى جنزة ، وحاصروها ، إلا أن الأهالي استبسلوا في الدفاع عن مدينتهـم ، وقتلوا ثلاثمائة رجل من الكرج (فلما رأى الكرج أنهم لا يقدرون مـن كنجة على شـيء ، رحلـوا وقصـدوا نخجـوان)[٣] . ولـما سمـع الأتـابك أبوبكر بقرب وصولهم هرب مـن نخجـوان وسـار الى تـبريز ، بينمـا قـام الكرج بفرض الحصار على نخجوان ، فأرسـلت اليهـم زاهـدة خـاتون – زوجة محمد البهلوان – الأموال والهدايا ، ففكوا الحصار عنهـا ، وعـادوا إلى بلادهـم، بعـد أن (مـلأوا أيديهـم مـن الغنـائم، وأسـروا

١- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٣٠٦-٣٠٧.

٢- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٣٠٧-٣٠٨ .

٣- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٣٠٨

مالا يحصيه إلا ا لله سبحانه ، وساقوا دواب البلاد بأسرها)[١] .

ولما كانت مدينة دوين من أقرب مدن إقليم الران إلى ممتلكات الكرج ، فقد كان من الطبيعي أن تكون هذه المدينة من أكثر ممتلكات الأتابك .أبوبكر تعرضاً لغارات الكرج المستمرة . لذلك قام الأهالي ببذل جهود كبيرة لتحصين مدينتهم (فقد عمروا في وسط المدينة المسجد الجامع وسوروه بسور آخر ، وحوله خندق ، وفيه عين ماء في وسط المسجد يلتجئون إليه حين يفجأهم عسكر الكرج)[٢] . وعلى الرغم من هذه التحصينات الدفاعية التي قام بها أهالي دوين ، إلا أنها لم تجدِ نفعاً أمام أطماع الكرج ، الذين قاموا بفرض الحصار عليها - بعد أن وصلت أحوال المدينة إلى مرحلة من الضعف الشديد نتيجة غاراتهم المستمرة عليها -، وقد قام اهالي دوين بإرسال وفد من أعيانهم لمقابلة أبي بكر ، وقد شرح أعضاء الوفد له ما وصلت إليه أحوال المدينة من ضعف،وطلبوا منه أن يرسل معهم قوات عسكرية للدفاع عن مدينتهم،إلا أن هذا الوفد عاد خائباً ، فتمكن الكرج من الاستيلاء على دوين في سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م ، وأكثروا القتل والأسر فيها ، ثم أحسنوا لمن بقي من أهلها ، - وسمحوا لهم بالإقامة في المدينة [٣] .

١- الحسيني : زبدة التواريخ ،ص٣٠٨.

٢- ابن حوقل : صورة الأرض ، ق٢ ، ص٢٩٠ .

٣- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٢٦٠ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر ، جـ٩ ، ص١٠٠-١٠١ ؛ أبو الفداء : المختصر ، جـ٣ ، ص١٠٤ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، جـ٢ ، ص١٧٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣٨ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، جـ٢ ، ص٢٧٧-٢٧٨ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ،ص١٠٠ .

ولقد وصلت أحوال إقليم الران في عهد الأمير أبي بكر إلى مرحلة من الضعف الشديد ، حتى أن الحسيني ذكر أن الكرج استولوا على معظم أراضي هذا الإقليم (لم يتخلف منها مع المسلمين سوى كنجة بمفردها ، وسائر أعمالها وقلاعها استولوا عليها)[١].

وفي سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م قرر الكرج القيام بهجوم على أملاك الأمير أبي بكر في إقليم أذربيجان - مستغلين انهماكه باللعب والشرب وإهماله لشئون دولته - ، ووصلت غاراتهم حتى مدينة إربل ، وتمكنوا من الإستيلاء على مدينة مرند ، وقتلوا وأسروا جميع سكانها ، حتى أصبحت هذه المدينة مضرباً للأمثال[٢].

١- الحسيني : زبدة التواريخ ، ص٣٠٩ .

٢- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص٢٣٨ . ويذكر ابن خلكان أن شرف الدين محمد بن عز الدين الإربلي قال شعراً يقول فيه :

إن يكن أخرجوا النساء من الأو	طان ظلماً وأسرفوا في التعدي
فلنا أسوة بمن جـــارت الكر	ج عليهم وأخرجوا من مـــرند

انظر ابن خلكان : وفيات العيان ، جـ٢ ، ص٢٣٨ - ٢٣٩ .

وقد ذكر ياقوت أن مدينة مرند (قد تشعثت الآن وبدأ فيها الخراب منذ نهبها الكرج) . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص١٢٩ .ولقد أشار ابن الأثير في حوادث سنة ٦٠١هـ إلى قيام الكرج بغارات عنيفة على أذربيجان فقال: (في هذه السنة أغارت الكرج على بلاد الإسلام من ناحية أذربيجان فأكثروا العيث والفساد والنهب والسبي) انظر ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٢٦٩ .وإربل : قلعة حصينة ، ومدينة كبيرة في فضاء من الأرض واسع بسيط ، ولقلعتها خندق عميق ، وهي في طرف من المدينة ، وسور المدينة ينقطع في نصفها ، وهي على تل عال من التراب . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص١٦٧. وهي تقع بين الزابين الكبير والصغير . انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٢٩٠ ؛ لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٢١ .

وعندما أدرك أبوبكر عجزه وضعفه عن مقاومة اعتداءات الكرج المستمرة على ممتلكاته ، لجأ إلى توثيق علاقاته بهم عن طريق المصاهرة (فخطب ابنه ملكهم) وتزوجها في سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م ، وقد حقق هذا الزواج أهدافه السياسية ، وأدى الى تحسين العلاقات بين أتابكية أذربيجان والكرج ، الذين أوقفوا غاراتهم على ممتلكات أبوبكر[١] .

وعقب هذا الصلح ، انشغل أبوبكر ببسط نفوذه على بقية مناطق أذربيجان ، وقد تمكن في سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م من الإستيلاء على مراغة ، بعد وفاة صاحبها علاء الدين قراسنقر[٢] ، وبسط نفوذه على جميع أراضي إقليم أذربيجان[٣].

١- الأصفهاني : البستان الجامع ، ورقة ١٥٦ب و ١٥٧أ . وانظر أيضاً ابن الأثير : الكامل ، جـ٩،ص٢٨٤ ؛ أبو الفداء : المختصر ، جـ٣ ، ص١٠٧ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي، جـ٢،ص١٧٧؛ الذهب:المختار من تاريخ ابن الجزري،ص٩٠ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، جـ٢ ، ص٣٠٧ . وقد تمت هذه المصاهرة في عهد الملكة تمارا ، ويرجح مينورسكي أن الأمير أبوبكر تزوج من ابنه أحد عظماء الكرج . انظر Minorsky : op. cit , P. ٨٧٣.

٢- علاء الدين قراسنقر:هو علاء الدين أرسلان بن كربه بن نصرة الدين آبة أرسلان بن أتابك قراسنقر الأحمد يلي المراغي.من ملوك مراغة وكان حسن السيرة ، خفيف الوطأة على الرعية ، له أفضال على العلماء والأئمة وميل إلى القراء ، توفي في ذي القعدة سنة أربع وستمائة ،ودفن في قبته بمدرسة مراغة. انظر ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ،جـ٤ ، ق٢ ، ص١٠٧٠-١٠٧١.

٣- ابن الأثير : الكامل،جـ٩ ،ص٢٩٧ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر ،جـ٩ ،ص٢٤٢-٢٤٣؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ،حوادث سنة ٦٠٤هـ ، ص٥٠ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، جـ٢ ، ص٣٢٠-٣٢١ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ،ص١٠٢ .

وعندما توفي الأمير أبوبكر سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م خلفه في حكم أتابكية أذربيجان أخوه مظفر الدين أزبك[1] . وكان أزبك يتصف بنفس صفات أخيه أبي بكر من انهماك باللعب واللذات ، وإهمال لشئون دولته[2] .

أما بالنسبة للعلاقات بين الأمير أزبك والكرج ، فمن المرجح – حسبما ورد عند النسوي– أن الكرج قاموا ببعض الغارات على ممتلكات أزبك ، وأنهم لم يتوقفوا عن اعتداءاتهم إلا بعد أن وجه إليهم السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد (٥٩٦-٦١٧هـ/١٢٠٠-١٢٢٠م) مبعوثاً من قبله ، يخبرهم بدخول أزبك في طاعته ، ويحذرهم من الاعتداء على ممتلكاته[3] .

وعندما تعرضت ممتلكات الكرج لغزو المغول سنة ٦١٧-٢١٨هـ/١٢٢٠-١٢٢١م حاول الكرج إقامة حلف إقليمي بينهم وبين القوى الإسلامية في أرمينية وأذربيجان ، وقد تم الاتفاق بينهم وبين الأتابك أزبك والملك الأشرف موسى الأيوبي صاحب خلاط على مهاجمة المغول عندما تنقشع الثلوج ويحل فصل الربيع ، إلا أن المغول عندما سمعوا بأنباء هذا الحلف ، هاجموا بلاد الكرج –رغم الأحوال

١- مظفر الدين أزبك حكم أتابكية أذربيجان في الفترة (٦٠٧،٦٢٢هـ / ١٢١٠-١٢٢٥م) . انظر استانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ،ص١٦١ .

٢- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٣٣٥-٣٣٦، ٣٣٩ .

٣- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ،ص٥٨ .

المناخية السيئة – وتمكنوا من إنزال الهزيمة الساحقة بالكرج[1] .

ولقد صمم المغول على تأديب الأتابك أزبـك -بسـبب تحالفـه مـع الكرج- فقاموا بالاستيلاء علـى مراغـة ، وهـددوا تـبريز ،إلا أن الأهـالي بقيادة شمس الدين الطغرائي[2] قدموا للمغول مبلغاً كبيراً من المال ، مقـابل كف اعتداءاتهم عنها ، فقبل المغـول ذلـك ، وتوجهـوا إلى إقليـم الـران ، حيث دمروا بيلقان ، و لم ينجُ من بطشهم سـوى مدينـة جـنزة وذلـك في سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م[3] .

وفي سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م تعرضت ممتلكات الكرج لغارات عنيفـة قامت بها قبائل القفجاق ، وقد حاول القفجاق الاتفاق مع كوشـخرة – أحد مماليك أزبك–حاكم جنزة على مهاجمة بلاد الكرج،إلا أن كوشخرة رفض هذا العرض ، مما سهل للكرج القضاء على خطر هذه القبائل[4].

وعلى الرغم مما أصاب الكرج من خسائر فادحـة علـى يـد المغـول والقفجاف ، إلا أنهم لم يتخلوا عن أطماعهم التوسـعية في إقليـم الـران ،

١- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٣٣٦ ؛ ابـن واصـل : مفـرج الكـروب ،جـ٤ ،ص٤٧-٤٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ،جـ٢٧ ،ص٣١٤ .

٢- شمس الدين الطغرائي : من كبار رجال تبريز ، وكان موصوفاً بالدين والتقـوى ، يحب العـدل والإيثار ، اتهمه الوزير الخوارزمي شرف الملك بأنه يسعى لإعادة الأتـابك أزبـك إلى الحكـم ، فقبض عليه السلطان جلال الدين وصادر أمواله ، ثم ما لبث أن عفى عنه وقربه بعـد أن تـأكد من براءته . انظر النسوي : سيرةالسلطان جلال الدين ،ص٢٠١،٢٠٣،٢٠٤ .

٣- انظر الفصل الرابع ،ص ٢٢٩ – ٢٣٠ .

٤-ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٣٤٨-٣٤٩ ؛ ابن واصل:مفرج الكروب ،جـ٤،ص١١١-١١٣.

فقد قاموا في شهر رمضان سنة ٦١٩هـ/أكتوبر١٢٢٢م بالهجوم على بيلقان ، وكان من هرب من أهلها من بطش المغول ، قد عادوا إليها بعد بعد رحيلهم ، وبينما كانوا يقومون بإعادة بناء أسوار مدينتهم ، وعلموا بقرب الكرج منهم ، فظن أهالي بيلقان أنهم قادرون على افتداء أنفسهم من بطشهم ، بتقديم مبلغ من المال ، فلم يستبسلوا في الدفاع عن مدينتهم ، ولم يقوموا حتى بالهرب منها، فتمكن الكرج من دخولها ، وقاموا بقتل وأسر جميع سكانها ، ولم يقدم أزبك أي جهد لإنقاذ المدينة وسكانها[١] .

ولم يقف الكرج عند هذا الحد ، بل قاموا في سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م بالهجوم على جنزة -بعد أن جمعوا كل ما أمكنهم من عساكر ((لأن أهل كنجة كثير عددهم قوية شوكتهم وعندهم شجاعة كبيرة))،وحاصروها، وحدثت اشتباكات بين الكرج وبين أهالي جنزة ، ولكن الكرج استمروا في فرض الحصار الشديد على المدينة ، الأمر الذي دفع سكانها وحاميتها العسكرية للخروج للقاء الكرج ، وتمكن المسلمون من إنزال الهزيمة بالكرج ، الذين اضطروا إلى فك الحصار عن المدينة ، وعادوا إلى بلادهم[٢].

١- ابن الأثير:الكامل،جـ٩،ص٣٤٩؛ ابن واصل:مفرج الكروب،جـ٤،ص١١٣ ؛ الغساني : العسجد المسبوك،جـ٢،ص٣٩٢؛ عفاف صبرة:دراسات في تاريخ الحروب الصليبية،ص٤٨٥ .

٢- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٣٥٥ .انظر أيضاً الأصفهاني : البستان الجامع ، ورقة ١٩٠ب و ١٩١أ ؛الغساني : العسجد المسبوك ،جـ٢ ،ص٤٠٢ .

لم تفتّ هذه الهزائم في عضد الملكة روسودان Rusudan،التي قامت في نفس السنة بارسال حملة ضخمة لمهاجمة أراضي إقليم أذربيجان ، وقد نزلت هذه الحملة في أحد الوديان الضيقة لأخذ قسط من الراحة ، ولم يكن لهذا الوادي سوى منفذاً ضيقاً ، فعندما علم المسلمون بذلك ، ساروا على جناح السرعة ، ودخلوا هذا الطريق الضيق ، وقاموا بهجوم مباغت على الكرج ، وقتلوا منهم أعداداً كبيرة ، وأسروا أعداداً أخرى ، ولم يفلت منهم إلا القليل[١] .

اما بالنسبة للملكة روسودان Rusudan وبقية زعماء الكرج ، فعندما علموا بهذه الهزيمة ، صمموا على الانتقام من المسلمين ، وأخذوا يستعدون لقتالهم ، والاستيلاء على إقليم أذربيجان[٢] . ولكن مالبث أن ظهرت قوة إسلامية جديدة على مسرح الأحداث في شمال العالم الإسلامي ، وهي القوة الخوارزمية التي تمكن سلطانها جلال الدين منكبرتي في سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٢م من الاستيلاء على ممتلكات أزبك في أذربيجان والران ، ثم قام بفتوحات واسعة في بلاد الكرج[٣] .

١- اليافعي : جامع التواريخ المصرية ، ورقة ٧أ ؛ ابن الأثير : الكامل ،ص٣٥٧ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ٤ ،ص١٤٧ .

٢- اليافعي : جامع التواريخ المصرية، ورقة ٧أ ؛ ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٣٥٧ ؛ ابن واصل: مفرج الكروب ،جـ٤ ،ص١٤٧ .

٣- انظر الفصل الرابع ، ص ٢٤٠ - ٢٦١ .

وهكذا يتضح أن الإمارات الإسلامية في أرمينية وأذربيجان تحملت لفترة طويلة من الزمن أعباء الجهاد الدفاعي ضد الكرج ، مما استنفذ طاقاتها البشرية ومواردها الإقتصادية ، بالإضافة إلى انشغالها بمنازعاتها الداخلية فيما بينها ، الأمر الذي أجبرها على عدم تقديم جهود عسكرية كبيرة ضد الإمارات الصليبية في بلاد الشام والجزيرة الفراتية كما سيتضح في الفصل التالي إن شاء الله تعالى .

الفصل الثالث

العلاقات بين الدولة الأيوبية ومملكة الكرج

(٤٩١-٦٢٨هـ/١٠٩٧-١٢٣١م)

- الحملات الصليبية على بلاد الشام وأثرها على موقف القوى الإسلامية من الكرج قبيل قيام الدولة الأيوبية (٤٩١-٥٦٩هـ/١٠٩٧-١١٧٣م)
- موقف الملكة ثمارا Thmara من السلطان صلاح الدين (٥٦٩-٥٨٩هـ/١١٧٣-١١٩٣م)
- العلاقات بين السلطان العادل والكرج (٥٩٦-٦١٥هـ/١١٩٩-١٢١٨م)
- العلاقات الأيوبية الكرجية في عهد الملك الأشرف موسى الأيوبي . (٦١٥-٦٢٨هـ/١٢١٨-١٢٣١م)

- الحملات الصليبية على بلاد الشام وأثرها على موقف القوى الإسلامية من الكرج قبيل قيام الدولة الأيوبية (٤٩١-٥٦٩هـ/١٠٩٧-١١٧٣م)

في أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ، قام الغرب الأوربي بشن الحملة الصليبية الأولى ضد ممتلكات المسلمين في آسيا الصغرى والجزيرة الفراتية وبلاد الشام ، وقد تمكنت هذه الحملة من تأسيس ثلاث إمارات صليبية وهي إمارة الرها وإمارة أنطاكية وإمارة طرابلس ، بالإضافة إلى مملكة بيت المقدس[١].

ويبدو أنه كان يقيم في بيت المقدس قبل سقوطها بأيدي الصليبيين جالية كرجية ، بدليل وجود كنيسة خاصة بهم في المدينة تسمى كنيسة المصلبية تقع((بظاهر القدس الشريف من جهة الغرب))[٢].بالإضافة إلى أن ملوك الكرج كانوا يرسلون من حين إلى آخر مبالغ كبيرة من المال إلى بطريرك بيت المقدس لتنفق على النصارى المقيمين في المدينة وكنائسهم[٣].

١- عن تاريخ الحملة الصليبية الأولى.انظر المؤلف المجهول:أعمال الفرنجة،ص١٧-١٢٥،فوشية الشارتري:تاريخ الحملة إلى القدس، ص٣١-٧٦؛حسن حبشي:الحملة الصليبية الأولى ، ص٥١-١٧٣. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص١٢٩-٢٤٦ .

٢- الحنبلي : الأنس الجليل ،جـ٢ ،ص٥١ .

٣- قسطنطين بورفيروجينتوس : إدارة الإمبراطورية البيزنطية ،ص١٦٦ .

ونظراً لما واجهته حكومة مملكة بيت المقدس الصليبية (٤٩١-٥٨٣هـ/١٠٩٧-١١٨٧م) من مشاكل بسبب النقص في العناصر البشرية اللازمة للقيام بالأعمال المدنية -من صناعة وتجارة وزراعة وغيرها- اضطرت هذه الحكومة إلى الاستعانة بالعناصر النصرانية الأرثوذكسية المقيمة في بلاد الشام من أجل القيام بهذه الأعمال[١] . ولقد أشار الرحالة بنيامين التطيلي الذي زار بيت المقدس أثناء الحكم الصليبي إلى وجود جاليات من مختلف طوائف النصارى تقيم في المدينة ، ومن بين هذه الجاليات جالية كرجية[٢] .

وعلى الرغم من أن الصليبيين سمحوا للنصارى الشرقيين بالإقامة في بيت المقدس،إلا أن رجال الدين الكاثوليك كانوا يعاملون إخوانهم النصارى المخالفين لهم في المذهب معاملة جافة وقاسية، بدليل أنه عندما تمكن الصليبيون من احتلال بيت المقدس،قاموابتعيين بطريرك كاثوليكي في المدينة يدعى أرنولف Arnowlfe، ولقد قام هذا البطريرك باغتصاب الصليب المقدس الذي كان في حوزة النصارى الأرثوذكس[٣] . وقد وصل تعصب رجال الدين الكاثوليك إلى درجة الاستيلاء على

١- وليم الصوري : تاريخ الحروب الصليبية ،جـ١ ،ص٥٦٠ .

٢- بنيامين التطيلي : رحلة بنيامين ،ص٩٩ .

٣- فوشية الشارتري : تاريخ الحملة إلى القدس ،ص٧٧ ؛ وليم الصوري : تاريخ الحروب الصليبية ،جـ١ ،ص٤٤٩-٤٥٠ . رنسيمان:تاريخ الحروب الصليبية ،جـ١،ص٤١٥. والصليب المقدس : عبارة عن قطعة من الخشب على شكل صليب ، طلي بالذهب والفضة . انظر فوشيه الشارتري : تاريخ الحملة إلى القدس ، ص٧٧ .

المؤسسات الدينية والكنائس التابعة للأرثوذكس في بيت المقدس،وطرد أصحابها منها[١] .

ويبدو أن ما اشتهر به الصليبيون من تعصب ضد طوئف النصارى الأرثوذكس ، قد أثر على العلاقات بين الصليبيين والكرج وأدى إلى زيادة ارتباط الكرج بالسياسة البيزنطية ، ففي عهد الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين Alcasusil comnenus (٤٧٧-٥١٤هـ/١٠٨١-١١١٨م) أرسل الملك الكرجي داود الثاني Davide II ، واحدة من بناته اسمها كاتا Kata إلى القسطنطينية ، لتتزوج حفيد الامبراطور البيزنطي واسمه الكسيوس ابن مؤلفة الألكسياد حنة كومنين Anna Comnenus من زوجها نقفور برينيوس Nicephorus Bryennius ، وخلال القرن الثاني عشر الميلادي تمت زيجات أخرى بين البيزنطيين والبيت الحاكم في جورجيا[٢] .

وعندما انبعثت حركة الجهاد ضد الوجود الصليبي في منطقة الجزيرة الفراتية وبلاد الشام ، ساهمت بعض القوى الإسلامية في أرمينية وأذربيجان في حركة الجهاد ضد الإمارات الصليبية في هذه المنطقة ، فلقد اشترك سكمان القطبي حاكم خلاط في حملة أتابك الموصل الأمير مودود[٣]،التي توجهت لحصار الرها

١- رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،جـ١ ،ص٤١٥ .

٢- حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ،ص٢٦٧ .

٣- مودود : حكم الموصل في الفترة (٥٠٢هـ/٥٠٧هـ) . انظر زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص٦٠ .

سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م[1] . كما اشترك كلاً من سكمان القطبي والأمير أحمد يل الكردي صاحب مراغة[2] في حملة الأمير مودود الثانية التي توجهت لغزو إمارة الرها الصليبية سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م[3] .

وامتداداً لجهود القوى الإسلامية في الجزيرة الفراتية وأرمينية في حركة الجهاد ضد الصليبيين تمكن الأمير إيلغازي بن أرتق وبصحبته الأمير طغان أرسلان الأحدب صاحب أرزن وبدليس من تحقيق انتصار حاسم على الصليبيين في موقعة البلاط[4] في شهر ربيع الأول سنة٥١٣هـ/ يونيو١١١٩م ، أسفرت عن تدمير الجيش الصليبي الذي شارك في

١- ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،ص١٦٩-١٧٠ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ،جـ٢ ، ص١٥٤؛سبط ابن الجوزي:مرآة الزمان،جـ٢ ،ص٥٢٦؛عماد الدين خليل:الإمارات الأرتقية، ص٢٢١ ؛ رشيد الجميلي : إمارة الموصل في العصر السلجوقي ،ص٢٣٨-٢٣٩م . إرشيد يوسف : سلاجقة الشام والجزيرة ، ص١٢٠ .

٢- أحمد يل الكردي : هو أحمد يل إبراهيم بن وهو ذان الروادي الكردي ، صاحب مراغة ، أحد الأبطال ، كان عدد جيشه خمسة آلاف فارس ، قتل على أيدي الباطنية سنة عشر وخمسمائة . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج١٩ ،ص٣٨٣ .

٣- ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،ص١٧٤-١٧٥؛ ابن العديم : زبدة الحلب ،جـ٢ ،ص١٥٨-١٥٩ ؛ رشيد الجميل : إمارة الموصل في العصر السلجوقي ، ص٢٤٣ . ويذكر ابن الأثير أن هذه المعركة وقعت سنة ٥٠٥هـ. انظر ابن الأثير: الكامل ،جـ٨،ص٢٦٢-٢٦٣؛ عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية،ص٢٢٣-٢٢٥ ؛ سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ،ص٣١٨-٣١٩ .

٤- البلاط : مدينة عتيقة بين مرعش وأنطاكية يشقها النهر الأسود ، وهي من أعمال حلب . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١، ص٥٦٥ .

المعركة، وقتل روجر[١] Rouger أمير أنطاكية ، وأوشكت إمارة أنطاكية على الوقوع بأيدي الصليبيين[٢].

وبالرغم من هذا الجهد المشرف الذي حققه إيلغازي ضد الصليبيين ، فإنه قد رأى أن من الواجب التصدي للكرج الذين كانوا يهددون تفليس ، فتوجه إليها لإنقاذها من الكرج ، ولكن إيلغازي تعرض لهزيمة قاسية على أيدي الكرج كما سبق ذكره[٣].

ونتيجة لما حدث لإيلغازي فقد رجح أحد الباحثين المحدثين ، وجود تنسيق بين الكرج الإمارات الصليبية في بلاد الشام والجزيرة الفراتية في سياستهما إزاء المسلمين (فإذا أحست إحداهما بخطر المسلمين وتهديدهم ، حرصت الأخرى على اجتذاب العدو ومنعه من تهديد الإمارة الأخرى)[٤].

وكيفما كان الأمر ، فقد كان لانشغال إيلغازي بإنقاذ تفليس أثر كبير في تغيير سياسته تجاه الإمارات الصليبية ، الأمر الذي جعله يرسل إلى نوابه في حلب يأمرهم بعقد الصلح مع الصليبيين (على ما يريدون)[٥].

١- روجر : هو السير روجر حكم أنطاكية في الفترة (٥٠٧-٥١٣هـ / ١١١٣-١١١٩م) انظر باركر : تاريخ الحروب الصليبية ،ص٤٧ .

٢- ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،ص٢٠٠-٢٠١ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ،جـ٢ ،ص١٨٧-١٩٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٨،ص٢٨٨-٢٨٩ ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ، ص٢٥٢-٢٥٣ ؛ عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية ، ص٢٤١-٢٤٩ .

٣- انظر ما سبق ،ص

٤- السيد الباز العريني : المغول ،ص٧٦ .

٥-ابن العديم : زبدة الحلب ،جـ٢ ،ص١٩٩ .

وعقب وفاة إيلغازي سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م قام ابن أخيه الأمير بلك بن بهرام[١] صاحب خرتبرت بتحمل أعباء حركة الجهاد ضد الصليبيين ، وقد تمكن بلك من إنزال هزيمة ساحقة بهم عند نهر سنجة في شهر صفر سنة ٥١٧هـ /١١٢٣م ، وخسر الصليبيون أعداداً كبيرة من القتلى والأسرى ، وكان من ضمن الأسرى الملك الصليبي بلدوين الثاني Baldwian II[٢].

ولكن هذا الموقف المشرف الذي قامت به القوى الإسلامية في أرمينية في حركة الجهاد ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام والجزيرة الفراتية، توقف أثناء جهاد الزنكيين (٥٢١-٥٦٩هـ / ١١٢٧-١١٧٣م) وصلاح الدين الأيوبي(٥٦٩-٥٨٨هـ/١١٧٣-١١٩٣م) ضد الصليبيين. ولعل السبب الرئيسي في ذلك يرجع إلى انشغال هذه القوى في التصدي لحملات الكرج الصليبية التي استنفذت قواها ، بدليل أنه بعد أن استولى

١- بلك بن بهرام : صاحب سروج من سنة (٤٨٨-٤٩٤هـ) ، وعانة سنة ٤٩٧هـ ، وحلب وحران سنة (٥١٧هـ - ٥١٨هـ) ، وخرتبرت . انظر زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص٣٤٧، حاشية رقم (١٤) .

٢- ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،ص٢٠٩ ؛ ابن الأثير : الكامل ،جـ٨ ،ص٣١٢-٣١٣ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ،جـ٢ ،ص٢١٠-٢١١ ؛ عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية ،ص٢٦٦ . وخرتبرت : هو الحصن المعروف بحصن زياد يقع في أقصى ديار بكر من بلاد الروم بينه وبين ملطية مسيرة يومين وبينهما الفرات . انظر ياقوت : معجم البلدان ،جـ٢ ،ص٤٠٧ . ونهر سنجة : هو نهر عظيم لا يتهيأ خوضه لأن قراره رمل سيال،كلما وطئه الإنسان برجله مال به فأغرقه،وهو يجري بين حصن منصور وكيسوم.انظر ياقوت:معجم البلدان،جـ٣، ص٣٠٠ .

الأيوبيون على جزء كبير من أرمينية ، وعقدوا صلحاً مع الكرج ، اشترك الملك الأشرف موسى الأيوبي حاكم خلاط في الجهاد ضد الحملة الصليبية الخامسة[١].

أما أمراء الجزيرة الفراتية والموصل ، وبحكم قربهم من بلاد الشام ، فقد واصلوا جهودهم في حركة الجهاد ضد الصليبيين ، فما لبث أن ظهر عماد الدين زنكي (٥٢١-٥٤١هـ / ١١٢٧-١١٤٦م) الذي تمكن من فتح الرها سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م واسقاط أولى الإمارات الصليبية[٢].

وقد ذكر بعض المؤرخين المحدثين أن حملات الكرج ضد الإمارات الإسلامية في أرمينية ساعدت بطريق غير مباشر على امتداد نفوذ عماد الدين زنكي[٣].إلا أننا نفترض عدم صحة هذا الرأي ، لأن عماد الدين زنكي حاول إقامة علاقات حسنة مع إمارة خلاط ، حيث تزوج من ابنة أمير خلاط سكمان بن إبراهيم[٤].وقد استدل أحد الباحثين من هذه

١- عن اشتراك الملك الأشرف موسى الأيوبي في الجهاد ضد الحملة الصليبية الخامسة . انظر ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص٩٢-١٠٥ ؛ ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص٢٣٥-٢٣٦ ؛ علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص٢٥٠-٢٥٤ .

٢- عن جهاد عماد الدين زنكي وفتح الرها انظر ابن الأثير : التاريخ الباهر ،ص٦٦-٧٠ ؛ مسفر الغامدي : الجهاد ضد الصليبيين ،ص٢٣٠-٢٣٥ ؛ علية الجنزوري : إمارة الرها الصليبية ، ص٢٩٥-٣٠٨ .

٣- رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،جـ٢ ،ص٢٥٤ ، الحاشية رقم(١) ؛ عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ،ص٤٥٢ الحاشية رقم (٥٧) .

٤- أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص٨٨-٨٩ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ،جـ٢ ،ص٢٥٤ .

الحادثة على أن عماد الدين حرص على بقاء إمارة خلاط لتكون حاجزاً بين ممتلكاته وممتلكات الكرج ، حتى يستطيع حشد قواته وتوجيهها للجهاد ضد الصليبيين ، ويتجنب ما تعرض له إيلغازي من تشتيت قواه ضد الصليبيين والكرج في آن واحد[١].

وعقب مقتل عماد الدين زنكي سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م خلفه في قيادة حركة الجهاد ضد الصليبيين ابنه نور الدين محمود (٥٤١-٥٦٩هـ/ ١١٤٦-١١٧٣م) . وقد تمكن نور الدين من إحراز انتصارات كبيرة على الصليبيين[٢].

وعلى الرغم من أن فترة حكم نور الدين شهدت أعنف غارات الكرج ضد القوى الإسلامية في أرمينية وأذربيجان ، حتى أنهم تمكنوا في سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م من الاستيلاء على آني، إلا أن نور الدين لم يتمكن من تقديم أي نوع من المساعدات للقوى الإسلامية في أرمينية ضد الكرج ، بسبب انشغاله بإنقاذ مصر من الخطر الشيعي[٣].

وعلى الرغم من أن نور الدين لم يشترك في الجهاد ضد الكرج إلا أنه كان يدرك حقيقة أطماع الكرج التوسعية على حساب المسلمين ، بدليل أنه عندما توفى قطب الدين مودود صاحب الموصل سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م ، دب النزاع

١- عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي ،ص٩٨ .

٢- ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص١٢٢-١٢٣،١٣٠ ؛ مسفر الغامدي : الجهاد ضد الصليبيين ، ص٢٤٢-٢٧٢ .

٣- ابن الأثير : التاريخ الباهر ،ص١٥٦،١٥٨،١٤١ ؛ مسفر الغامدي : الجهاد ضد الصليبيين ، ص٢٩٢-٣١٤ .

بين أولاده على اقتسام ممتلكاته ، فاضطر نور الدين إلى الذهاب إلى الموصل لحسم الخلاف بين أبناء أخيه ، فأرسل إليه الأتابك إيلدكز ينهاه عن التعرض للموصل لأنها من ممتلكات السلطان السلجوقي ، فقال نور الدين لرسول إيلدكز (قل لصاحبك ، أنا أرفق ببني أخي منك فلم تدخل نفسك بيننا ، وعند الفراغ من إصلاحهم يكون الحديث معك على باب همذان ، فإنك قد ملكت نصف بلاد الإسلام وأهملت الثغور حتى غلب الكرج عليها ، وقد بليت أنا وحدي بأشجع الناس الفرنج فأخذت بلادهم وأسرت ملوكهم ، فلا يجوز لي أن أتركك على ما انت عليه ، فإنه يجب علينا القيام بحفظ ما أهملت من بلاد الإسلام وإزالة الظلم عن المسلمين)[1] . وإذا تأملنا هذا النص فيتضح أن نور الدين كان مدركاً لأهداف وأطماع الكرج في الأراضي الإسلامية لذلك لم يكن راغباً في الدخول مع مشاكل مع جيرانه المسلمين تعيقه عن القيام بأعباء حركة الجهاد ضد الصليبيين ، لذلك قام بإسداء النصيحة إلى إيلدكز بالإهتمام بحماية ثغور المسلمين من اعتداءات الكرج بدلاً من التدخل في شئون الأسرة الزنكية .

وكيفما كان الأمر، فما لبث أن توفى نور الدين محمود سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م وخلفه في قيادة حركة الجهاد ضد الصليبيين صلاح الدين الأيوبي،الذي قضى فترة حكمه في جهاد مستمر ضد الصليبيين ، ولم يحاول الاصطدام الكرج،حتى لا يشتت قواه بين الكرج والصليبيين، كما سيتضح في المبحث التالي

١- ابن الأثير : التاريخ الباهر ،ص١٥٢- ١٥٣ .وانظر أيضاً ابن العديم : زبدة الحلب ،جـ٢ ،ص٣٣٢ ؛ أبو شامة : الروضتين ،جـ١ ،ص١٨٨ ؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ،م٤ ، جـ١ ،ص١١٠-١١٢ ، ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، جـ٣ ، ق١ ، ص١٧٤-١٧٥ ؛ إرشيد يوسف : سلاجقة الشام والجزيرة ، ص٢٠٠ ؛ حسين مؤنس : نور الدين محمود ،ص٣٣٧-٣٣٨ .

- موقف الملكة ثمارا من السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩-٥٨٩هـ/١١٧٣-١١٩٣م)

عقب وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م ، تولى السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩-٥٨٩هـ/١١٧٣-١١٩٣م) مقاليد الحكم في مصر ، وقام بجهود كبيرة في سبيل إعادة توحيد القوى الإسلامية في بلاد الشام تحت لوائه[١].

وعقب استيلاء السلطان صلاح الدين على بلاد الشام ، حاول بسط نفوذه على منطقة الجزيرة الفراتية وأرمينية ، وقد تمكن في سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م من الاستيلاء على مدينة ميافارقين ، وحاول في نفس السنة أن يمد نفوذه نحو إمارة خلاط ، إلا أنه لم يتمكن من ذلك[٢]. ويمكن القول أنه لو قدر لصلاح الدين الاستيلاء على خلاط لتغير مجرى العلاقات بين المسلمين والكرج، وذلك لأن إمارة خلاط لها حدود جغرافية مع الكرج ، وكانت معرضة لغاراتهم المستمرة .

١- عن جهود السلطان صلاح الدين في توحيد القوى الإسلامية في بلاد الشام انظر العماد الأصفهاني : البرق الشامي ، جـ٥ ،ص١٧-٢٥؛ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٢ ، ص٨،١٧،٢٢ ؛ عبد الله الغامدي : صلاح الدين والصليبيون ،ص٥٨-٧٤ .

٢- ابن شاهنشاه الأيوبي:مضمار الحقائق ،ص٢١٧-٢٢٠ ؛ البنداري : سنا البرق الشامي ، ص٢٦٢-٢٦٦ ؛ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ،جـ٣ ،ق٢ ،ص٤٥٠-٤٥١ .

وقد عاصر السلطان صلاح الدين وفاة الملك الكرجي جورج الثالث George III الذي لم يترك من الأبناء سوى ابنته ثمارا Thamara ، فأوصى الملك الكرجي بأن تخلفه ابنته على عرش الكرج ،فلما توفى جورج الثالث George III اتفق رجال الدين وأعيان الكرج على تنصيب ثمارا Thamara ملكة للكرج،وزوجوها من الأمير الروسي نوغرود ابن الدوق الكبير أندرو فلاديمير Andrew of Vladimirولكن هذا الزواج انتهى بالفشل، وأُجبر الأمير الروسي على تطليق زوجته،فتزوجت ثماراThamara من الأمير داود سوسلان David Soslan وهو أحد أقربائها من الأسرة البقراطية(١).

ولقد انتهجت ثمارا Thamara سياسة مغايرة لسياسة أبيها جورج الثالث George III ، التي سمحت لمحدثي النعم بتولي مناصب هامة في مملكة الكرج ، فقامت ثمارا بعزلهم ، واعتمدت على كبار نبلاء الكرج في إدارة شئون الحكم في مملكتها(٢).

وقد بلغ النظام الإقطاعي في عهد ثمارا أعلى ذروته ، حيث تشابهت المناصب والرتب في جورجيا بمثيلاتها في الغرب الأوربي في القرون الوسطى ، حيث انقسم الناس إلى طبقتين هما طبقة المزارعين

١- عفاف صبرة:دراسات في تاريخ الحروب الصليبية،ص٣٦٦ .

٢-عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ،ص٣٦٧ .

وطبقة النبلاء ورجال الدين الذين تمتعوا بالإعفاء الضريبي ، بينما فرضت ضرائب باهظة على المزارعين أثقلت كاهلهم[١].

ولقد اهتمت الملكة ثمارا اهتماماً كبيراً بتقوية الجيش الكرجي ، حيث بلغ عدد أفراده تسعون ألف فارس[٢].كما اعتمدت ثمارا Thamara على قائدين ماهرين يرجع لهما الفضل في تحقيق الانتصارات ضد المسلمين وهما إيفان Ivane وزاكار Zakare وهما من أسرة مخارجرادزيل Makhargrdizil وهي أسرة أرمنية من أصل كردي[٣].

وقد حاولت الملكة ثمارا استغلال انتصارات صلاح الدين ضد الصليبيين لتنصب نفسها حامية للمقدسات النصرانية في المشرق ، وأن تكون لها كلمة مسموعة وسط المحيط الصليبي[٤].لذلك قامت هذه الملكة بإرسال مبعوث من قبلها لمقابلة السلطان صلاح الدين، وقد حمل هذا المبعوث عرضاً مغرياً للسلطان صلاح الدين ، وقد تضمن هذا العرض شراء الصليب المقدس[٥] مقابل مئتي ألف دينار،إلا أن

١- David Marshall Lang,The peoples of the hills, p . ٢١٣.

٢- The cambridge medieval history , vol,IV.p.٦٢٥

٣- Minorsky, studies in caucasion history , p.١٠٢

٤- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ،ص٤٦٨ .

٥- الصليب المقدس : يزعم النصارى أنه من الخشبة التي يزعمون أنه صلب عليها معبودهم ، وقد غلفوه بالذهب الأحمر وكللوه بالدرر والجوهر ، وإذا أخرجته القسوس تبادروا إليه ولا يسع أحدهم عنه التخلف ،انظر أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ،جـ٢ ،ص٧٨ .

السلطان صلاح الدين رفض هذا العرض[١]، مما يدل دلالة واضحة على أن الهدف الأساسي لحروب السلطان صلاح الدين ضد الصليبيين كان الجهاد في سبيل الله ورفع راية الإسلام .

وعلى الرغم من فشل ثمارا في الحصول على الصليب المقدس فإنها قامت في سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٣م بإرسال مبعوثٍ من قبلها لمقابلة السلطان صلاح الدين ، وقد تشرف هذا المبعوث بمقابلة السلطان صلاح الدين حيث (ذكر فصلاً في معنى الديارات التي لهم في بيت المقدس وعماراتها وشكوا من أنها أخذت من أيديهم ، ويسأل عواطف السلطان ...بردها إلى أيدي نوابهم)[٢].ويبدو أن الملكة ثمارا لم تقصد قيام الكرج بحق الإشراف على كنيسة القيامة ، وإنما كانت تقصد إعادة كنيسة المصلبية للإشراف النصراني الكرجي، الذي يرجع إلى حقهم القديم الذي يدعونه في هذه الكنيسة قبل أن يستولي صلاح الدين

١- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٦٨ . ومما يجدر ذكره أن الملك الإنجليزي ريشارد قلب الأسد أرسل إلى السلطان صلاح الدين يطلب منه صليب الصلبوت وقال في رسالته : (أما الصليب فهو خشبة لامقدار له عندكم ، وهو عندنا عظيم ، فيمن به السلطان علينا) ، فأرسل إليه السلطان صلاح الدين يقول : (أما الصليب فهلاكه عندنا قربة عظيمة ، ولا يجوز ان نفرط فيه إلا لمصلحة راجعة إلى الإسلام هي أوفى منها) . انظر ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص١٩٤ .

٢- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٦٨ .

على بيت المقدس ، بالإضافة إلى أن سفارة ثمارا Thamara جاءت بعد عقد صلح الرملة مع الصليبيين ، هذا الصلح الذي أعطى حق الإشراف على كنيسة القيامة لرجال الدين الكاثوليك[١].

أما بالنسبة لرد السلطان على هذه السفارة ، فلم تذكر المصادر الإسلامية رد السلطان على سفارة الملكة ثمارا ولكن كان السلطان صلاح الدين متسامحاً جداً مع مختلف طوائف النصارى ، ولم يذكر عنه أي تعصب ديني ضد هذه الطوائف حتى أن ابن الأثير ذكر أن شدة تسامح صلاح الدين مع الصليبيين قد ألحق الضرر بالمسلمين[٢].ويبدو أنه وافق على حق الكرج في الإشراف على كنيسة المصلبية ، بدليل أن هذه الكنيسة ظلت تحت إشراف رجال الدين الكرج حتى عهد الناصر محمد بن قلاوون[٣].

ويمكن القول أن الملكة ثمارا،وبالرغم مما عرف عنها من تعصب ضد المسلمين،إلا أنها لم تقم روابط قوية مع الصليبيين في بلاد الشام

١- عن صلح الرملة انظر ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص٢٣٤-٢٣٦ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ،ص٢٢١-٢٢٢ .

٢- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص١٨٧ .

٣- القلقشندي : صبح الأعشى ،جـ٨ ،ص٢٩ ، الحنبلي : الأنس الجليل ، جـ٢ ،ص٥١ . والناصر محمد بن قلاوون حكم الدولة المملوكية في الفترات التالية : الفترة الأولى(٦٩٣-٦٩٤هـ/١٢٩٣-١٢٩٤م) ، الفترة الثانية (٦٩٨-٧٠٨هـ / ١٢٩٩-١٣٠٩م) ، الفترة الثالثة (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣١٠-١٣٤١م) انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ،جـ١ ، ص١٦٢ .

بسبب ما عرف عنهم من تعصب ضد طوائف النصارى الأرثوذكس، بالإضافة إلى أنها -فيما يبدو- كانت تنظر إلى الحملات الصليبية بعين الشك والريبة ، لا سيما وأن الحملة الصليبية الرابعة استولت على القسطنطينبة سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٢م ، وأقامت مملكة لاتينية في عاصمة الدول البيزنطية[١] ، ويرجع الفضل في تأسيس إمارة طرابيزون البيزنطية إلى المساعدات التي قدمتها ثمارا Thamara إلى أبناء الإمبراطور مانويل كومنين Manyel comnnenus[٢].

وعلى الرغم من أن الملكة ثمارا لم ترتبط بعلاقات قوية مع الإمارات الصليبية في بلاد الشام،إلا أنها لم تتخلى عن أطماعها الصليبية في ممتلكات المسلمين كما سيتضح في المبحث التالي إن شاء الله تعالى.

١- عن الحملة الصليبية الرابعة . انظر ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص٢٤١-٢٤٣ ؛ إسمت غنيم : الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطسنية ،ص٤٧-٩٥ .

٢- ج- م - هسي : العالم البيزنطي ، ص٢١١ ؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،جـ٣ ،ص ٢٢٧-٢٢٨ .

العلاقات بين السلطان العادل والكرج

(٥٩٦-٦١٥هـ/١١٩٩-١٢١٨م)

على الرغم من أن الأيوبيين في بداية حكم السلطان العادل (٥٩٦-٦١٥هـ/١١٩٩-١٢١٨)، لم يكن لهم حدود جغرافية مع الكرج ، إلا أن المراسلات استمرت بين الجانبين ، ففي سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م أرسل السلطان العادل القاضي محي الدين بن أبي عصرون[١]مبعوثاً من قبله إلى الكرج[٢].وإن كنا لا نعرف أهداف هذه السفارة فإنها قد جاءت بعد نجاح العادل في إعادة توحيد الدولة الأيوبية[٣].

وكان العادل قد أقطع ابنه الأوحد نجم الدين أيوب[٤]مدينة ميافارقين في سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م[٥] . وقد قام الأوحد بعدة محاولات

١- محي الدين بن أبي عصرون : محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي عصرون القاضي محي الدين ابن القاضي العلامة شرف الدين أبي سعد التميمي الشافعي قاضي دمشق وابن قاضيها ، توفي سنة إحدى وستمائة . انظر الصفدي : الوافي بالوفيات ،جـ٣ ،ص٣٤٩-٣٥٠ .

٢- ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ،م٤ ،جـ٢ ،ص٢٤٩ .

٣- وعن جهود السلطان العادل في إعادة توحيد الدولة الأيوبية ، انظر ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ٣ ،ص٦٦،٦٧،٩٥-١١٠ ؛ علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي،ص٥١-٦٣ .

٤- الأوحد : نحم الدنيا والدين أيوب بن الملك العادل ، تملك خلاط ونواحيها خمس سنين فظلم وعسف وسفك الدماء ، فابتلي بأمراض مزمنة ، فتمنى الموت معها فمات قبل الكهولة . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ،جـ٢٢ ،ص١٣١-١٣٢ .

٥- ابن واصل : مفرج الكروب،جـ٣،ص١١٦؛ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،جـ٦، ص١٦٣ .

لمد نفوذه على إمارة خلاط ، وذلك للأسباب التالية :

أولاً : حاول الأيوبيون منذ عهد السلطان صلاح الدين ضم إمارة خلاط إلى ممتلكاتهم في سبيل توحيد القوى الإسلامية[١] . بالإضافة إلى ما تتمتع به هذه الإمارة من موارد إقتصادية ضخمة ، حتى وصفت بأنها تعادل ولاية مصر[٢].

ثانياً :تعرضت إمارة خلاط لاعتداءات مستمرة من جانب الكرج، حيث تابعت ملكتهم ثمارا Thamara إرسال الجيوش وشن الغارات على أراضي هذه الإمارة ، حتى أن الكرج تمكنوا في سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م من الاستيلاء على حصن قرس-التابع لإمارة خلاط- بعد حصار طويل[٣] .

ثالثاً : شهدت خلاط مرحلة من الفوضى والاضطرابات السياسية عندما قام صاحبها محمد بن بكتمر بقتل أتابكه شهاب الدين قتلغ سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م وكان محمد بن بكتمر شاباً طائشاً منهمكاً باللعب واللذات ، وقد أدت سياسته إلى تمرد أحد مماليك ناصر الدين سكمان الثاني ويدعى بلبان ، الذي خرج من خلاط ، واستولى على ملازكرد ، وأنضم إليه جمع كبير من جنود إمارة خلاط[٤].

١- انظر ما سبق ،ص١٨٦ .

٢- انظر ابن واصل:مفرج الكروب،جـ٣،ص١٧٧؛ابن الفرات:تاريخ ابن الفرات،م٥،جـ١،ص٦٠ .

٣- انظر الفصل الثاني ، ص١٤٨ - ١٥٠ .

٤- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٢٨٨ ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ،ص٢٤٥ ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ،جـ٦٠ ؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ،م٥ ،جـ١ ،ص٥٨؛الغساني : العسجد المسبوك ،جـ٢ ،ص٣١٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ، ص٢٠٦ .

رابعاً:حاول حاكم ماردين ناصر الدين أرتق بن إيلغازي[1] ضم خلاط إلى ممتلكاته ، عندما استدعاه بعض أهلها وجندها ليسلموها إليه ، بسبب صلات القربى التي تربطه بأسرة ناصر الدين سكمان الثاني ، ولكن ناصر الدين لم يتمكن من الاستيلاء عليها ، حيث تمكن بلبان[2] من دخول خلاط ، وقبض على محمد بن بكتمر وقتله ، بالإضافة إلى قيام الملك الأشرف موسى-صاحب الرها-بالهجوم على ماردين، فاضطر ناصر الدين إلى عدم مقاومة بلبان،ورجع إلى ماردين[3].وهذا يدل دلالة واضحة على أن الأيوبيين كانوا يخشون وقوع خلاط بيد أراتقة

١- ناصر الدين أرتق : هو أرتق بن الملك أرسلان بن ألبي بن تمرتاش بن إيلغازي الأرتقي التركماني صاحب ماردين الملك المنصور ناصر الدين ، تولى الحكم بعد أخيه حسام الدين وهو دون سن البلوغ ، وكان أتابكة مملوك أخيه وزوج أمه فلما تمكن قتلهما سنة ستمائة ، واستقام أمره وكان عادلاً حسن السيرة . انظر الصفدي : الوافي بالوفيات ،جـ٨ ،ص٣٣٦ . وقد حكم إمارة ماردين في الفترة (٥٩٧-٦٣٧هـ/١٢٠٠-١٢٣٩م) . انظر استانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ، ص١٥٨ .

٢- بلبان : هو عز الدين بلبان حكم خلاط في الفترة (٦٠٣-٦٠٤هـ/١٢٠٦-١٢٠٧م) . انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، جـ٢ ، ص٣٥٧ .

٣- ابن الأثير : الكامل ،جـ٨ ، ص٢٨٨-٢٨٩ ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ، ص٢٠٦ ؛ عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية ،ص١٦٨-١٦٩ . وأشار إلى الحادثة باختصار كلاً من سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ،جـ٨ ،ق٢ ،ص٥٢٦ ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ،ص٢٤٥-٢٤٦ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر ،جـ٩ ، ص٢٠٦ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،جـ٦ ،ص١٨٩ .

ماردين - المناوئين لحكمهم في ذلك الوقت - مما يقوي مركزهم .

ونتيجة لهذه الأسباب قام الأوحد في سنة ٦٠٣هـ /١٢٠٦م بالهجوم على إمارة خلاط ، واستولى على حصن موش ، ولكن بلبان تصدى له وهزمه هزيمة نكراء ، عاد على إثرها الأوحد إلى ميافارقين واستنجد بأبيه العادل فأرسل إليه قوات كبيرة ، فسار الأوحد إلى خلاط مرة ثانية وتمكن من هزيمة بلبان الذي اعتصم بخلاط[1] .

وعندما أدرك بلبان عجزه عن مقاومة الأوحد أرسل يستنجد بمغيث الدين طغرل صاحب أرزن الروم الذي جاء إلى خلاط على رأس عساكره،واجتمع مع بلبان ، وتمكنا من هزيمة الأوحد ، وحاصرا حصن موش،حتى أوشك على السقوط بأيديهما ، ولكن مغيث الدين غدر ببلبان فقتله،ثم توجه للاستيلاء على خلاط ، ولكن أهالي المدينة قاوموه ومنعوه من دخول مدينتهم ، فعاد إلى أرزن الروم.فأرسل أهالي خلاط إلى الأوحد يعرضون عليه تسلم حكم مدينتهم،فأسرع الأوحد إلى

١- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٢٩٦ ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ،ص٢٤٦ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ٣ ،ص١٧٩ ؛ أبو الفداء : المختصر ،جـ٣ ،ص١٠٨ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، جـ٢،ص١٧٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٩،ص٤٣٠ ؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ،م٥ ،جـ١ ،ص٥٩ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ،ص٢٠٦ . وموش : بلدة من ناحية خلاط بأرمينية . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥،ص٢٥٨ . وتقع في جنوب نهر أرسناس في السهل العظيم غرب بحيرة وان . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٤٨ .

خلاط ، وتمكن من دخولها في سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م[1].

وعندما تمكن الأوحد من دخول مدينة خلاط ، واجه تمرداً خطيراً قام به بعض جند إمارة خلاط الذين اعتصموا بحصن وان ، واستولوا على أرجيش ، فاستنجد الأوحد بأبيه العادل ، الذي أرسل إليه أخيه الأشرف موسى ومعه قوات كبيرة ، واجتمع مع أخيه الأوحد وتمكنا من الاستيلاء على حصن وان صلحاً[2].

وعقب استيلاء الأوحد على حصن وان ، غادر خلاط ، وتوجه إلى ملازكرد للإشراف على شئونها ، فثار أهالي خلاط ومماليك ناصر الدين سكمان الثاني –شاه أرمن– (ونادوا بشعار شاه أرمن وإن كان ميتاً يعنون بذلك رد الملك إلى أصحابه ومماليكه) فعاد الأوحد إلى خلاط، وحاصرها ، وجاءه عسكر من عند أخيه الأشرف ، فتمكن الأوحد من دخول خلاط ، وأسرف في قتل سكانها ، وأرسل أعداداً كبيرة منهم إلى

١- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٢٩٦ ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ،ص٢٤٦ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ٣ ،ص١٧٦ ؛ أبو الفداء : المختصر ،جـ٣ ،ص١٠٨ ؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ،م٥ ،جـ١ ،ص٥٩-٦٠ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ،جـ٢ ،ص٣١٩ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ،ص٣٩٥ .

٢- ابن الأثير:الكامل،جـ٩،ص٢٩٦؛ابن العبري:تاريخ الزمان،ص٢٤٧؛ابن واصل:مفرج الكروب، جـ٣،ص١٧٦-١٧٧؛ابن الفرات:تاريخ ابن الفرات،م٥،جـ١،ص٦٠؛الغساني: العسجد المسبوك ، جـ٢ ،ص٣١٩-٣٢٠ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ، ص٣٩٥. وحصن وان : قلعة بين خلاط ونواحي تفليس من عمل قاليقلا ويعمل فيها البسط . انظر ياقوت : معجم البلدان ،جـ٥ ،ص٤٠٩ . وتقع قرب شواطيء بحيرة وان الشرقية . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ،ص٢١٨ .

ميافارقين ، فاستقامت أمور خلاط له[١].

ويعتبر استيلاء الأيوبيين على خلاط أهم الأحداث السياسية المؤثرة في تاريخ العلاقات بين الأيوبيين والكرج ، وقد أدرك الكرج خطورة هذا الأمر إذ أصبحت ممتلكاتهم في أرمينية تجاور دولة إسلامية كبيرة تستطيع التصدي لأطماعهم التوسعية في أراضي إمارة خلاط[٢].

ولقد استغل الكرج فرصة الاضطرابات التي اندلعت في خلاط، فقاموا في سنة٦٠٥هـ/١٢٠٨م بالهجوم على ممتلكات الأيوبيين في أرمينية، وحاصروا مدينة أرجيش ، وتمكنوا من الاستيلاء عليها ، وقتلوا وأسروا جميع سكانها ، واستولوا على ما بها من مال ومتاع ثم أحرقوها[٣].

١- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٢٩٧ . انظر أيضاً ابن العبري : تاريخ الزمان ،ص٢٤٧ ؛ ابن واصل:مفرج الكروب ،جـ٣ ،ص١٧٧-١٧٨ ؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ،م٥ ،جـ١ ، ص٦٠-٦١ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ،جـ٢ ،ص٣٢٠ .

٢- يعلق المؤرخ ابن الأثير على موقف القوى المجاورة لإمارة خلاط من سقوطها بيد الأيوبين بقوله : (وكره الملوك المجاورون له ملكه لها خوفاً من أبيه وكذلك أيضاً خافه الكرج وكرهوه فتابعوا الغارات على أعمال خلاط وبلادها).انظر ابن الأثير : الكامل ،جـ٩، ص٢٩٦ .

٣- ابن العبري : تاريخ الزمان ،ص٢٤٧ ، ابن أيبك : كنز الدرر ،جـ٧ ،ص١٦٦ ؛ الذهبي : دول الإسلام،جـ٢،ص١١١؛الغساني:العسجد المسبوك ،جـ٢ ، ص٣٢٤-٣٢٥ ؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، م٥، جـ١ ، ص٧٢ ؛ المقريزي : السلوك ،جـ١ ، ق١ ، ص١٦٩ ؛ الديار بكري : تاريخ الخميس ،جـ٢ ،ص٣٦٧ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ،جـ٧ ،ص٢٨ .

أما بالنسبة للأوحد ، فقد اعتصم هو وعساكره بمدينة خلاط ، ولم يتمكن من الخروج للقاء الكرج،ويعلل ابن الأثير-ومن نقل عنه- تصرف الأوحد لسببين،أحدهما ضخامة جيش الكرج الذي قام بهذه الاعتداءات بحيث كان يفوق مالدى الأوحد من عساكر ، وثانيهما أن الأوحد كان يدرك عدم ولاء أهالي خلاط له وكراهيتهم لحكمه ، بسبب إسرافه في سفك دمائهم ، فخشي إن خرج منها لا يمكنونه من دخولها[١] . ويمكن إضافة سبب ثالث وهو أن الأوحد كان لا يأمل في الحصول على نجدة عاجلة من أخيه الأشرف ، لا سيما وأنه ذهب للقاء أبيه في دمشق[٢].

وكيفما كان الأمر ، فقد عاد الكرج إلى بلادهم محملين بالغنائم (لم يذعرهم ذاعر) على حد تعبير ابن الأثير[٣].

وعندما أدرك الأوحد عجزه وضعفه عن مقاومة غارات الكرج المستمرة، أرسل إلى أبيه العادل (يستصرخه عليهم) ويذكر ضعفه عن التصدي لهم[٤].

١- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٢٩٩ ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ،ص٢٤٧-٢٤٨ ؛ ابن واصل: مفرج الكروب ،جـ٣ ،ص١٨٣؛ الغساني : العسجد المسبوك ،جـ٢ ،ص٣٢٥ ؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ،م٥،جـ١،ص٧٢-٧٣ .

٢- ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ٣ ،ص١٨٣ ؛ أبو الفداء : المختصر ،جـ٣ ،ص١١٠ ؛ المقريزي : السلوك ،جـ١ ،ق١ ،ص١٧٠ .

٣- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ،ص٢٩٩ .

٤- ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ٣ ،ص١٩٠ . وانظر أيضاً ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، م٥ ،جـ١ ،ص٨٦ .

فاستجاب العادل لذلك وخرج من دمشق في سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م، وعبر نهر الفرات ، وأرسل إلى ملوك الشام الأيوبيين يطلب العساكر (وأظهر أنه يريد قصد الكرج) فجائته عساكر ملوك الشام ، (ونزل بحران) ، ووصل إلى خدمته ابنه الأوحد وبعض أمراء الجزيرة الفراتية ، وعندما اكتملت قواته توجه للاستيلاء على سنجار[١].

وقد ذكر المؤرخون المسلمون بعض الأسباب لانحراف هذه الحملة، فقد ذكر ابن الأثير -ومن نقل عنه- أنه في سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م جرت مراسلات بين السلطان العادل وصاحب الموصل نور الدين أرسلان شاه[٢] تم على إثر ذلك الاتفاق على اقتسام ممتلكات الأسرة الزنكية في

١- ابن واصل:مفرج الكروب ،جـ٣ ،ص١٩٠ وانظر أيضاً ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ،م٥ ، جـ١ ،ص٨٦-٨٧؛ المقريزي : السلوك ،جـ١ ،ق١ ،ص١٧٠-١٧١ ؛ عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية ،ص١٧٠ . وحران : مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور ، وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان ، وهي على طريق الموصل والشام والروم . انظر ياقوت : معجم البلدان ،جـ٢ ،ص٢٧١ . وتقع عند منابع نهر البليخ . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ،ص١٣٤ . وسنجار : مدينة مشهورة بأرض الجزيرة بقرب الموصل ونصيبين ، وفي لحف جبل عال ، وهي طيبة جداً كثيرة المياه والبساتين والعمارات الحسنة ، وتشتهربحماماتها . انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ،ص٣٩٣ .

٢- نور الدين أرسلان شاه : هو أبو الحارث أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر صاحب الموصل المعروف بأتابك ، الملقب بالملك العادل نور الدين ، ملك الموصل بعد وفاة أبيه ، وكان شهماً عارفاً بالأمور ، وأنتقل إلى مذهب الشافعي ، توفي ليلة الأحد التاسع والعشرون من رجب سنة ٦٠٧هـ . انظر ابن خلكان:وفيات الأعيان ،جـ١ ،ص١٩٣-١٩٤ . وقد حكم أتابكية الموصل في الفترة (٥٨٩-٦٠٧هـ/١١٩٣-١٢١٠م) انظر استانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ، ص١٥٣ .

الجزيرة الفراتية ، بحيث تكون سنجار للعادل ، وتكون جزيرة ابن عمر لنور الدين[١]. ومنها أن الكرج عندما علموا بأنباء مسير العادل لقتالهم (خافوا منه وكروا عائدين إلى بلادهم)[٢] ، بينما ذكر ابن نظيف الحموي أن حاكم سنجار قطب الدين محمد[٣] ،لم يأتِ بنفسه لخدمة السلطان العادل بحران، فأتخذ العادل هذا السبب ذريعة لمهاجمته[٤].

وكيفما كان الأمر ، فقد تقدم العادل وحاصر سنجار واستولى

١- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ،ص٣٠١ ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ،ص٢٤٨ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب،جـ٣ ،ص١٩١ ؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ،م٥ ،جـ١ ،ص٨٣ ؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ،ص٣١٤ ؛ الحنبلي : شفاء القلوب ،ص٢١٩ . وجزيرة ابن عمر : مدينة مسورة ، تحيط بها دجلة مثل الهلال : وهي إسلامية محدثة ، اختطها الحسن بن عمر التغلبي في عهد الخليفة العباسي المأمون ، فنسبت إليه . انظر ابن شداد : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ،جـ٣ ،ق١ ،ص٢١٣ .

٢- ابن واصل:مفرج الكروب،جـ٣،ص١٩٢.وانظر أيضاً ابن العديم:زبدة الحلب،جـ٣،ص١٦٠؛ ابن أيبك : كنز الدرر ،جـ٧ ،ص١٦٧ ؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ،م٥،جـ١ ،ص٨٩ .

٣- قطب الدين محمد : هو قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجار ، كان كريماً حسن السيرة في رعيته ، وحسن المعاملة مع التجار ، كثير الإحسان إليهم ، وكان أصحابه لا يخافون أذاه ، وكان عاجزاً عن حفظ بلده ، مسلماً الأمور إلى نوابه ، توفي سنة ٦١٦هـ. انظر ابن شداد : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ،جـ٣ ،ق١ ، ص١٩٣ ، وقد حكم سنجار في الفترة (٥٩٤-٦١٦هـ/١١٩٧-١٢١٩م) . انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ،جـ٢ ،ص٣٤٧.

٤- ابن نظيف الحموي : التاريخ المنصوري ،ص٥٧-٥٨ . وانظر أيضاً ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ،م٥ ،جـ١ ، ص٨٨ .

على الخابور[1] ونصيبين[2]،ولكنه لم يتمكن من الإستيلاء على سنجار ، بسبب تخاذل ملوك الأيوبين عن نصرته ، واتفاق كلٍ من نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل ومظفر الدين كوكبري[3] صاحب إربل على التصدي لأطماعه التوسعية ، فأستجاب العادل لوساطة الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م) ، وفك

١- والخابور : اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة ، وهي ولاية واسعة وبلدان جمة غلب عليها اسمه فنسبت إليه من البلاد قرقيسياء وماكسين والمجدل وعربان . انظر ياقوت : معجم البلدان ،جـ٢ ،ص٣٨٢ .

٢- ونصيبين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة بقرب سنجار . انظر القزويني:آثار البلاد وأخبار العباد ؛ ص٤٦٧ . وهي تقع في أعالي نهر الهرماس . انظر لسترنخ : بلدان الخلافة الشرقية،ص١٢٤ .

٣- مظفر الدين كوكبري : هو الملك المعظم مظفر الدين أبو سعيد كوكبري بن علي بن بكتكين بن محمد التركماني صاحب إربل وابن صاحبها وممصرها الملك زين الدين علي كوجك . ولما مات أبوه سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، تملك ابنه مظفر الدين إربل وهو مراهق ، وصار أتابكة مجاهد الدين قيماز ، فقبض عليه ، وملك أخاه زين الدين يوسف ، فخرج مظفر الدين من إربل إلى بغداد ثم التحق بسيف الدين غازي الذي أقطعه حران ، ثم التحق بخدمة صلاح الدين الذي أعطاه الرها ، ثم أخذ منه الرها وحران وأعطاه شهرزور وإربل بعد وفاة أخيه زين الدين ، وكان حسن السيرة ، توفي سنة ثلاثين وستمائة . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ،جـ٢٢ ،ص٣٣٤-٣٣٧ . انظر ترجمته مفصلاًفي ابن خلكان : وفيات الأعيان ،جـ٤ ، ص١١٣-١٢١ . وقد حكم إربل في الفترة (٥٨٦-٦٣٠ هـ/١١٩٠-١٢٣٣م) . انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ،جـ٢ ،ص٣٤٩ .

الحصار عن سنجار، وعاد إلى دمشق[١].بينما عاد الأوحد إلى خلاط[٢].

ويعلق الذهبي على انحراف حملة العادل عن مسارها الصحيح بقوله بأن العادل (ترك الجهاد وقاتل على الدنيا)[٣] ، ويبدو أن العادل لم يكن مدركاً لأهداف الكرج التوسعية على حساب المسلمين ، فقد كان بإمكانه استغلال فترة الهدوء النسبي مع الإمارات الصليبية في بلاد الشام ، لتحقيق مكاسب كبيرة ضد الكرج ، ولكنه بدلاً من ذلك قام بمهاجمة سنجار ، مما أدى إلى خوف حلفائه من أطماعه ، وتخاذلهم عن نصرته ، وبروز شرخ جديد في الصف الإسلامي ، فقد ذكر بعض المؤرخين المسلمين أنه بعد فشل حملة السلطان العادل على سنجار تكون حلف يضم كلاً من مظفر الدين كوكبري حاكم إربل ونور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل والملك الظاهر غازي[٤].صاحب حلب ، وبعض حكام

١- ابن الأثير:الكامل،جـ٩، ص٣٠١-٣٠٢ ؛ ابن شداد:الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ،جـ١ ،ق١ ،ص١٨٨-١٩٢ ؛ ابن واصل:مفرج الكروب ،جـ٣ ص١٩٣-١٩٧ ؛ ابن الساعي : الجامع المختصر ،جـ٩ ،ص٢٨٨؛ أبو الفداء:المختصر ،جـ٣ ، ص١١٢؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ،جـ٢ ،ص١٨١-١٨٢؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون،جـ٥،ص٣١٤-٣١٥ .

٢- ابن نظيف الحموي:التاريخ المنصوري،ص٦٠؛ابن الفرات:تاريخ ابن الفرات،م٥،جـ١ ،ص٩٥.

٣- الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٢ ،ص٢٥٥ . ويعلق الذهبي في كتابة تاريخ الإسلام على قيام العادل بحصار سنجار، بقوله:(كانت هذه من سيئات العادل يدع جهاد الفرنج ويقاتل المسلمين). انظر الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث سنة ٦٠٦هـ،ص٥٦ .

٤- الملك الظاهر : هو سلطان حلب ، الملك الظاهر ، غياث الدين أبو منصور غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولد في مصر سنة ٥٦٨هـ ، وكان مشهوراً بالدهاء ، ===

الإمارات الإسلامية في الجزيرة الفراتية، وأرسلوا إلى سلطان سلاجقة الروم كيخسرو الأول (٦٠١-٦٠٧هـ/١٢٠٤-١٢١٠م) يطلبون منه الانضمام إليهم ، مقابل أن تكون الخطبة له في بلادهم ، كما أرسلوا إلى الكرج يطلبون منهم تهديد ممتلكات الأيوبيين في أرمينية[1].

ولم يكن الكرج بحاجة إلى من يحرضهم على غزو ممتلكات الأيوبيين في أرمينية،فقد قامت الملكة الكرجية ثمارا Thamara في سنة٦٠٧هـ/١٢١٠م بإرسال حملة ضخمة بقيادة إيواني[2]،
وقد توجهت هذه الحملة للاستيلاء على مدينة خلاط،وفرضت حصاراً محكماً عليها ،ولم يجرؤ الأوحد على الخروج للقائهم،واعتصم بخلاط[3]،

=== كما كان كريماً معطاءً ، يكرم الرسل والشعراء والقصاد ، وتزوج من ابنة عمه العادل ، فولدت له ابنه العزيز ، وتوفي سنة ٦١٣هـ وعمره خمس وأربعين سنة . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢١ ،ص٢٩٦-٢٩٨ . وقد حكم مملكة حلب في الفترة (٥٨٢-٦١٣هـ/١١٨٦-١٢١٦م) انظر استانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ،ص٧٦ .

١- أبو شامة : الذيل على الروضتين ،ص٧٥ ؛ ابن أيبك : كنز الدرر ،جـ٧ ،ص١٦٩ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام، حوادث سنة ٦٠٧هـ ،ص٦٣ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ،جـ١٠ ،ص٣٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ،جـ١٣،ص٦٢.

٢-إيواني : ذكر مينورسكي أن اسمه Ivane Mxargrdzeli انظر : Minorsky:op.cit.p ١٤٩.

٣- سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ،جـ٨ ،ق٢،ص٥٤١ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ٣ ، ص٢٠١ . وقد ذكر سبط ابن الجوزي أن هذه الحادثة وقعت في سنة ٦٠٦هـ . وقال ان هذه الحادثة ربما كانت في سنة ٦٠٧هـ . انظر سبط ابن جوزي : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة . ومن المرجح أن هذه الحادثة وقعت في سنة ٦٠٧هـ ، لأنه ليس من المعقول أن يقوم الأوحد بمغادرة خلاط للاشتراك مع أبيه العادل في حصار سنجار في الوقت الذي يحاصر الكرج فية خلاط .

ويبدو أن إيواني استخف بقوات المسلمين في المدينة ، واغتر بانتصارات الكرج السابقة ، فتقدم حتى وصل إلى باب أرجيش وبصحبته عشرين فارساً ، فسقط فرسه في إحدى الحفر -التي حفرها أهالي خلاط خارج أسوار المدينة - ، فهجم عليه المسلمون وأخذوه أسيراً في يوم الإثنين تاسع عشر ربيع الثاني سنة ٦٠٧هـ/الموافق ١١ أكتوبر ١٢١٠م(١).

وقد أجبر الأوحد أسيره إيواني على أن يصدر أوامره لجيشه بفك الحصار عن خلاط ، فأستجاب الجيش الكرجي لطلب إيواني -عندما علموا بأنه لا يزال على قيد الحياة وهو الذي أمر بذلك - ورفعوا الحصار عن خلاط ، ولم يتعرضوا لها ولأعمالها بأذى أثناء انسحابهم(٢)

ولقد أجبر الأوحد أسيره إيواني على توقيع معاهدة صلح مع الأيوبيين مدتها ثلاثين سنة،وقد التزم إيواني بتقديم فدية مقدارها مائة ألف دينار مقابل إطلاق سراحه من الأسر،كما نصت المعاهدة على قيام الكرج بتسليم ثلاثين قلعة للمسلمين،كانوا قد استولوا عليها من إمارة خلاط ، وكذلك اطلاق سراح خمسة آلاف أسير من المسلمين ،كما تعهد إيواني بتزويج ابنته للأوحد ، وقد اشترط والدها

١- سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ،جـ٨،ق٢،ص٥٤١ ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص٧٥ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ٣،ص٢٠١ ؛ الذهبي : دول الإسلام ، جـ٢،ص١١٠ ؛اليافعي: مرآة الجنان ،جـ٤ ،ص٥-٦ ؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ،م٥ ، جـ١ ،ص١٠٤-١٠٥ .

٢- أبو شامة : الذيل على الروضتين ،ص٧٥ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ،جـ١٠ ،ص٣٧ .

على أن تبقى على دينها ، ولا تجبر على اعتناق الإسلام[١] .

وقبل أن يوقع الأوحد الصلح مع إيواني ، أرسل إلى والده العادل يخبره بفشل حملة الكرج على خلاط وبشروط الصلح (فأمضاه وأمر بإطلاقه بعد الاستيثاق منه بالأيمان والرهان ففعل وأطلقه) وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة ٦٠٧هـ/نوفمبر ١٢١٠م[٢].

أما بالنسبة للحلف الإسلامي السابق الذكر ، فعندما علموا بمصير حملة الكرج على خلاط راسلوا السلطان العادل واعتذروا إليه ، وكلاً منهم أحال الذنب على صاحبه ، فقبل منهم وجدد الصلح معهم[٣] .

أما الملكة ثمارا Thamara ، فيبدو أنها اضطرت إلى القبول بشروط الصلح مع الأيوبيين ، والإبقاء على قيادة إيواني للجيش الكرجي، فعندما عاد إيواني إلى بلاده (عاد إلى ما كان عليه من التقدمة على عساكر الكرج)[٤] .

١- سبط ابن الجوزي:مرآة الزمان ،جـ٨،ق٢،ص٥٤١ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب،جـ٣ ، ص٢٠١ ؛ أبو الفداء : المختصر ،جـ٣ ،ص١١٣ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ،جـ٢ ، ص١٨٣ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ،جـ٢٢ ،ص١٣٢ ؛ الحنبلي : شفاء القلوب ،ص٢٧٤ ؛ المقريزي : السلوك ،جـ١ ،ق١ ،ص١٧١ ، ويذكر مينورسكي أن ابنة إيواني تسمى Tamta . انظر : Minorsky : op.cit ,p. ١٥٠ .

٢- أبو شامة : الذيل على الروضتين ،ص٧٥ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، وحوادث سنة ٦٠٧هـ ، ص٦٣ ؛الصفدي:الوافي بالوفيات،جـ١٠ ،ص٣٨؛ابن كثير : البداية والنهاية ،جـ١٣ ، ص٦٢ .

٣- أبو شامة : الذيل على الروضتين ،ص٧٥ .

٤- أبو شامة : الذيل على الروضتيين ،ص٧٦ .

وعلى الرغم من عودة إيواني إلى مكانته القديمة بين الكرج ، فإنه وفى بجميع تعهداته التي تعهد بها ، من تزويج ابنته للأوحد ، ودفع الأموال التي تعهد بها ، وقد ذكر القزويني أن هذه الأموال انفقت في بناء ما خربه الكرج من سور خلاط[١] .

أما ما ذكره المؤرخ ابن الأثير ، من أن الكرج اشترطوا على المسلمين في خلاط بناء (بيعة في القلعة يضرب فيها الناقوس)[٢] فمن المرجح -حسبما ذكر النويري - أن هذه البيعة بنيت لتمتا Tamta زوجة الأوحد[٣].الذي يبدو أنها كانت تقيم مع زوجها في قلعة خلاط .

وهكذا دخلت العلاقات بين الأيوبيين والكرج مرحلة جديدة ، تميزت بحرص الأيوبيين على إقامة علاقات حسنة مع الكرج بدليل انه في سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م قام السلطان العادل بإرسال هدية إلى الكرج، وقد كانت هذه الهدية عبارة عن فيل[٤] . ويبدو أن مناسبة إرسال هذه الهدية كان لتهنئة الملك جورج الرابع لاعتلائه العرش الكرجي بعد وفاة والدته ثمارا سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م . وهذا يدل دلالة واضحة على رغبة السلطان العادل في إقامة علاقات حسنة مع الكرج ، وهذه السياسة سار عليها ابنه الأشرف موسى كما سيتضح في المبحث التالي إن شاء الله تعالى .

١- القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ،ص٥٢٤ .

٢- ابن الأثير : الكامل،جـ٩ ، ص٣٦٧ .

٣- النويري : نهاية الأرب ،جـ٢٩،ص٤٨ .

٤- أبو شامة : الذيل على الروضتين ،ص٨٣ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث سنة ٦١٠هـ ، ص٦٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ،جـ١٣ ،ص٦٥ .

– العلاقات الأيوبية الكرجية في عهد الملك الأشرف موسى الأيوبي (٦١٥ – ٦٢٨ هـ / ١٢١٨ – ١٢٣١ م)

قام السلطان العادل في سنة ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠ بتقسيم ممتلكاته بين أولاده، فأعطى مصر لابنه الأكبر الكامل محمد[١] ، وكانت دمشق من نصيب ابنه المعظم عيسى[٢] ، بينما أعطى ابنه الأشرف موسى حران والدها ، وكان للأوحد ميافارقين ثم مد نفوذه إلى خلاط [٣].

وكان الملك الأوحد قد ابتلي بأمراض مزمنة ، فقدم إليه أخوه الأشرف من حران لزيارته والاطمئنان على صحته ولكن الأوحد مالبث أن توفي في ملازكرد سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م فدخل الأشرف خلاط ، واستولى على مملكة أخيه ، وأحسن إلى أهالي خلاط ، وحكم فيهم

١– الكامل محمد : حكم الدولة الأيوبية في الفترة (٦١٥ – ٦٣٥ هـ / ١٢١٨ – ١٢٣٨ م) انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، جـ١ ، ص ١٤٢.انظر ترجمته مفصلاً في ابن خلكان : وفيان الأعيان ،جـ٥ ، ص ٧٩ – ٨٣ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاءجـ٢٢ ، ص ١٢٧ – ١٣١ .

٢– المعظم عيسى : وهو عيسى بن أبي بكر ، تفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة رضى الله عنه ، واعتنى به كثيراً،وكان مشهوداً له بالشجاعة والإقدام،توفي في سلخ ذي القعدة سنة٦٢٤ هـ . انظر المرتضى الزبيدي : ترويح القلوب ص ٥٨ . وقد حكم مملكة دمشق في الفترة ٦١٥ – ٦٢٤ هـ / ١٢١٨ ، ١٢٢٧)،انظر ستانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ، ص٧٥ .

٣– ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ٣ ، ص ١١٦ . وقد ذكر بعض المؤرخين أن هذا التقسيم تم في سنة ٥٩٨ هـ . انظر ابن شداد الأعلاق الخطيرة ،جـ٣، ق ٢ ، ص ٤٥٤ ؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، م ٥ ، جـ١ ، ص ٦٨ .

بالعدل ، فأحبوه وأطاعوه ، وسروا بموت الأوحد[1] .

ولقد أيد السلطان العادل استيلاء الأشرف على مملكة أخيه الأوحد ، ولكنه أقطع ميافارقين لابنه شهاب الدين غازي[2] .

وقد التزم الأشرف بمعاهدة الصلح التي وقعها أخوه الأوحد مع الكرج ، وسار على نفس سياسته تجاههم ، فقرر توثيق علاقاته بهم

١- سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ٨ ، ق ٢ ، ص ٥٦١ - ٥٦٢ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان،جـ٥ ، ص ٣٣٠ ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ٨١ - ٨٢ ؛ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ،جـ٣ ، ق٢ ، ص ٤٥٤ - ٤٥٥ ؛ الحنبلي : شفاء القلوب ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرةجـ٦ ، ص ٢٠٧ .

وقد ذكر بعض المؤرخين أن الأوحد توفي سنة ٦٠٧ . انظر ابن نظيف : التاريخ المنصوري ، ص ٦٥ ؛ ابن واصل مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص ٢٠٨ ، ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، م٥، جـ١،ص١٠٥ . ويبدو أن ما ذكره سبط ابن الجوزي هو الأقرب إلى الصواب بحكم علاقاته المميزة مع أبناء السلطان العادل ، بالإضافة إلى أن ابن خلكان ذكر أن الأوحد توفي في شهر ربيع الأول سنة ٦٠٩ هـ انظر ابن خلكان : المصدر السابق نفس الجزء والصفحة ، بالإضافة إلى أن ابن أيبك ذكر أن ابن واصل أخطأ في تحديد وفاة الأوحد . انظر ابن أيبك : كنز الدرر ،جـ٧ ، ص ١٦٩ .

٢- ابن العميد:أخبار الأيوبيين ، ص ٥ - ٦ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ٣ ، ص ٢٠٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ،جـ٢٩ ، ص ٦٢ ؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، م ٥ ، جـ٢ ، ص ١٣٠ . وشهاب الدين غازي : هو السلطان الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، صاحب خلاط وميافارقين وحصن منصور ، وكان ملكاً حازماً ، جواداً،شجاعاً،مهيباً،حلو المحاضرة ، توفي في شهر رجب سنة ٦٤٥ هـ ،وخلفه ابنه الملك الكامل نور الدين محمد بن غازي.انظر الذهبي:سير أعلام النبلاء،جـ٢٢،ص ١٣٣ - ١٣٤ .

وعندما تعرضت ممتلكات الأيوبيين في مصر والشام لاعتداءات الحملة الصليبية الخامسة (٦١٤ - ٦١٨ هـ / ١٢١٧ - ١٣٢١ م) حاول الصليبيون الإتصال بالكرج ، فقد قام البابا أنوست الثالث[٢] بإرسال رسالة إلى الملك جورج الرابع[٣] .و لم يعلم مضمون هذه الرسالة ، ولكن الصليبيين - فيما يبدو - كانوا يأملون في قيام الكرج بمهاجمة ممتلكات الأيوبيين في أرمينية ، الأمر الذي سيؤدي إلى اشغال جزء كبير من الجيش الأيوبي في التصدي للكرج ، وبالتالي تخفيف الضغط عن الحملة الصليبية الخامسة .

وربما كان الصليبيون يأملون في الحصول على مساعدات من الكرج ، إلا أن الكرج لم يكن باستطاعتهم تقديم أي نوع من المساعدات للصليبيين ، بسبب تعرض ممتلكاتهم لغزو المغول سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م ، بل إن الكرج حاولوا إقامة حلف بينهم وبين

١- سبط ابن الجوزي:مرآة الزمان،جـ٨،ق٢،ص٦٦٠؛أبو شامة:الذيل على الروضتين ، ص ٧٦ ؛

٢- البابا أنوسنت الثالث تولى منصب البابوية في الفترة (٥٩٥- ٦١٣هـ/١١٩٨-١٢١٦ م). انظر علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص٣٢٠.

٣- رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،جـ٣ ، ص ٢٩٠ حاشية رقم (٢) . وعن الحملة الصليبية الخامسة انظر علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ٢٩٩- ٢٥٥ .

القوى الإسلامية في أرمينية وأذربيجان لمقاومة المغول ، فأرسلوا إلى الملك الأشرف ومظفر الدين أزبك صاحب أذربيجان بهذا الشأن وقالوا في رسائلهم ((إن لم توافقونا على قتال هؤلاء القوم ، ودفعهم عن بلادنا وتحضروا بنفوسكم وعساكركم لهذا المهم وإلا صالحناهم عليكم))[١].

وقد وصلت رسالة الكرج إلى الملك الأشرف وهو يتجهز للمسير إلى مصر لنجدة أخيه الكامل ضد الحملة الصليبية الخامسة[٢].ومن الطبيعي أن لا يستجيب الأشرف لطلب الكرج ، ويعلل ابن الأثير ـ ومن نقل عنه ـ ذلك للأسباب التالية .

أولاً : إن الحملة الصليبية الخامسة تمكنت من الإستيلاء على دمياط وهددوا مصر ، ولو تمكن الصليبيون من الاستيلاء عليها ((لم يبق بالشام ولا غيره معهم الملك لأحد))[٣] .

ثانياً : لم يكن للجيوش المغولية التي هددت بلاد الكرج وشمال العالم

١- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ، ص ٣٤٤. وانظر أيضاً ابن واصل مفرج الكروب ،جـ٤ ،ص٩٠ ؛ الغساني : العسجد المسبوك جـ٢ ، ص ٣٨٠ . وعن تعرض بلاد الكرج لهجوم المغول . انظر الفصل الرابع ، ص٢٢٥ - ٢٢٧.

٢- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ، ص ٣٤٤ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ٤ ، ص ٩٠ .

٣- ابن الأثير: الكامل،جـ٩، ص ٣٤٤ . وانظر أيضاً ابن واصل: مفرج الكروب ،جـ٤ ، ص ٩٠ . ودمياط : مدينة مسورة على البحر عند مصب النيل الشرقي ، وقد شيدت أسوارها في عهد الخليفة العباسي المتوكل ، وتبعد عن الإسكندرية مسافة خمسة أيام . انظر أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١١٧ .

الإسلامي هدف محدد سوى القتل والنهب في طريق عودتهم إلى بلادهم بينما كان الصليبيون يحاولون الاستيلاء على مصر وبلاد الشام وقد أدرك ابن الأثير هذا الفرق بين المغول والصليبيين فقال ((إن الفرنج أشد شكيمة وطالبوا ملك فإذا ملكوا قرية لا يفارقونها إلا بعد أن يعجزوا عن حفظها يوماً واحداً))[١] .

ثالثاً : إن الحملة الصليبية الخامسة توجهت للاستيلاء على مصر ((كرسي مملكة البيت العادلي)) . اما المغول فلم يصلوا إلى مصر ، بل لم يهاجموا حتى ممتلكات الأيوبيين في أرمينية[٢] .

ولقد أعتذر الأشرف لرسل الكرج ، وذكر لهم أنه مضطر للذهاب إلى مصر لانقاذها من الصليبيين ، وأخبرهم بأنه عين أخاه شهاب الدين غازي نائباً عنه في خلاط ، وأمره بتقديم المساعدات للكرج إذا احتاجوا إلى ذلك[٣] .

وعلى الرغم من أن الأيوبيين لم يقدموا أي مساعدات للكرج ضد المغول ، إلا أن الكرج حاولوا إقامة علاقات حسنة معهم،بدليل أنه عندما توفي الملك الكرجي جورج الرابع سنة ٦١٩ هـ/١٢٢٢ م أرسل

١- ابن الأثير:الكامل،جـ٩،ص٣٤٤. وانظر أيضاً ابن واصل:مفرج الكروب، جـ٤،ص ٩٠ .

٢- ابن الأثير:الكامل،جـ٩،ص٣٤٤-٣٤٥ وانظر أيضا ابن واصل:مفرج الكروب،جـ٤،ص٩٠ .

٣- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٨٤.

الكـرج إلـى الملـك الأشـرف موسـى يخبرونـه بوفـاه ملكهـم ، وانهم ((بقوا بلا ملك كبير))[١] ويبدو أن القادة لجورجان حاولوا أخذ موافقة الأشرف على انتخاب روسودان Rusudan ملكة للكرج .

ولما تولـت روسـودان عـرش الكـرج تعرضـت العلاقـات الأيوبيـة الكرجية للتوتر الشديد بسبب ما اشتهرت بـه هـذه الملكـة مـن تعصـب ضد المسـلمين ، حتـى أنهـا أرسـلت إلـى البابـا[٢] تصـف غـزو المغـول لبلادها بأنه حادث طارىء ،ووعدتـه بالمسـاهمة فـي أي حملـة صليبيـة ضد المسلمين[٣] .

وقد بلغت العلاقات الأيوبية الكرجية أوج توترهـا فـي سـنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م ، عندمـا قـام صـاحب قلعـة سـرماي[٤] بمغـادرة بلدتـه ، وذهب إلى خلاط ، حيث كان تابعاً لأميرها–وهو شهاب الديـن غـازي حينئذ ـ فاستخلف على بلدته أحد الأمراء،فقام هذا الأمير ينهب بعض القرى الكرجية ، فقام الكرج بقيادة شلوة أمـير دويـن بحصـار سـرماري ، ونهـب سوادها ، فلما سمع صاحب سرمارى بأنبـاء اعتـداءات الكـرج على بلدته سار على جناح السرعة ، وهاجم الكرج واستنقذ منهـم بعـض الغنـائم التي

١– ابن نظيف : التاريخ المنصوري ، ص ٩٤ .

٢– يبدو أنه البابا هنريوس الثالث الـذي تولـى منصـب البابويـة فـي الفـترة (٦١٣ – ٦٢٤ هـ / ١٢١٦ – ١٢٢٧ م) .انظر سعيد عاشور الحركة الصليبية ،جـ١ ص ٦٦١ ((بتصرف))

٣- Peter Brent , The Mongo l empire , P.١١١ ;

٤– صاحب قلعة سرماي : يذكر النسوي أن سرماري كانت تخضع لحكـم رجليـن همـا شـرف الدين أزدره وحسام الدين خضر انظر النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص ٢٠٠ .

استولوا عليها ، ثم عاد إلى سرماري[١] .

اما الكرج فقد صمموا على الانتقام من صاحب سرماري ، وقرروا الاستيلاء على قلعته،فقاد شلوة حملة ثانية توجهت إلى سرماري، وعندما وصلت أخبار هذه الحملة إلى مسامع صاحب سرماري ، أخذ في تخزين الأغذية وتحصين البلدة ، وبينما هو كذلك علم بأن الكرج نزلوا لأخذ قسط من الراحة في أحد الوديان بين دوين وسرماري ، فسار على جناح السرعة واحاط بهم، وانقض عليهم بهجوم مباغت فوقع أفراد الحملة الكرجية بين قتيل وأسير ، وكان من ضمن الأسرى قائدهم شلوة[٢] .

وعندما وصلت أخبار هذه الهزيمة إلى مسامع الملكة الكرجية روسودان Rusudan أرسلت إلى الملك الأشرف تشتكي من صاحب سرماري ،وقالت في رسالتها((كنا نظن أننا على صلح والآن فقد عمل صاحب سرماري هذا العمل فإن كنا على الصلح فنريد إطلاق أصحابنا من الأسر،وإن كان الصلح قد انفسخ بيننا فتعرفنا حتى ندبر أمرنا)) ، فأرسل الأشرف إلى صاحب سرماري يأمره بإطلاق سراح أسرى الكرج

١- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ص ٣٥٠ - ٣٥١ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ٤ ، ص ١٣٠ - ١٣١ ؛ عفاف صبره : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٤٨٦ .

٢- ابن الأثير : الكامل ،جـ٩ ، ص ٣٥١ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ٤ ، ص١٣١ ؛ عفاف صبره : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية , ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

فاستجاب صاحب سرماري لطلب الأشرف ، وأطلق الأسرى ، وأستقرت قاعدة الصلح[١].

ومما يجدر ذكره أن بلاد الكرج تعرضت في عهد روسودان لغزو الخوارزميين ، الذي قام سلطانهم جلال الدين منكبرتي بفتوحات واسعة في بلاد الكرج،وتمكن من فتح تفليس سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م[٢].

ولقد استغل السلطان جلال الدين فترة انشغال الملك الأشرف بالاستيلاء على دمشق من ابن أخيه الناصر داود[٣] فزحف على مدينة خلاط ، وفرض الحصار الشديد عليها ، وتمكن من دخولها في أواخر جمادي الأولى سنة ٦٢٧ هـ / الموافق ابريل ١٢٣٠ م ، وقتل وأسر جميع سكانها ، وكان من ضمن الأسرى تمتا Tamta زوجة الأشرف ، وقد اتخذها جلال الدين خليلة له مخالفاً بذلك شرع الله[٤] .

١- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩، ص٣٥١ . وانظر أيضاً الأصفهاني:البستان الجامع ، ورقة ٨٩ أ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص ١٣١ - ١٣٢ .

٢- عن فتوحات السلطان جلال الدين في بلاد الكرج انظر الفصل الرابع ، ص٢٤٤ - ٢٦١.

٣- الناصر داود : هو داود بن عيسى بن محمد بن أيوب ، الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الكبير ابن أيوب ، ولد في جمادي الأخرة سنة ٦٠٣ هـ بدمشق ، وتوفي سنة ٦٥٦ هـ ، وكان حنفي المذهب عالماً فاضلاً ذكياً له اليد البيضاء في الشعر والأدب ، ولي السلطنة سنة ٥٢٤ هـ بعد وفاة والده ، وأحبه أهل دمشق ، وسار عمه الكامل من مصر ليأخذ دمشق منه ، فاستنجد بعمه الأشرف فجاء لنصرته ، ثم تغير عليه ومال لأخيه الكامل ، وأخذ دمشق منه ، وسار إلى الكرك . انظر ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات والذيل عليها ، جـ١ ، ص ٤١٩ .

٤- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ،جـ٨ ، ق ٢ ، ص ٦٦٠ ؛ ابن أيبك : كنز الدرر ،جـ٧، ==

وعندما فرغ الأشرف من مشاكله في بلاد الشام ، تحالف مع سلطان سلاجقة الروم علاء الدين كيقباذ ضد الخوارزميين ، وقد تمكن هذا الحلف من إنزال هزيمة ساحقة بالجيش الخوارزمي في موقعه ياسي جمن في شهر رمضان سنة ٦٢٧ هـ / الموافق أغسطس ١٢٣٠ م واسترد الأشرف مدينة خلاط[١] .

وعقب استرداد الأشرف مدينة خلاط من الخوارزميين قام بإرسال شمس الدين التكريتي[٢] مبعوثا من قبله إلى الكرج[٣].

ويبدو أن الهدف من هذه السفارة كان معرفة موقف القادة الجورجان من النزاع الأيوبي الخوارزمي ، بدليل ما ذكره ابن نظيف الحموي من أن إيواني أرسل كتاباً إلى الأشرف يذكر فيه أنه مضطر إلى إقامة علاقات حسنة مع السلطان جلال الدين بسبب ابنته تمتا Tamta التي وقعت في أسر الخوارزميين، وذكر أن ابنته أرسلت إليه تقول ((دارِ الخوارزمي لأجلي)) ، وقد حاول إيواني في رسالته ابداء حسن نيته تجاه الأشرف ، فأرسل مع كتابه كتاباً مختوماً

== ص ٢٩٩ ؛ النويري : نهاية الأرب ،جـ٢٩ ، ص ١٦٢ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث سنة ٦٢٧ هـ ، ص ٣١ .وعن قيام الأشرف موسى بالاستيلاء على دمشق انظر علي الغامدي: بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ١٢٩ – ١٣٥ .

١– علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص٣٢٢ – ٣٢٦ .

٢– شمس الدين التكريتي : لم أقف له على ترجمة

٣– ابن نظيف : التاريخ المنصوري ، ص ٢١٨

وصله من السلطان جلال الدين ، كما أنه أرسل مع رسالته هدية إلى الأشرف وهي عبارة عن سيف لتهنئته بانتصاره على الخوارزميين، وختم إيواني رسالته بقوله : ((قد عرفتك صورة الحال ، وأنا على ما تعهده من المعاهدة))[١] .

وقد يتبادر إلى الذهن أن المراسلات بين الأشرف والكرج كانت تهدف إلى القضاء على الدولة الخوارزمية ، إلا أن هذا الخاطر لا يمكن أن يصمد أمام حقيقة إدراك الملك الأشرف لأهمية بقاء الدولة الخوارزمية كحاجز بين المغول وبين ممتلكات الأيوبيين ، بدليل أنه عندما قُتِلَ السلطان جلال الدين سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م جاءه بعض أعيان دمشق يهنئونه بذلك فقال الأشرف : ((تهنئوني بهذا سوف ترون غب هذا والله لتكونن هذه الكسرة سببا لدخول التتر بلاد المسلمين))[٢].

وعقب مقتل السلطان جلال الدين تمكن المغول من الاستيلاء على ممتلكات الدولة الخوارزمية ، وهددوا بلاد الكرج ، فأرسل الكرج مبعوثاً من قبلهم إلى دمشق لمقابلة الملك الأشرف ، وقد عرض المبعوث الكرجي على الملك الأشرف إقامة حلف بين الأيوبيين والكرج ضد المغول ، ولكن الأشرف لم يلتفت إلى طلب الكرج[٣].حيث انشغل

١- ابن نظيف الحموي : التاريخ المنصوري ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ وانظر أيضاً ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ورقة ٣٥ أ

٢- سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ،جـ٨ ، ق ٢ ، ص ٦٧١ .

٣- ابن أيبك : كنز الدرر ،جـ٧ ، ص ٣٠٤

بترتيب ممتلكاته الجديدة في بلاد الشام وأهمل شئون ممتلكاته في أرمينية[١] بالإضافة إلى أن الكرج بلغوا في تلك الفترة مرحلة من الضعف الشديد لا تمكنهم من مقاومة المغول .

وفي العام التالي٦٢٩-/١٢٣٢ م أرسل الكرج مبعوثاً من قبلهم لمقابلة السلطان الكامل[٢] . وعلى الرغم من عدم معرفة أهداف هذه السفارة ، إلا أنها - فيما يبدو - جاءت امتداداً لجهود الكرج في إقامة حلف إقليمي مع الأيوبيين ضد المغول .

وكيفما كان الأمر ، فإن الكرج ما لبثوا ان اعترفوا بالسيادة المغولية على بلادهم ، حتى أنه في سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٦ م أرسل الخان المغولي[٣] منشوراً ينص على إقطاع خلاط لتمتا Tamta ابنة إيواني تحكمها تحت السيطرة المغولية[٤] .

لم يقف الكرج عند هذا الحد ، بل إنهم اشتركوا في فترات

١- ابن خلكان : وفيات الأعيان ،جـ٥ ، ص ٣٣٢ .

٢- ابن أيبك : كنز الدرر ،جـ٧ ، ص٣٠٥ ؛ المقريزي السلوك ، جـ١ ، ق ١ ص٢٤٣ .

٣- كانت الفترة الممتدة بين (٦٣٩ - ٦٤٤ هـ / ١٢٤١ - ١٢٤٦ م) فترة شغور في الحكم المغولي ، حيث تولت الوصاية على العرش توراكينا أرملة أوكتاي . انظر استانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام ، ص١٩٧ . وربما حصلت تمتا على هذا المنشور من أوكتاي الذي حكم في الفترة (٦٢٦ - ٦٣٩ هـ / ١٢٢٩ - ١٢٤١ م) انظر استانلي لين بول : المصدر السابق نفس الصفحة .

٤- سبط ابن الجوزي:مرآة الزمان ،جـ٨ ، ق ٢ ، ص ٧٥٤ ؛ النويري : نهاية الأرب ،جـ٢٩ ، ص ٣١٧؛الذهبي:المختار من تاريخ ابن الجزري،ص ١٩٩ .

متأخرة مع المغول في حصار ميافارقين سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م[1] .

وهكذا يتضح أن الكرج رغم فقدانهم الاستقلال السياسي وخضوعهم للقوة المغولية التي سيطرت على بلادهم ، إلا أنهم لم يتخلوا عن تعصبهم الصليبي ضد المسلمين ، حيث اشتركوا مع المغول في غزواتهم ضد المسلمين ، وصاروا جنوداً أوفياء لهم ، حتى وصفهم القلقشندي بقوله:((وعسكر الكرج صليبية دين الصليب ، وأهل البأس والنجدة ، وهم للعساكر الهولاكوهية عتاد وذخر ، ولهم بهم وثوق وعليهم اعتماد))[1] .

وينبغي الإشارة إلى أن الكرج بعد تعرض ممتلكاتهم لحملات السلطان جلال الدين منكبرتي ، بلغوا مرحلة من الضعف الشديد بحيث لا يستطيعون بمفردهم تشكيل أي تهديد مباشر للأراضي الإسلامية ، كما سيتضح في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى .

١- رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ، م ٢ ،جـ١ ، ص٣٢٠ .

٢- القلقشندي : صبح الأعشى ،جـ٨ ، ص ٢٧ .

الفصل الرابع

جهود الدولة الخوارزمية في القضاء على مملكة الكرج

(٥٩٠-٦٢٨هـ / ١١٩٣-١٢٣١م)

- الغزو المغولي للدولة الخوارزمية وبلاد الكرج وأثره على العلاقات الخوارزمية الكرجية

(٥٩٠-٦١٨هـ / ١١٩٣-١٢٢١م)

- استيلاء السلطان جلال الدين على إيران وأثره على العلاقات الخوارزمية الكرجية

(٦١٨-٦٢٢هـ / ١٢٢١-١٢٢٥م)

- جهاد السلطان جلال الدين منكبرتي ضد الكرج وفتح تفليس

(٦٢٢-٦٢٨هـ / ١٢٢٥-١٢٣١هـ)

– الغزو المغولي للدولة الخوارزمية وبلاد الكرج وأثره على العلاقات الخوارزمية الكرجية
(٥٩٠-٦١٨هـ / ١١٩٣-١٢٢١م)

من الدول الإسلامية التي كان لها علاقات مع الكرج ، الدولة الخوارزمية ، التي تنسب إلى مكان نشأتها وهو إقليم خوارزم ، وتنسب هذه الأسرة إلى نوشتكين[١] ، الذي كان في بداية أمره عبداً تركياً ، اشتراه أحد أمراء السلاجقة ، ثم شغل منصب الطشتدار[٢] ، وترقى في سلك المناصب ، إلى أن نصب حاكماً على إقليم خوارزم سنة ٤٧٠هـ/١٠٩٨م. وتلقب بلقب خوارزم شاه ، وبذلك تأسست الدولة الخوارزمية التي كانت في بداية عهدها تخضع لدولة سلاجقة العراق وإيران[٣] .

ولقد كان خلفاء نوشتكين يهدفون إلى الاستقلال عن الدولة

١- نوشتكين : حكم خوارزم في الفترة (٤٧٠-٤٩١هـ / ١٠٧٧-١٠٩٨م) . انظر أحمد السعيد سليمان:تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة،جـ٢،ص :٣٧٥.

٢- الطشتدار:هو أحد الموظفين الذين يعملون في الطشت خانه – أي المكان الذي تغسل فيه الأيدي والملابس–وكان الطشت خانه يحوي ملابس السلطان ، ويعرف الغلمان الذين يعملون في هذا المكان بالطشت دارية.انظر القلقشندي : صبح الأعشى،جـ٤، ص١٠-١١ .

٣- ابن الأثير : الكامل / جـ٨ ، ص : ١٨٤ ، النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧،ص١٩٧-١٩٨.

السلجوقية ، ودخلوا في صراع مع السلاجقة[١] حتى تمكن السلطان الخوارزمي علاء الدين تكش من القضاء على السلطان السلجوقي طغرل الثالث سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م[٢].

ولقد بلغت الدولة الخوارزمية أوج اتساعها في عهد السلطان علاء الدين محمد (٥٩٦-٦١٧هـ /١٢٠٠-١٢٢١م) ، حيث امتدت من حدود العراق العربي غرباً إلى حدود الهند شرقاً ، ومن بحر قزوين شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً ، وكانت الدولة الخوارزمية في عهد السلطان علاء الدين محمد تعتبر أقوى وأكبر الدول الاسلامية في ذلك العصر[٣] .

ولما كانت حوادث الشمال الغربي من إيران متلاحقة فقد جرت إليها السلطان علاء الدين محمد إذ أنه في سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م تمكن كلٍ من أتابك فارس سعد بن دكلا[٤]. وأتابك أذربيجان مظفر الدين أزبك

١- عن العلاقات بين الخوارزميين والسلاجقة ،انظر نافع العبود : الدولة الخوارزمية ،ص٢١-٣٣.

٢- ابن الأثير:الكامل ،حـ٩ ،ص٢٣٠؛الجويني:تاريخ تاريخ جهانكشاي،م١ ،حـ٢ ،ص٢٧٩-٢٨٠؛ أبو الفداء:المختصر،حـ٣ ،ص٨٩ .

٣- بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص١٦٠؛عصام الفقي : الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ،ص٢٩٨ .

٤- سعد بن دكلا : هو عضد الدين أبو المظفر سعد بن زنكي بن سنقر بن مودود الشيرازي ، ويعرف بابن دكلا صاحب فارس ، وهو الذي استولى على شيراز ونواحيها ، وكان حسن السياسة لإقليمه ، انظر ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ،حـ٤ ،ق١ ،ص٤٤١-٤٤٢. وقد حكم أتابكية فارس في الفترة (٥٩١-٦٢٣هـ/١١٩٥-١٢٢٦م) .انظر استانلي لين بول : طبقات سلاطين الإسلام، ص١٦٢ .

من الاستيلاء على بعض أملاك الخوارزميين في الري وقزوين وأصفهان ، وحاولا بسط نفوذهما على إقليم الجبل[1] .

لم يتوان السلطان علاء الدين محمد عن معاقبة الأتابكه ، حيث توجه إلى إقليم الجبل ، وتمكن من إنزال هزيمة قاسية بقوات الأتابك سعد قرب الري في سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م ، ووقع سعد في الأسر[2] . أما أزبك فقد ترك أصفهان ، وعاد إلى ممتلكاته في أذربيجان[3] . ورغبة من السلطان علاء الدين في العودة إلى بلاده ، فقد قام بإطلاق سراح الأتابك سعد بعد أن تعهد بالدخول في طاعته، وإقامة الخطبة له في بلاده، بالإضافة إلى التزامه بدفع أتاوة سنوية لخزانة السلطان[4] .

أما بالنسبة لأتابك أذربيجان ، فقد أرسل إليه السلطان يدعوه إلى الدخول في طاعته ، بإقامة الخطبة وضرب السكة باسمه ،بالإضافة إلى

١- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ،ص٥٣؛ النويري :نهاية الأرب ، حـ٢٧ ، ص٢٣٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،حـ٥ ، ص١٢٧ .

٢-ابن الأثير : الكامل ،حـ٩ ، ص٣١٣؛ النسوي:سيرة السلطان جلال الدين،ص٥٣-٥٤، الجويني : تاريخ جهانكشاي،م٢،حـ٢،ص٧،٨ ؛ النويري : نهاية الأرب، جـ٢٧ص٢٣٢-٢٣٣ الغساني : العسجد المسبوك جـ٢، ص٣٥٥ ؛ ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون ، حـ٥ ، ص : ١٢٧-١٢٨ .

٣- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص٥٥-٥٦ ؛ النويري : نهاية الأرب ، حـ٢٧ ، ص : ٢٣٣ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، حـ٥ ، ص١٢٨.

٤- ابن الأثير : الكامل ، حـ٩ ، ص٣١٣؛ الجويني : تاريخ جهانكشاي ، م٢ ، حـ٢ ، ص٧-٨ .

دفع أتاوة سنوية لخزانة السلطان[١].وخوفاً من السلطان علاء الدين فإن أزبك لم يتورع في إعلان دخوله تحت طاعة السلطان، وخطب له على منابر أذربيجان والران ، وضرب السكة باسمه ، وأرسل اليه الرسل يحملون التحف والهدايا ، ولكنه اعتذر عن دفع الأتاوة ، لأن دخل البلاد ينفق في حمايتها من الكرج ، الذين استضعفوه ، وتابعوا الغارات على بلاده . فقبل السلطان عذره ، وأعفاه من حمل الأتاوة ، وأرسل مبعوثاً من قبله إلى الكرج يخبرهم بأن أزبك من أتباعه ، ويحذرهم من الاعتداء على بلاده لأنها من (ممالكه الخاصة)[٢].

وهكذا جرت الحوادث السلطان علاء الدين محمد ليكون له علاقات بالكرج . فلم يقف الأمر بالسلطان عند توجيه الإنذار للكرج ، بل ذُكر أنه كان ينوي القيام بفتوحات واسعة في شمال العالم الإسلامي وفتح تفليس (ليجعلها سرير ملكه ويحكم منها على بلاد الروم والأرمن والقفجق)[٣]. وأمر بتجهيز حملة ضخمة مؤلفة من خمسين ألف فارس، تتوجه لغزو ممتلكات الكرج[٤] .

١- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص٥٨ ؛ الجويني : تاريخ جهانكشاي ،م٢ ، ج٢ ، ص٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٢٣٤ ؛ فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ، ص٧١

٢- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص٥٨. وانظر أيضاً النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٢٣٤ – ٢٣٥ ؛ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٥ ، ص١٢٨ ؛ عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٩٣ .

٣-الذهبي : تاريخ الاسلام ، وفيات سنة ٦١٧هـ ، ص٣٢٩ .

٤-النسوي:سيرة السلطان جلال الدين،ص٥٩؛ عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب ص٤٩٣

وعلى الرغم من عزم السلطان علاء الدين محمد على القيام بفتوحات واسعة في بلاد الكرج،إلا أنه لم يكن مهيئاً للقيام بهذا الدور ، فقد ذكر أنه اعتنق المذهب الشيعي[١] .ثم دخل في نزاع مع الخلافة العباسية في بغداد، وحاول غزو بغداد والقضاء على الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، إلا أن انشغاله بالاضطرابات الداخلية في دولته بالإضافة إلى سوء الأحوال الجوية قد تسببت في فشل حملته على بغداد[٢].

ويبدو أن ذلك أدى إلى تخاذل الأتراك الخوارزميين السنة عن تشجيعه إلى الدخول في جهادٍ ضد الكرج ، لاسيما وأن التشيع لم يكن منتشراً بينهم[٣] .

أما بالنسبة للكرج، فيبدو أنهم حرصوا على إقامة علاقات حسنة مع الدولة الخوارزمية ، بدليل أن الملك جورج لاشا الرابع George IV أرسل بصحبة رسول السلطان مبعوثاً من قبله إلى السلطان يحمل التحف النادرة والهدايا الثمينة،إلا أن هذا المبعوث لم يجتمع بالسلطان إلا بعد ارتداده عن شاطيء نهرجيحون – هارباً أمام المغول[٤] – بالإضافة إلى أن الكرج لم يقوموا بانتهاكات لأراضي أتابكية أذربيجان خلال

١- الجويني:تاريخ جهانكشاي، م٢ ،جـ٢ ، ص٧ .

٢- عن العلاقات بين الخلافة العباسية والسلطان علاء الدين محمد . انظر النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص٤٩-٥٢ ؛ الجويني : تاريخ جهانكشاي – م٢،جـ٢ ، ص٢٩،٣٠ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، ص٥٣٣-٥٣٤ .

٣- ياقوت الحموي: معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٤٥٤ .

٤- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص٥٩ .

السنوات الثلاث الأخيرة من حكم السلطان[1].

ومن العوائق التي أعاقت السلطان علاء الدين محمد عن المضي قدماً في جهاد الكرج تعرض بلاده الشرقية سنة ٦١٦-٦١٧هـ ١٢١٩-١٢٢٠م لهجوم جحافل المغول التي اتسمت غاراتهم على أقاليم الدولة الخوارزمية بالوحشية والهمجية ، وتدمير المدن وقتل سكانها[2] .

ولقد ركز المغول هجومهم على إقليم ما وراء النهر،والاستيلاء على مدنه لكونه مفتاح الدولة الخوارمية[3].وبعد أن تمكن المغول من الاستيلاء على مدينة سمرقند-حاضرة إقليم ما وراء النهر-أنفذ جنكيز خان جيشاً مؤلفاً من ثلاثين ألف فارس ، بقيادة القائدين سبطي بهادر[4]ويمة نوين،وقد اتجهت هذه الحملة إلى الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية،لمطاردة السلطان علاء الدين محمد ومنعه من حشد قواته[5] .

١- انظر الفصل الثاني ، ص١٧١ .

٢- عن تفاصيل الغزو المغولي لأراضي الدولة الخوارزمية،انظر ابن الأثير:الكامل،جـ٩،ص٣٢٩-٣٤٤؛النسوي:سيرة السلطان جلال الدين،ص٨٧-١٣٢؛الجويني:تاريخ جهانكشان، م١،جـ١، ص١٠٠-١٧١ .

٣- حافظ حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص١٣٨ .

٤- سبطي بهادر أوسبتاي : هو القائد المغولي الذي اجتاح بالاشتراك مع Jepe أو (Yem) شمال فارس تعقباً للسلطان محمد . وقد عبر القوقاز . وينتمي إلى قبيلة أدريان باكات . انظر الجويني : تاريخ جهانكشاي ، م١،جـ٢ ، ص٣٤١-٣٤٢ ، الحاشية رقم (١١٥) .

٥- النسوي:سيرة السلطان جلال الدين،ص١٠٢.

ولقد تمكن السلطان علاء الدين محمد من الهرب من وجه المغول واعتصم بإحدى الجزر في بحر قزوين ، بينما تمكن المغول من الاستيلاء على مدن الري وهمذان وقزوين وغيرها ، وقتلوا وأسروا جميع سكانها . وعندما حل فصل الشتاء وهطلت الثلوج ، اتجه المغول إلى أذربيجان ، وعندما اقتربوا من تبريز ، أرسل اليهم الأتابك أزبك الأموال والثياب والدواب وما يحتاجون اليه ، فلم يتعرضوا لبلاده واتجهوا إلى موقان على ساحل بحر قزوين ، حيث الجو المعتدل ، والمراعي الخصبة الملائمة لخيولهم[١].

وعقب استيلاء المغول على موقان تقدموا إلى بلاد الكرج وأنزلوا الهزيمة بالقوات الكرجية التي توجهت للتصدي لهم[٢] . ويمكن القول أن هول الهجوم المغولي على الدولة الخوارزمية والقضاء على زعيمها علاء الدين محمد قد حال دون قيام الخوارزميين بإرسال حملتهم ضد الكرج أو حتى تقديم المساعدة لأتابكية أذربيجان .

١- رشيد الدين الهمذاني: تاريخ جنكيزخان ، جـ٢،،جـ٢، ورقة ٢٢٤ أو ب ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٣٤-٣٣٦ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص٤٦،٤٧ ؛ الذهبي : المختار من تاريخ ابن الجزري ، ص١٠٠-١٠١ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ، ص٥٨٧ .ومُوقان:ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها التركمان للرعي، وأكثر أهلها منهم ، وهي بأذربيجان . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥،ص٢٦١ .

٢- رشيد الدين الهمذاني : تاريخ جنكيزخان ، جـ٢، ،جـ٢،ورقة ٢٢٤ب ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٣٦ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤،ص٤٧ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث سنة ٦١٧هـ ، ص٤٢ .

ورغم أن الكرج كانوا في السنوات الماضية في حروب مع المسلمين إلا أنهم حينما شعروا بالخطر المغولي الكبير أحسوا بالحاجة إلى عقد حلف مع القوى الإسلامية المجاورة لهم ، فأرسلوا إلى الملك الأشرف موسى الأيوبي في خلاط والأتابك أزبك في تبريز بهذا الشأن ، واتفق الجميع على حرب المغول عندما تنقشع الثلوج ، ويحل فصل الربيع[١] .

لم ينتظر المغول حتى يحين فصل الربيع ، وقرروا التوغل في بلاد الكرج – ويبدو أن المغول شعروا بانباء هذا الحلف بين الملك الأشرف موسى الأيوبي والأتابك أزبك والكرج ضدهم – فساروا على جناح السرعة إلى بلاد الكرج ، وقرروا مهاجمتها ، وقد انضم إلى المغول أحد مماليك الأتابك أزبك الأتراك ويدعى آقوش ، ومعه جموع غفيرة من الأكراد والتركمان من أهالي أذربيجان والران[٢] . ويرجح أحد الباحثين المحدثين أن هذه الجموع تحمست لحرب الكرج للانتقام من هذا الشعب النصراني الذي سبب لهم الكثير من المصائب والويلات ، بالإضافة إلى رغبتهم في الحصول على الغنائم من الأراضي الكرجية[٣]. ولكنهم – فيما يبدو – لم يكونوا يدركون بعد أهداف المغول وإلا لما انضموا إليهم .

١- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٣٦ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٣١٣-٣١٤ ؛ الغساني:العسجد المسبوك ، جـ٢،٣٧٦ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ،ص١٣٣ .

٢- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩، ص٣٣٦ ؛ ابن واصل: مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص٤٨ ؛ النويري : نهاية الأرب،جـ٢٧، ص٣١٤ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، جـ٢ ،ص٣٧٦ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ، ص١٣٣ .وآقوش لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

٣- حافظ حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص١٥٦ .

تقدم الجيش المغولي من موقان إلى بلاد الكرج ، وقد شكلت جموع آقوش طلائع هذا الجيش ، وقامت هذه القوات بتدمير وتخريب ونهب كل ما وجدته في طريقها ، ووصلت غاراتهم إلى نواحي تفليس[1] .

ونتيجة لهذه الاعتداءات العنيفة ، قاد الملك جورج لاشا الرابع George IV قواته ، واشتبك مع المغول وحلفائهم في معركة عنيفة عند خناني – جنوب تفليس – غير أنه تعرض لهزيمة ساحقة في شهر ذي القعدة سنة ٦١٧هـ / الموافق شهر فبراير سنة ١٢٢١م[2]. وقد قدرت خسائر الكرج في هذه الموقعة بثمانية آلاف فارس ((ومن الأتباع والفلاحين عدد كثير)) وكاد الملك الكرجي أن يقع في الأسر ((فتداركه الأمراء فاستنقذوه...واعتصم ببعض القلاع، والتتر يموجون في البلاد))[3]. ولا يستبعد أن يكون للقوات الإسلامية أثرها في هذه الانتصارات على الكرج ، لأنهم أهل خبرة في حروب الكرج قبل هذا التاريخ .

ولما كان المغول لا يستقرون في البلاد التي يستولون عليها ، فإنهم غادروا بلاد الكرج في سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م بعد إدراكهم لصعوبة هذه البلاد وضيق مسالكها ، ولم يتجاسروا على التوغل فيها ، وتوجهوا إلى

١– ابن الأثير : الكامل ، حـ٩ ، ص : ٣٣٦؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ٤ ، ص٤٨ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،حـ٥ ، ص١٣٣.

٢–عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٨٣. وخُنانٌ :بضم أوله وبعد الألف نون أخرى ، مدينة من بلاد جرزان من فتوح حبيب بن مسلمه، وتعرف بقلعة التراب لأنها على تل عظيم .انظر ياقوت:معجم البلدان ، حـ٢،ص٤٤٧.

٣–الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث سنة ٦١٧هـ ، ص٤٦.

أذربيجان ، فلما اقتربوا من تبريز- مقر أزبك بن البهلوان - أرسل إليهم الأتابك أزبك الأموال والثياب وغيرها ، فلم يتعرضوا لتبريز ، واتجهوا إلى إربل ، ولكنهم عدلوا عنها لصعوبة الطريق المؤدية إليها ، وقد حاولوا غزو بغداد لكنهم لم يجرؤوا على المسير إليها عندما سمعوا بأنباء الحشود التي حشدها الخليفة العباسي الناصر لدين ا لله للتصدي لهم ، فقرروا التوجه إلى همذان عندما سمعوا بأن أهالي همذان قد أعلنوا العصيان على الحكم المغولي وقتلوا افراد شحنة المغول في المدينة ، فقرر المغول مهاجمتها ، فهاجموها ، وتمكنوا من دخولها ، وقتلوا وأسروا جميع سكانها ودمروا المدينة ونهبوها[1].

وعندما تمكن المغول من تدمير همذان، أعادوا الكرة إلى أذربيجان، وعندما سمع الأتابك أزبك بوصولهم إلى ممتلكاته،هرب من تبريز ، واعتصم بنخجوان ، ولكن أهالي تبريز افتدوا أنفسهم بأموال كثيرة قدموها للمغول، فلم يتعرضوا لمدينتهم ، وتوجهوا إلى بيلقان ، وتمكنوا من الاستيلاء عليها، وقاموا بتدميرها ، ثم توجهوا إلى جنزة ، وعندما شعر المغول بقوة أهلها وشجاعتهم لتمرسهم على الحرب ضد الكرج ، لم يتعرضوا لها ،

١- رشيد الدين الهمذاني:تاريخ جنكيزخان ، جـ٢،جـ٢،ورقة ٢٢٤ب ، ٢٢٥أ و ب ؛ ابن الأثير : الكامل ، حـ٩ ، ص٣٣٦-٣٣٨ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ٤ ، ص٤٨-٥١ ؛ السبكي:طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٣٨ ؛ اليافعي:مرآة الجنان ، حـ٤ ، ص٣٧ ؛ العامري : غربال الزمان ، ص٥٠٠ .

بعد أن أرسل إليهم أهالي جنزة الأموال والثياب وغيرها[١]. مما يدل دلالة واضحة على أن هذه الحملة المغولية لم يكن لها هدف محدد سوى القتل والنهب وتدمير المدن والقرى .

وبعد أن تمكن المغول من اخضاع ممتلكات الأتابك أزبك في أذربيجان والران ، بالإضافة إلى همذان والري ، قرروا العودة إلى بلاد الكرج . وكان الملك جورج الرابع George IV على علم بذلك ، فسير جيشاً كبيراً إلى أطراف ممتلكاته للتصدي للمغول ، فلما التقى الجمعان ومُني الكرج بهزيمة ساحقة ، وقُدرت خسائرهم بثلاثين ألف قتيل وذلك في سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م[٢] .

ولما عاد من سلم من جيش الكرج إلى تفليس ، أرسل الملك الكرجي جيشاً آخر ليمنعوا المغول ((من توسط بلادهم))،ولكن المغول توغلوا في بلاد الكرج ((لم يمنعهم جبل ولا مضيق)) فعاد جيش الكرج إلى تفليس ، بينما قام المغول بقتل ونهب كل ما وجدوه في طريقهم ،

١- رشيد الدين الهمذاني: تاريخ جنكيزخان ،جـ٢، ورقة ٢٢٥ب ؛ ابن الأثير : الكامل ، حـ٩، ص٣٣٩ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ٤ ، ص٥١-٥٣ ؛ النويري : نهاية الأرب ، حـ٢٧ ، ص٣١٨-٣١٩ ؛ الذهبي : المختار من تاريخ ابن الجزري ، ص١٠٣-١٠٤؛ الغساني : العسجد المسبوك ، حـ٢ ، ص٣٨٥-٣٨٦ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، حـ٥ ، ص١٣٣-١٣٤ .

٢- ابن الأثير:الكامل ، حـ٩ ،ص٣٣٩ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ٤ ، ص٥٣؛ النويري : نهاية الأرب،حـ٢٧ ،ص٣١٩ ؛ الذهبي : المختار من تاريخ ابن الجزري ، ص١٠٤ .

ومُلئت قلوب الكرج خوفاً ورعباً من المغول[١] .

وعلى الرغم من هذه الانتصارات التي حققها المغول على الكرج ، إلا أنهم ما لبثوا أن قرروا مغادرة بلاد الكرج ، بعد أن تركوها أرضاً ممزقة ، وحطموا قوتها القتالية ، واتجهوا إلى إقليم شروان ، واستولوا على مدينة شماخي ، ثم عبروا الدربند ، وأنزلوا الهزيمة بشعوب القفجاق واللان والروس ،ثم عادوا إلى بلادهم[٢] .

و لم تقف آثار الغزو المغولي لبلاد الكرج عند هذا الحد ، بل إن بلاد الكرج ما لبثت أن تعرضت في سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م لغارات بعض قبائل القفجاق - حلفائهم القدامى - الذين اضطروا إلى ترك بلادهم خوفاً من بطش المغول ، وقاموا بعبور دربندشروان ، وهاجموا ممتلكات الكرج[٣] .

ويتضح مما سبق ذكره أن المغول قاموا بتوجيه ضربات قوية للدولتين الخوارزمية والكرجية ، أضعفت كلا الدولتين ، وإن كان حجم الدمار والخراب الذي أصاب أقاليم الدولة الخوارزمية جراء الغزو المغولي

١- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ،ص٣٣٩ . وانظر أيضاً ابن واصل : مفرج الكروب،جـ٤ ،ص٥٣ ؛ الغساني:العسجد المسبوك،جـ٢ ،ص٣٨٦.

٢- رشيد الدين الهمذاني : تاريخ جنكيزخان ، جـ٢، ورقة ٢٢٦أ وَ ب ، ٢٢٧أ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٣٩-٣٤١ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٣٢٠-٣٢٣ ؛ أبو الفداء : المختصر،جـ٣ ،ص١٢٨ ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ٥ ، ص٦٥ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب،جـ٧،ص١٣٠ .

٣- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٤٨٤.

أكبر بكثير مما أصاب مملكة الكرج ، لأن المغول كانوا يهدفون إلى القضاء المبرم على الدولة الخوارزمية ، دون أن يكون للمغول هدف محدد لغاراتهم على بلاد الكرج ، سوى القتل والنهب والحصول على الغنائم أثناء عودتهم إلى بلادهم ، بدليل أن المغول لم يحاولوا الاستيلاء على تفليس ، أو حتى ترك حاميات مغولية في بلاد الكرج .

وكيفما كان الأمر ، فإن المغول لم يتمكنوا في عصر جنكيزخان من القضاء على الدولة الخوارزمية ، فقد قام السلطان جلال الدين منكبرتي - الذي خلف أباه السلطان علاء الدين محمد - بإعادة توحيد الدولة الخوارزمية ، كما سيتضح في المبحث التالي إن شاء الله تعالى .

ب- استيلاء السلطان جلال الدين منكبرتي على إيران وأثره على العلاقات الخوارزمية الكرجية .
(٦١٨-٦٢٢هـ / ١٢٢١ -١٢٢٥م)

رأينا في المبحث السابق كيف أعاق المغول في هجومهم على أقاليم الدولة الخوارزمية الآمال الكبيرة التي كان السلطان الخوارزمي علاء الدين ينوي القيام بها ضد الكرج ،إلا أنه عندما لجأ إلى إحدى جزر بحر قزوين ، قرر خلع ابنه أزلاغ شاه[١] من ولاية العهد ، وعين ابنه الأكبر جلال الدين منكبرتي ولياً لعهده[٢] .

وعندما توفي السلطان علاء الدين محمد سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م عاد ابنه جلال الدين إلى إقليم خوارزم لمقاومة المغول ، ولكن أتباع أخيه أزلاغ شاه حاولوا قتله ، فاضطر جلال الدين إلى الخروج من خوارزم وتوجه إلى إقليم غزنة[٣] .

١- أزلاغ شاه:هو أحد أبناء السلطان علاء الدين محمد ، كان قد عينه ولياً لعهده ثم عزله ، وقد استشهد على يد المغول سنة ٦١٧هـ /١٢٢٠م. انظر النسوي:سيرة السلطان جلال الدين ، ص١٢٩-١٣١ .

٢-النسوي:سيرة السلطان جلال الدين،ص١٢٠؛النويري:نهاية الأرب ، جـ ٢٧ ، ص ٢٥٢ .

٣- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص١٢٢،١٢٦ ؛ النويري:نهاية الأرب،جـ٢٧،ص٢٥٢-٢٥٣. وغزنة:مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان ، وهي الحد الفاصل بين خراسان والهند . انظر ياقوت :معجم البلدان جـ٤،ص٢٨٢ .

وعندما وصل السلطان جلال الدين إلى غزنة ، التف حوله جنود الجيش الخوارزمي الهاربين من وجه المغول ، واستطاع تكوين جيش ضخم مؤلف من ستين ألف مقاتل ، وتمكن من تحقيق انتصار كبير على المغول في موقعة بيروان سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م[١] .

ولكن ما لبث أن دب النزاع بين قادة الجيش الخوارزمي ، بسبب التنافس في اقتسام الغنائم التي حازوها في موقعة بيروان ، مما أدى إلى تخلي قسمٌ كبيٌر من الجيش الخوارزمي عن سلطانهم[٢] .

أما بالنسبة للمغول ، فعندما وصلت أنباء انتصارات السلطان جلال الدين على الجيش المغولي في موقعه بيروان إلى مسامع جنكيزخان ، سار مجداً لحرب الخوارزميين ، ولم يتمكن السلطان جلال الدين من التصدي لجحافل جنكيزخان بعد الانقسام الذي حدث في جيشه ، فقرر عبور نهر السند[٣] ، ولكن الجيش المغولي عاجله لمنعه من عبور النهر ، ودارت معركة عنيفة قتل فيها الآلاف من الطرفين ، وحلت الهزيمة بالخوارزميين ، وتمكن السلطان جلال الدين من عبور نهر السند على

١- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص١٥٤-١٥٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٢٥٦ ؛ الذهبي : المختار من تاريخ ابن الجزري ، ص١١٠ .

٢- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص١٥٥-١٥٦ ؛ أبو الفداء : المختصر ،جـ٣ ، ص١٢٨.

٣- نهر السند : يطلق عليه القزويني اسم نهر مهران : وهو نهر عرضه كعرض دجلة ، يقبل من المشرق آخذاً الى الجنوب متوجهاً الى المغرب ويصب في بحر فارس أسفل الهند . انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٩٥ .

ظهر حصانه،كما تمكن أربعة آلاف من الخوارزميين من عبور نهر السند[١] .

وقد دخل السلطان جلال الدين وقواته في معارك عنيفة مع حاكم السند قباجة[٢] ، وتمكن جلال الدين من تحقيق بعض الانتصارات على قباجة ، كما تمكن من بسط نفوذه على بعض مدن إقليم السند[٣] .

وقد ازدادت قوة السلطان جلال الدين في السند ، وبعد قدوم أعدادٍ كبيرة من القادة والجنود الخوارزميين من الأقاليم الغربية للدولة الخوارزمية ، بسبب اختلافهم مع أخيه غياث الدين بير شاه[٤] .

ولما تمكن السلطان جلال الدين من بسط نفوذه على أجزاء

١- رشيد الدين الهمذاني: تاريخ جنكيزخان ، جـ٢، ورقة ٢٣٦أ ؛ النسوي : سيرة السلطان جلال الدين، ص١٥٨-١٦٠ ؛ الجويني : تاريخ جهانكشاي ، م٢ ، جـ٢ ، ص٤٥-٤٧ ؛ أبو الفداء : المختصر ، جـ٣ ،ص١٢٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٢٥٧-٢٥٨ ؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي ، جـ٢ ، ص٢٢٣ ؛ الدياربكري : تاريخ الخميس ،جـ٢،ص٣٦٩.

٢- قباجة : هو ناصر الدين قباجة ، كان مملوكاً للسلطان شهاب الدين الغوري ، وقد كان يحكم لاهور في المولتان وديبل إلى ساحل البحر،وكان جيشه يقدر بـ١٥ ألف رجل . انظر ابن الأثير : الكامل ، حـ٩ ، ص ٣١٠-٣١١ .

٣- رشيد الهمذاني : تاريخ جنكيزخان ، جـ٢، ، ورقة ٢٣٧ب و ٢٣٨ أ ؛ النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص١٦٣-١٦٦ ؛ الجويني : تاريخ جهانكشاي ، م٢،حـ٢ ، ص٥٠-٥١ ؛ الذهبي : المختار من تاريخ ابن الجزري ، ص١١١-١١٢ ؛ حافظ حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص١٨٨ .

٤- النسوي :سيرة السلطان جلال الدين ،ص١٦٩؛ النويري : نهاية الأرب،حـ٢٧،ص٢٦٣ .وغياث بيرشاة.انظر ترجمته في الصفحة التالية.

كبيرة من إقليم السند ، اتفق السلطان شمس الدين إيلتمش[١] سلطان دهلي وقباجة حاكم السند وغيرهما من قادة القوى الإسلامية في الهند ، على الوقوف صفاً واحداً ضد ازدياد النفوذ الخوارزمي في شبه القارة الهندية[٢].

وعندما أدرك السلطان جلال الدين عجزه عن التصدي لزعماء القوى الاسلامية في الهند ، قرر ترك الأراضي الهندية والعودة إلى إيران ، بعد أن سمع بعودة جنكيزخان إلى بلاده سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م ، بالإضافة إلى أن الأمراء الهاربين من أخية غياث بيرشاه[٣] شجعوه على العودة إلى

١- شمس الدين إيلتمش : هو أول من ولي الملك بمدينة دهلي مستقلاً به ، وكان قبل تملكه مملوكاً للأمير قطب الدين أيبك . وصاحب عسكره ونائباً عنه ، فلما مات قطب الدين استبد بالملك ، وأخذ الناس بالبيعة ، واستمر في الحكم أكثر من عشرين سنة ، وكان عادلا صالحاً فاضلاً . انظر ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، جـ٢ ، ص٤٣٣-٤٣٤ . وقد تولى الحكم في الفترة (٦٠٧-٦٣٣هـ / ١٢١٠-١٢٣٦م) . انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، جـ٢ ، ص٦٠٣ .

٢- النسوي: سيرة السلطان جلال الدين ، ص١٦٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٢٦٢-٢٦٣ ؛ الذهبي : المختار من تاريخ ابن الجزري ، ص١١٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ، ص١٤١-١٤٢ .

٣- غياث الدين بيرشاه:هو غياث الدين أبو المؤيد بيرشاه بن قطب الدين محمد بن تكش الخوارزمي. سلطان كرمان.كان شجاعاً قوي الجنان،جميل السيرة ، خفيف الوطأة على الرعية حسن الملتقى، وكان أصغر من أخيه جلال الدين منكبرتي بخمس سنين،وأقطعه والده بلاد كرمان ، واستدعاه أخوه جلال الدين لما كان بأصفهان ، فجاء اليه وأقام عنده مديده ، فلم يستقم له بها أمر، فرجع إلى كرمان فخنقه زوج أمه،وكان من مماليك أبيه بوتر قوس سنة تسع عشرة وستمائة، وعمره نحو عشرين سنة،انظر ابن الفوطي:تلخيص مجمع الآداب،جـ٤،ق٢،ص١١٨٤-١١٨٥.

إيران ، وتسلم مقاليد الحكم فيها[١] .

غادر السلطان جلال الدين الهند سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م بعد أن عين أحد قادته حاكماً على ممتلكاته في الهند،واخترق الإقليم الصحراوي الذي يفصل بين الهند وكرمان،وتعرض هو وجيشه إلى صعوبات كبيرة، ومات عدد كبير من جنوده بسبب الجوع والعطش،وتفشى الأمراض بينهم[٢] .

وعندما وصل السلطان إلى كرمان،أعلن حاكمها براق حاجب[٣] دخوله تحت طاعة السلطان،وزوجه إحدى بناته، وقدم له كل ما يحتاج

١- النسوي:سيرة السلطان جلال الدين ، ص١٦٩ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٢٦٢-٢٦٣. وعن رحلة جنكيزخان إلى بلاده انظر الجويني : تاريخ جهانكشاي ، م١،جـ١،ص١٤٣-١٤٤ ؛ فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ، ص١٣٦-١٣٨ .

٢- النسوي: سيرة السلطان جلال الدين ،ص١٧٤ ؛ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، جـ٣، ص١٥٠ ؛النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ،ص٢٦٤ ؛ الذهبي : المختار من تاريخ ابن الجزري ، ص١١٢ ؛ابن الوردي:تاريخ ابن الوردي،جـ٢ ،ص٢٢٤ ؛ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون،جـ٥، ص١٤٢ . وكرمان : ناحية مشهورة ، شرقها مكران وغربها فارس وشمالها خراسان وجنوبها بحر فارس . وهي بلاد واسعة الخيرات وافرة الغلات من النخل والزرع والمواشي . انظر القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٢٤٧.

٣- براق حاجب : كان حاجباً لملك الخطاكورخان، قدم رسولاً من قبله إلى السلطان علاء الدين محمد ، ثم اعتنق الاسلام ، واتصل بالأمير الخوارزمي غياث الدين بن السلطان علاء الدين محمد وصار من كبار أمرائه وتلقب بلقب قتلغ خان ، وعينه غياث الدين حاكماً على كرمان ، ثم دخل في طاعة المغول . انظر النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص١٧٤ ؛ الجويني : تاريخ جهانكشاي، م٢جـ٢ ، ص١١٠-١١٥ . وقد حكم كرمان في الفترة (٦١٩-٦٣٢هـ / ١٢٢٢-١٢٣٥م) . انظر أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، جـ٢ ، ص٣٧٨ .

اليه ، فأقره السلطان جلال الدين على حكم إمارته ، وغادر كرمان[١]

ومما يجدر ذكره ، أن السلطان جلال الدين ركز عند عودته إلى إيران على بسط نفوذه على الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية ، ولم يهتم بأقاليم خراسان وغزنة وخوارزم ، بسبب ما تعرضت له هذه الأقاليم من دمار عظيم جراء الغزو المغولي[٢] . ولذلك عقب خضوع كرمان ، توجه السلطان جلال الدين إلى إقليم فارس ، حيث كان صاحبها الأتابك سعد بن دكلا قد دخل في نزاع مرير مع غياث الدين بير شاه ، الذي استولى على جزء كبير من أراضي أتابكية فارس ، لذلك سارع الأتابك سعد إلى إعلان دخوله تحت طاعة السلطان جلال الدين ، وزوجه من إحدى بناته ، فأقره السلطان على حكم إمارته[٣] .

أما بالنسبة للأمير غياث الدين بيرشاه ، فقد حشد جيشاً مؤلفاً من ثلاثين ألف فارس لمقاومة أخيه جلال الدين، إلا أن جلال الدين استمال بعض قادة جيش أخيه،فتخلوا عن غياث الدين وانضموا إلى صفوف أخيه ، الأمر الذي أدى إلى هروب غياث الدين من وجه أخيه ، ولكن

١- رشيد الدين الهمذاني:تاريخ جنكيزخان ، جـ٢، ورقة ٢٣٨ب ، ٢٣٩أ؛ الجويني : تاريخ جهانكشاي، م٢ ، حـ٢ ، ص٥٢-٥٣ .

٢- حافظ حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٢٢١-٢٢٢ .

٣- اليافعي:جامع التواريخ المصرية ، ورقة ٢أ ؛ النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص١٧٦ ؛ الجويني : تاريخ جهانكشاي ، م٢ ،حـ٢ ،ص٥٣-٥٤ ؛ النويري : نهاية الأرب ، حـ٢٧ ، ص٢٦٥ ؛ الذهبي : المختار من تاريخ ابن الجزري ، ص١١٢-١١٣ .

جلال الدين أعطاه الأمان ، فرجع غياث الدين إلى أخيه ((وصار معه كأحد أمرائه))[١] .

وعقب دخول غياث الدين في طاعة أخيه السلطان جلال الدين ، تسابق حكام مدن إيران في إعلان ولائهم للسلطان ، وقد وصف النسوي أحوال الدولة الخوارزمية بعد عودة جلال الدين بقوله : (فأفرجت أيام السلطان عن الناس الكرب ، وأطفأت من نيران الفتن ما التهب ، وتفرقت الوزراء والعمال في الأطراف بالتواقيع السلطانية فضبطوها)[٢] .

وكان السلطان جلال الدين ناقماً على الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، ويتهمه بأنه حرض المغول على غزو الدولة الخوارزمية ، وكان يقول ((كان السبب في هلاك أبي ومجيء الكفار إلى البلاد))[٣] لذلك تقدم في سنة ٦٢٢هـ /١٢٢٥م . وهاجم إقليم خوزستان[٤] – التابع

١- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص١٧٦،١٩٢ وانظر أيضاً النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٢٦٥-٢٦٦ ؛ الذهبي : المختار من تاريخ ابن الجزري ، ص١١٣ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥،ص١٤٣ .

٢- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص١٧٩ .

٣- سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ٨ ، ق٢ ، ص٦٣٤ . وانظر أيضاً أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص١٤٤؛ الذهبي : دول الاسلام،جـ٢ ، ص١٢٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٣،ص١٠٥ .

٤- خوزستان : إقليم واسع يشتمل على مدن كثيرة بين البصرة وبين فارس . وهي بلاد يكثر بها السهول ، وليس بها جبال ، وهي كثيرة المياه . انظر أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٣١١ .

للخلافة العباسية –وفرض الحصار على مدينة تستر ، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها، بسبب استبسال الحامية العباسية في المدينة ، في الدفاع عنها[1] .

ورغم أن السلطان جلال الدين لم يتمكن من الاستيلاء على تستر ، إلا أنه تمكن من إنزال هزيمة نكراء بالقوات العباسية التي أُرسلت للتصدي له[2]. كما حاول الاستيلاء على بغداد ، واستولى على دقوقا ، إلا أنه لم يتمكن من مواصلة سيره إلى بغداد بسبب ضعف جيشه وقلة دوابه ، فاضطر إلى الانسحاب[3].

لم يبق من القوى الاسلامية التي يمكن للسلطان جلال الدين أن يسيطر عليها في شمال غرب إيران سوى أتابكية أذربيجان ، الذين كانوا في هذا التاريخ في موقف لا يسمح لهم بالمواجهة العسكرية ، لذلك فما أن وصل السلطان جلال الدين إلى أذربيجان ، حتى أرسل أهالي مراغة إلى الوزير الخوارزمي شرف الملك يعلنون ولائهم للسلطان جلال

١- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٥٥ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص١٤٤ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، جـ٢ ، ص٤٠٢ . وتستر : مدينة قديمة من كور الأهواز في خوزستان ، وفيها قبر الصحابي الجليل البراء بن مالك رضي الله عنه ، انظر أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٣١٥ .

٢- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٥٥ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص١٤٤ .

٣- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٥٦ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ٨ ،ق٢ ، ص٦٣٤ ؛الذهبي : المختار من تاريخ ابن الجزري ، ص١١٩. ودقوقا : مدينة بين إربل وبغداد معروفة ، لها ذكر في الأخبار والفتوح . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٥٢٣ .

الدين، بسبب ضعف الأتابك أزبك عن توفير الحماية لهم من اعتداءات الكرج ، فدخل السلطان مراغة ، وأحسن إلى أهلها ، وبث فيهم العدل[١] . كما أرسل السلطان مبعوثاً من قبله إلى بعض حكام القوى الاسلامية في شمال العالم الاسلامي ، يدعوهم إلى الدخول في طاعته ، ويخبرهم بأنه عزم على القيام بفتوحات واسعة على حساب الكرج ، والقضاء على أطماعهم التوسعية في ممتلكات المسلمين[٢].

أما بالنسبة للكرج فيبدو أنهم كانوا يدركون خطورة امتداد نفوذ السلطان جلال الدين في أذربيجان ، بدليل أنهم عندما سمعوا بأنباء استيلائه على مراغة ، أرسلوا إلى الأتابك أزبك يدعونه إلى تناسي خلافاتهم والاتفاق معهم ضد أطماع جلال الدين ، وقالوا لأزبك ((إن لم نتفق نحن وأنت وإلا أخذك ثم أخذنا))[٣] .

وعلى الرغم من أن السلطان جلال الدين اضطر إلى الخروج من مراغة وتوجه إلى همذان لإخضاع ايغان طائيسي[٤] ، أحد القادة

١- أبو شامة : نزهة المقلتين ، ورقة ٣١ب ؛ النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص١٩٤ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٢٦٨ .

٢-المصادر السابقة ، نفس الصفحات .

٣- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٥٧ . وانظر أيضاً ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص١٤٧-١٤٨ .

٤- ايغان طائيسي : هو أحد القادة الخوارزميين ، تزوج بابنة السلطان علاء الدين ودخل في حلف مع الأتابك أزبك ضد السلطان جلال الدين . واستولى على همذان إلا أن السلطان تمكن من اخضاعه . انظر النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص١٩٠-١٩١ .

الخوارزميين ، الذي قام الخليفة العباسي الناصر لدين الله بإقطاعه مدينة همذان[١] . إلا أنه - فيما يبدو - قد حدثت معركة بين القوات الخوارزمية المعسكرة في مراغة وبين الكرج ، بدليل ما ذكره سبط ابن الجوزي من أن السلطان جلال الدين كان ينوي غزو بغداد إلا أنه تلقى طلب استغاثة من إحدى الجيوش التي أرسلها لغزو الكرج ، وقالوا له ((أدركنا فما لنا بالكرج طاقة ، وبغداد ما تفوت)) فعاد السلطان مسرعاً إلى أذربيجان[٢] .

وعندما سمع الأتابك أزبك بعودة السلطان جلال الدين إلى أذربيجان هرب من تبريز واعتصم بمدينة جنزة،بينما أرسل جلال الدين إلى أهالي تبريز يطلب منهم أن يسمحوا لجنود الجيش الخوارزمي بدخول تبريز ، لشراء ما يحتاجونه، فأجابوه إلى ذلك ، ودخل أفراد الجيش الخوارزمي إلى تبريز ، واشتروا ما يحتاجونه ، ولكنهم مدوا أيديهم إلى أموال الأهالي ، فشكى أهالي تبريز إلى السلطان ، فأرسل اليهم شحنه ليمنع جنوده من الاعتداء على الأهالي ، ولكن الأهالي اشتكوا من الشحنه ، وذكروا أنه يكلفهم فوق طاقتهم ، فأمرهم السلطان أن لا يعطوا الشحنه إلا رواتبهم، وازداد طمع السلطان في الاستيلاء على تبريز، وحاصرها مدة خمسة أيام ،

١- ابن الأثير:الكامل ، جـ٩ ،ص٣٥٨ ؛ الذهبي : المختار من تاريخ ابن الجزري، ص١١٩-١٢٠

٢- سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ٨ ، ق٢ ، ص٦٣٤ . وانظر أيضاً أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص١٤٤ ؛ ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ٧ ، ص٢٦٩ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث سنة ٦٢٢هـ ، ص٩ .

فطلب الأهالي الأمان ، فأجابهم إلى ذلك ، ودخل تبريز في السابع عشر من شهر رجب سنة ٦٢٢هـ/الموافق ٢٦ يوليو ١٢٢٥م . فأحسن إلى أهلها ، ونشر فيهم العدل[١] .

وكان استيلاء السلطان جلال الدين على أذربيجان بداية لظهور صفحة جديدة مشرفة من صفحات الجهاد ضد الكرج ، ونهاية لفترة الضعف في عصر أزبك بن البهلوان ، بدليل ما ذكره ابن الأثير من أن السلطان جلال الدين عندما استولى على تبريز ((دخل إلى كشك كان أوزبك قد عمره ، وأخرج عليه من الأموال كثيراً ، فهو في غاية الحسن مشرف على البساتين ، فلما طاف فيه خرج منه وقال هذا مسكن الكسالى لا يصلح لنا)) .وأخذ في تجهيز الجيوش لغزو بلاد الكرج[٢] . كما سيتضح في المبحث التالي إن شاء الله تعالى .

١- ابن الأثير:الكامل ، جـ٩ ، ص٣٥٨ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص١٤٩ -١٥١ ؛ الذهبي: المختار من تاريخ ابن الجزري ، ص١٢٠-١٢١ ، الغساني : العسجد المسبوك ، جـ٢ ، ص٤٠٣-٤٠٤ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ، ص١٤٧ .

٢- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٥٩ . وانظر أيضاً ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ . ص١٥١-١٥٢ ، الغساني : العسجد المسبوك ، جـ٢ ، ص٤٠٤ .

جهاد السلطان جلال الدين منكبرتي ضد الكرج وفتح تفليس
((٦٢٢هـ-٦٢٨هـ / ١٢٢٥م -١٢٣١م))

رأينا في المبحث السابق كيف تمكن السلطان جلال الدين من إعادة توحيد القوى الإسلامية في إيران ، وتعتبر هذه الخطوة من أهم الأحداث السياسية المؤثرة في تاريخ العلاقات بين الخوارزميين والكرج ، فقد أدرك السلطان جلال الدين ما وصلت إليه أحوال المسلمين في شمال غرب إيران من ضعف شديد ، بسبب ما يقوم به الكرج من اعتداءات مستمرة على بلادهم ، وسفك دمائهم وانتهاك أعراضهم ، لذلك صمم على حربهم،حتى صور أحد المؤرخين المعاصرين بأن ظهور جلال الدين كان رحمة لأهالي هذه البلاد لانقاذهم من الكرج[١].

ويذكر أحد الباحثين المحدثين أن السلطان جلال الدين كان يطمح في فتح أراضي مملكة الكرج ، وضمها إلى ممتلكاته ((ثم يجالد المغول من موقع قوي))[٢] .

ولقد أرسل السلطان جلال الدين إلى الكرج يخبرهم بعزمه على قتالهم ، فما كان من الكرج إلا أن قابلوا إعلانه هذا بالتحدي والاستهزاء ، وقالوا له : ((قد قصدنا التتر الذين فعلوا بأبيك

١- ابن الأثير : الكامل ، حـ٩ ، ص٣٥٩ .

٢ سعد الغامدي : أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص٣٤٢ .

وهو أعظم منك ملكاً وأكثر عسكراً وأقوى نفساً ما تعلمه وأخذوا بلادكم فلم نبال بهم وكان قصاراهم السلامة منا))[١].

لم يبال السلطان جلال الدين بهذا التحدي ، وبدأ عملياته العسكرية ضد الكرج بالزحف على مدينة دوين ((فأخذها بالأمان))[٢].

وعندما سمع الكرج بأنباء سقوط دوين بيد السلطان جلال الدين ، جمعوا ستين ألف مقاتل[٣]. وكان إيواني ((هو المقدم على الكرج جميعهم ومرجعهم اليه ومعولهم عليه)) .

وعندما وصلت أنباء هذه الحشود إلى مسامع السلطان جلال الدين ، قاد جيشه ، وسار على جناح السرعة للقائهم حتى وصل إلى وادي كربي ، بينما تحصن الكرج بالتلال المشرفة على الوادي[٥] . ويبدو أن شلوة –

١– ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٥٩ . وانظر أيضاً ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص١٥٢ ، عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصيلبية ، ص٤٩٦ . حاشية رقم (١٥) .

٢– ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ٤ ، ص١٥٢ .

٣– النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص١٩٧ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص١٥٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٢٦٩ ؛ عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٩٦ . وقد قدر ابن الأثير حشود الكرج بسبعين ألف مقاتل . انظر ابن الأثير:الكامل ، جـ٩ ، ص٣٥٩ . بينما قدرهم الجويني بثلاثين ألف مقاتل فقط . انظر الجويني : تاريخ جهانكشاي ، م٢ ، ج٢ ، ص٦٢ .

٤– ابن الأثير الكامل ، ج٩ ، ص٣٥٩ .

٥– النسوي:سيرة السلطان جلال الدين،ص١٩٧–١٩٨ ؛ الجويني : تاريخ جهانكشاي ، م٢،ق٢، ص٦٢؛النويري:نهاية الأرب،جـ٢٧،ص٢٦٩.ووادي كربي:يقع بالقرب من نهر كرني (الذي يصب في نهر أركسس ، إلى الشرق من نهر زنج،والتي تقع عليه مدينة أرفن – عاصمة أرمينية في الوقت الحاضر.انظر سعد الغامدي: أوضاع الدول الاسلامية في الشرق الاسلامي،ص٣٤١ .

أحد كبار قادة الكرج – كان شديد الثقة بالنصر بدليل أنه رفض طلب إيواني بترتيب الجيش الكرجي ((قلباً وميمنة وميسرة))حتى يستطيع أن يقاتل جيش المسلمين[١] .

أما السلطان جلال الدين فقد عقد مجلساً حربياً ، تقرر فيه أن يكون الجيش الخوارزمي هو المبادر بشن الهجوم .وعندما التقى الجمعان ، قامت ميسرة الجيش الخوارزمي بقيادة غياث الدين بيرشاه ، بصعود التلال ، والهجوم على قوات شلوة ، وتمكنت من هزيمة هذه القوات ، ووقع شلوة أسيراً[٢] .

ولما رأى إيواني ما حل بشلوة وقواته ، أيقن بالهزيمة ، وأمر قواته بالارتداد ((فتحطموا في مضيق عميق حتى هلك أكثرهم))[٣].ويشير ابن الأثير إلى أن خسائر الكرج في هذه الموقعة بلغت عشرين ألف قتيل[٤]. ويشير أيضاً إلى أن هذه المعركة حدثت في شهر شعبان سنة ٦٢٢هـ /

١- الذهبي : تاريخ الاسلام ، وفيات سنة ٦٢٨هـ ، ص٢٨٥ .

٢- أبو شامة : نزهة المقلتين ، ورقة ٣١ب ؛ النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص١٩٨-٢٠٠ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٢٦٩-٢٧٠ . عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصلبية ، ص٤٩٧ .

٣- الذهبي : تاريخ الاسلام ، وفيات سنة ٦٢٨هـ ، ص٢٨٥ .

٤- ابن الأثير:الكامل،جـ٩ ، ص٣٥٩ . وقد قدر النسوي خسائر الكرج بأربعة ألاف قتيل فقط . انظر النسوي:سيرة السلطان جلال الدين،ص١٩٩ .بينما قدر سبط ابن الجوزي خسائر الكرج في هذه الموقعة بسبعين ألف قتيل.انظر سبط ابن الجوزي:مرآة الزمان،جـ٨ ، ق٢ ، ص٦٣٤ .

الموافق شهر اغسطس ١٢٢٥م[١].

لم يتوقف الجيش الخوارزمي عند هذا الحد ، بـل زحـف إلى مدينـة زون ، وتمكـن مـن فتحهـا ، وأمـر السـلطان جـلال الديـن جنـوده بعـدم التعرض لمن بها من المسلمين ، وحاز الخوارزميون على غنـائم طائلـة مـن الكرج المقيمين في المدينة[٢] .

وجهز السلطان جيشاً لحصار القلعة - يبدو أنها آني - التي اعتصم بها إيواني ، كما بث كتائبه في بلاد الكـرج ، يشـنون الغـارات عليهـا ، وصار الكرج ((بين قتيل وأسير وطريد))[٣].

لم تكـن نتـائج موقعـة وادي كربـي قـد اقتصـرت علـى مـا حققـه المسلمون من نصر على الكرج بـل تعـدى الأمـر ذلـك إلى جـانب بعـض القـوى المحيطـة بـالكرج ، فعقـب المعركـة قـدم صاحبـا سـرماري يعلنـان ولائهما للسلطان جلال الدين[٤] . كما قدم حـاكم إقليم شـروان والـذي يطلق عليه النسوي اسم أفريـدون بـن فريـبرز ، وأعلـن دخولـه في طاعـة

١- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٥٩ .

٢- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحـروب الصليبيـة ، ص ٤٩٧ ؛ وزون : يذكـر هـوداس أن المقصود بها زوزان Zauzan أحد أقاليم أرمينية . انظر النسوي : سيرة السلطان جـلال الديـن ، ص١٩٧ حاشية رقم(٢) .

٣- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٥٩ . وانظر أيضاً ابـن واصـل : مفـرج الكـروب ، جـ٤ ، ص١٥٣ ؛ الذهبي : المختار من تاريخ ابن الجزري ، ص١٢١ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، جـ٢ ، ص٤٠٥-٤٠٦ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ، ص١٤٧ .

٤- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص٢٠٠ .

السلطان[١]. ولم يلبث أن أعلن حاكم أرزن الروم جهان شاه دخوله في طاعة السلطان[٢] .

وكان السلطان جلال الدين قد عزم على مواصلة عملياته العسكرية ضد الكرج وفتح تفليس،إلا أن وزيره شرف الملك-المقيم في تبريز-أرسل إليه يخبره بأن شمس الدين الطغرائي وبعض أعيان تبريز ، قد تآمروا على إعلان العصيان على الخوارزميين وإعادة الأتابك أزبك إلى الحكم في سنة٦٢٢هـ/١٢٢٥م فقرر السلطان الرجوع إلى تبريز، وخلف قسماً من جيشه في بلاد الكرج ، بقيادة أخيه غياث الدين[٣].

وعندما وصل السلطان إلى تبريز ، قبض على شمس الدين الطغرائي، وبعض المشتركين معه في الفتنة ، واستقرت الأوضاع في تبريز . كما تزوج السلطان من زوجة الأتابك أزبك ، ابنة السلطان طغرل الثالث ، بعد ثبوت طلاقها من أزبك[٤] .

١- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص٢٨٩ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ، ص١٥٨-١٥٩ .

٢- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٨١ .

٣- أبوشامة : نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، ورقة ٣٢ أ ؛ اليافعي : جامع التواريخ المصرية ، ورقة ٧ب؛النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص٢٠١-٢٠٢ ، النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٢٧٠-٢٧١ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ، ص١٤٧ .

٤- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ،ص٣٦٠ ؛ النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص٢٠٧ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص١٥٤-١٥٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٧ ، ص٢٧٢-٢٧٣ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، جـ٤ ، ص٤٠٦ .

وفي سبيل متابعة الأتابك أزبك والقضاء عليه ، جهز السلطان حملة بقيادة أورخان[1]، توجهت إلى إقليم الران ، وتمكنت هذه الحملة من الاستيلاء على جنزة وبيلقان وبرذعة وغيرها ، ولم يتمكن الأتابك أزبك من التصدي لهذه الحملة ، والتجأ إلى قلعة ألنجة ، فأمر السلطان بعدم التعرض لقلعته ، وما لبث أزبك أن مات كمداً وحسرة على ملكه الضائع سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م[2].

وعلى الرغم من انشغال السلطان جلال الدين بإخماد فتنة الأتابك أزبك في تبريز ، وبسط نفوذه على إقليم الران ، فإن القوات الخوارزمية الموجودة في بلاد الكرج بقيادة غياث الدين ، قامت بهجمات ضد الكرج ، ووصلت غاراتهم إلى أبخازيا ، واستولى الخوارزميون على غنائم طائلة ((ورخصت المماليك الكرجية ، حتى أن المملوك منها يباع بدينارين أو ثلاثة)) ولم يتمكن الكرج من التصدي لهم[3] .

١-أورخان : أحد قادة الجيش الخوارزمي أقطعه السلطان جلال الدين مدينة جنزة بعد استيلائه عليها ، وقتل على يد الإسماعيلية سنة ٦٢٤هـ . انظر النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص٢٢٨ - ٢٢٩ .

٢-عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٤٩٨ . قلعة ألنجه : ذكر النسوي أنها من اعمال نخجوان.انظر النسوي:سيرة السلطان جلال الدين، ص٢٠٧. بينما ذكر محقق كتاب الحسيني بأنها قلعة النجة قالا : وهي قلعة جبلية منيعة قرب نخجوان في أعالي نهر النجة جاي. انظر الحسيني : زبدة التواريخ ، ص٣٢٠ ، حاشية رقم ٣ .

٣- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص٢٠٠ . وانظر أيضاً أبو شامة : نزهة المقلتين ، ورقة ٣٢أ.

لم يكتف السلطان بما حققه غياث الدين من انتصارات على الكرج، ولذلك فإنه عندما اطمأن على استقرار الأوضاع في تبريز، استأنف عملياته العسكرية ضد الكرج، فقام في شهر شوال سنة ٦٢٢هـ / الموافق اكتوبر ١٢٢٥م بقيادة حملة كبيرة ضد الكرج، وعندما وصلت الحملة إلى نهر الرس، مرض السلطان مرضاً شديداً، وقاسى هو وعساكره من شدة البرد، لذلك فإنه لم يتمكن من مواصلة السير قدماً في جهاد الكرج، ولكنه أمر بقتل أسيره شلوة بعد أن جاءته عيونه تخبره بأنه كتب رسالة إلى أمراء الكرج يخبرهم فيها بتحركات الجيش الخوارزمي فأمر السلطان به فوسط على شاطيء النهر [1].

وعندما تحسنت صحة السلطان جلال الدين منكبرتي صمم على مواصلة عملياته العسكرية ضد الكرج، الذين حشدوا جيشاً كبيراً لمقاومته، واستنجدوا بالأمم المجاورة لهم مثل اللان والقفجاق واللكز[2]وغيرهم،((فاجتمعوا في جمع كبير لا يحصى)) ولكن الجيش الخوارزمي تمكن من إنزال هزيمة ساحقة بهم ((فولى الكرج منهزمين لا يلوي الأخ على أخيه ولا الوالد على ولده، وكل منهم قد أهمته نفسه وأخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب، فلم ينج منهم

١- أبو شامة : نزهة المقلتين في أخبار الدولتين العلائية والجلالية، ورقة ٣٤ب وَ ٣٥أ ؛ النسوي : سيرة السلطان جلال الدين، ص٢١١ ؛ النويري : نهاية الأرب، جـ٢٧، ص٢٧٤.

٢- اللكز : بليدة خلف الدربند تتاخم خزران، وأهلها مسلمون ولهم لسان مفرد ولهم قوة وشوكة وفيهم نصارى. انظر ياقوت : معجم البلدان، جـ٥ ص٢٦.

إلا اليسير الشاذ الذي لم يعبأ به))وذلك في سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م[١] .

وعقب هذا الانتصار ، أشار قادة الجيش الخوارزمي على السلطان جلال الدين بقصد تفليس ، ولكنه قال : ((لا حاجة لنا إلى أن نقتل رجالنا تحت الأسوار إنما إذا أفنيت الكرج أخذت البلاد صفواً عفواً))[٢]، وبث كتائبة في أنحاء بلاد الكرج ، ليقوموا بشن الغارات عليها،وعندما تأكد من ضعف الكرج ، أصدر أوامره بالزحف على تفليس . وهذا يدل على الخبرة والحنكة العسكرية التي يتمتع بها جلال الدين.

وكان الكرج عندما استولوا على تفليس سنة ٥١٥هـ/١٢١٢م قد سمحوا لسكانها المسلمين بالبقاء فيها ، وممارسة شعائرهم الدينية ، إلا أن المسلمين فيها كانوا يتمنون زوال الحكم النصراني عن مدينتهم ، وأن تعود تفليس – كما كانت قبل استيلاء الكرج عليها – مركزاً من مراكز الحضارة الاسلامية[٣].

ولا يستبعد أن الملكة روسودان Rusudan أدركت هذا الشعور الإسلامي، وتعاطف المسلمين بتفليس مع إخوانهم الخوارزميين ، وعرفت روسودان أن تفليس لن تبدي مقاومة شديدة أمام الجيش

١- ابن الأثير:الكامل ، جـ٩، ص٣٦٦ . وانظر أيضاً ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص١٨٤ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، جـ٢ ، ص٤١٧ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥،ص١٤٩ . ولقد أشار الجويني إلى أن هذه المعركة حدثت عند ممر بندي بنبه القريب من لوري . انظر الجويني : تاريخ جهانكشاي ، م٢ ، ق٢ ، ص٦٥ .

٢- ابن الأثير:الكامل،جـ٩،ص٣٦٦.وانظر أيضاً ابن واصل:مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص١٨٤ .

٣- ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص١٨٣-١٨٤ .

الخوارزمي ، ولذلك ولت هاربة ، واعتصمت في إحدى القلاع الحصينة في إقليم أبخازيا[١] .

أما بالنسبة للجيش الخوارزمي فقد أخفى السلطان جلال الدين منكبرتي القسم الأكبر من قواته ، وتقدم إلى تفليس ومعه ثلاثة آلاف فارس ، فخرجت حامية المدينة لقتاله – عندما شاهدوا قلة من معه – فتقهقر السلطان وقواته ، حتى جاوزوا موضع الكمين ، فأحاط بهم المسلمون ، وقتلوا أكثرهم ، وهرب من نجا منهم إلى المدينة ، وتبعهم الجيش الخوارزمي ، فلما رأى سكان تفليس من المسلمين ذلك ، ثاروا على الكرج ونادوا ((بشعار الإسلام وباسم جلال الدين)) فاضطرب الكرج ، مما سهل على الخوارزميين دخول المدينة،وتمكنوا من دخولها ((عنوة وقهراً بغير أمان ، وقُتل كل من فيها من الكرج)) في يوم الأحد الثامن من ربيع الأول سنة ٦٢٣هـ الموافق للتاسع من شهر مارس سنة١٢٢٦م[٢] . ومن هرب من الكرج عبر نهر الكر ، واعتصم بقلعة تفليس ، وأحرقوا الجسر الخشبي الذي يربط المدينة بالقلعة ، فقام الجيش الخوارزمي بعبور النهر ، وحاصر القلعة ، ولم يلبث أن أرسل الكرج يعرضون تسليم القلعة ، مقابل أن يؤمنهم السلطان على حياتهم وممتلكاتهم ،وأن يسمح لهم بمغادرة القلعة ، فأجابهم السلطان إلى

١- ياقوت:معجم البلدان جـ١، ص٨٥.الذهبي : تاريخ الاسلام ، وفيات سنة ٦٢٨هـ ؛ ص٢٨٥ .

٢- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩، ص ٣٦٦ . وانظر أيضاً ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص١٨٥ ؛ الغساني : العسجد المسبوك ، جـ٢، ص٤١٧؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٥ ، ص١٤٩ .

ذلك ، وتسلم القلعة،وغادرها الكـرج ((ومعهـم أمتعتهـم متجهـين نحـو أبخاز))[1] .

وهكـذا اسـترد المسـلمون تفليـس ، بعـد أن ظلـت تحـت السـيادة الكرجية أكـثر مـن قـرن مـن الزمـان ، وقـام الخوارزميـون بطبـع تفليـس بالطابع الإسلامي ، فقد قاموا بتحويل كنائسها إلى مساجد[2]. ولقد كان لهذا الفتح أثر عظيم عند المسلمين عبّر عنه ابن الأثـير بقولـه :((لقـد جـل هذا الفتح وعظم موقعه في بـلاد الإسـلام وعنـد المسـلمين ، فـإن الكـرج كانوا قد استطالوا عليهم وفعلوا بهم ما أرادوا فكانوا يقصـدون أي بـلاد أذربيجان أرادوا فلا يمنعهم عنها مانع ولا يدفعهم عنهـا دافـع))[3]. ولقـد كان لهذا الفتح أثر عظيم عند علماء المسلمين،حتى أن الشيخ عبد الكريم الرافعـي[4] ذهـب لمقابلـة السـلطان جـلال الديـن، وقـال لـه : ((هـات يـدك الـتي جمـد عليهـا دم الكـرج حتـى أقبلهـا))

١- الجويني : تاريخ جهانكشاي ، م٢ ،جـ٢ ،ص٦٧ . وانظر أيضاً أبـو شـامة : نزهـة المقلتـين ، ورقة ٣٥أ ؛ النسوي : سيرة السـلطان جـلال الديـن ، ص٢١٢ ؛ النويـري : نهايـة الأرب ، جـ٢٧ ،٢٧٥ .

٢- الجويني : تاريخ جهانكشاي ، م٢،جـ٢ ، ص٦٧ .

٣- ابن الأثير:الكامل،جـ٩،ص٣٦٦ . وانظر أيضاً ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ٤ ، ص١٨٣.

٤- عبد الكريم الرافعي : هو شيخ الشافعية عالم العجم والعرب إمام الدين أبو القاسم عبد الكريم ابن العلامة أبي الفضل محمد بن عبد الكريم بن الفضل بن الحسين الرافعي القزويني ، ولد سـنة خمس وخمسين وخمسمائة للهجرة وتوفي سنة ٦٢٣هـ . انظـر الذهـبي : سـير أعـلام النبـلاء ، جـ٢٢ ، ص٢٥٢-٢٥٤.

فقال السلطان:((لا بل أنا الذي أقبل يدك وقبل يد الشيخ))[١] مما يدل على ما كان لعلماء المسلمين من مكانة رفيعة عند السلطان جلال الدين .

وعلى الرغم من أن السلطان جلال الدين كان ينوي مواصلة فتوحاته في بلاد الكرج ، إلا أنه اضطر إلى وقف عملياته العسكرية ضد الكرج ، وتوجه إلى كرمان لإخضاع حاكمها براق حاجب الذي أعلن العصيان عليه ، وأخذ يحرض المغول على مهاجمة ممتلكات الدولة الخوارزمية[٢] .

وعندما عاد السلطان إلى أذربيجان ، صمم على مواصلة عملياته العسكرية ضد الكرج ، وحاصر مدينتي آني وقرس – وكان إيواني قد تحصن في آني – ، وضرب أسوارهما بالمنجنيقات ، إلا أنه لم يتمكن من الاستيلاء عليهما ، بسبب استبسال الكرج في الدفاع عنهما ، بالإضافة إلى ما تتمتع به هاتين المدينتين من حصانة طبيعية شديدة ، فقرر السلطان جلال الدين ترك الحصار ، بعد أن ترك بعض عساكره حول المدينتين ، وتوجه إلى تفليس حيث رتب فيها حامية خوارزمية

١- الذهبي : سير أعلام النبلاء ،جـ٢٢ ، ص٢٥٤ .

٢- ابن الأثير:الكامل ،جـ٩ ،ص٣٦٧-٣٦٨ ؛ النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص٢١٣؛ الجويني : تاريخ جهانكشاي ، م٢؛جـ٢ ،ص٦٧-٦٨ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب،جـ٤ ، ص١٨٦-١٨٧ ؛الغساني : العسجد المسبوك ،جـ٢ ،ص٤١٨ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،جـ٥ ،ص١٤٩ .

جديدة ، ثم هاجم ممتلكات الأيوبيين في خلاط[1] .مما يدل دلالة واضحة على أن انشغال السلطان جلال الدين بمنازعاته مع الأيوبيين وغـيرهم قـد أعاقت فتوحاته في بلاد الكرج .

ولقد استغل الكـرج فـترة انشـغال السـلطان جـلال الديـن بحصـار خلاط، فخرجت حامياتهم العسـكرية مـن آنـي وقـرس بقيـادة إيوانـي ، وهـاجمت تفليـس،وتمكنـت مـن الاسـتيلاء عليهـا،بعـد إخلائهـا مـن الخوارزميين،وقاموا بإحراقها،عندما علموا بعجزهـم عـن حفظهـا وذلـك سنة٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م[2] .

ويذكر المؤرخون المسلمون بعض الأسباب الـتي أدت إلى سـقوط تفليس بيد الكرج مرة ثانية، منها أن الحامية الخوارزمية في تفليس أساءت إلى سكان المدينة المسلمين وعاملوهم معاملة جافة وقاسية وفيها كثير مـن الجبروت والطغيـان مما أدى إلى قيـام سـكان المدينـة مـن المسـلمين إلى الاستنجاد بالكرج[3]. بالإضافـة إلى أن السـلطان جـلال الديـن اسـتخف بالكرج ((لكثرة من قُتل منهم و لم يظن فيهم حركة))[4]. ويذكر النسوي أن ابن مغيث الدين طغرل –زوج الملكة روسودان RUSUDAN– ارتد عن الإسـلام للمـرة الثانيـة ، والتجـأ الى الكـرج ، وأعلمهـم بضعـف الحامية

١– عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٥٠١ .

٢– عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٥٠١ .

٣– عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٥٠١ .

٤– ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٣٧٣ .

الخوارزمية فيها ، وحرضهم على غزو تفليس[١].

أما بالنسبة للسلطان جلال الدين فإنه لم يتمكن من معاقبة الكرج بسبب انشغاله بالتصدي لغارات بعض قوات المغول ، الذين وصلت غاراتهم حتى أصفهان ، فقاد السلطان جيشه ، والتقى بالمغول بالقرب من أصفهان ، وبالرغم من أن المغول حققوا بعض الانتصارات إلا أنهم عادوا إلى بلادهم بعد أن فقدوا أعداداً كبيرة من قواتهم ، وذلك في سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م[٢] .ويبدو أن غارات المغول لم تكن نتيجة تخطيط مسبق ، وإنما كان هدفها الحصول على الغنائم ، لا سيما وأن الزعيم المغولي جنكيز خان توفي سنة ٦٢٤هـ /١٢٢٧م وانشغل زعماء المغول بتعيين خليفة له [٣].

وعلى الرغم من انشغال السلطان جلال الدين بحرب المغول ، إلا أن وزيره شرف الملك ، قام بفرض الحصار على قلعة خاجين التابعة لجلال الدين ابن أخت إيواني[٤] ، ولكنه رفع الحصار عنها ، بعد أن تعهد جلال الدين بدفع عشرة آلاف دينار بربرة ، بالإضافة إلى اطلاق

١- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص٢١٧ .

٢- ابن الأثير : الكامل ، حـ٩، ص٣٧٦؛ الجويني : تاريخ جهانكشاي ، م٢ ، حـ٢ ، ص٧٠-٧٢ ؛ الذهبي : المختار من تاريخ ابن الجزري ، ص١٤١-١٤٢ .

٣- عن انشغال المغول بتعيين خليفة لجنكيزخان . انظر الجويني : تاريخ جهانكشاي ، م١ ، حـ١ ، ص١٧٢-١٨٠ .

٤- جلال الدين ابن اخت إيواني لم أقف له على ترجمة . ولكن يدل اسمه على تأثر الكرج بالحضارة الإسلامية حتى في أسمائهم .

سراح سبعمائة أسير من المسلمين ((فكان فيهم من أسر وهو طفل وأطلق وهو شيخ))[١] .

أما بالنسبة للكرج فقد استغلوا فترة انشغال السلطان جلال الدين منكبرتي بمقاومة المغول ، والتصدي لأطماعهم التوسعية في أصفهان فحشدوا جيشاً ضخماً مؤلفاً من أربعين ألف مقاتل من الكرج والأبخاز واللان والقفجاق وغيرهم . كما انضم إلى هذه الحملة إيواني وقواته ، وسار الكرج بقيادة الملكة روسودان RUSUDAN ، وتمكنو من تحقيق بعض الانتصارات على القوات الخوارزمية عند بحيرة بتاخ القريبة من لوري[٢].

وعندما وصلت أنباء حشود الكرج إلى مسامع السلطان جلال الدين ، قاد قواته للقائهم ، وعندما شاهد الوزير شرف الملك ضخامة جيش الكرج،أشار على السلطان بعدم الدخول في معركة حاسمة

١- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص٢٧٢ . وانظر أيضاً ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،حـ٥ ،ص١٥٥ . وخاجين : يبدو أنها حاجين . وهي ولاية كرجية ، ينبع منها نهر قردقاس ، الذي يصب في جنزة . انظر القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٥٢٢ وبربرة : ((هو دينار حسن مفروغ مقعر عليه كتابه سريانية وصورة الأصنام ، كل دينار مثقال ذهب جيد لا يقدر أحد على التلبيس به ، وإنه نقد بلاد الابخاز وضرب ملوكهم)).انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٥١٨ . وقد ذكر ابن بطوطة أن العملة البيزنطية تسمى بربرة ، انظر بطوطة : رحلة ابن بطوبطة، حـ١ ص٣٦٢ .

٢- اليافعي:جامع التواريخ المصرية ، ورقة ٣١ب و ٣٢أ ؛ ابن خلدون تاريخ ابن خلدون ،حـ٥ ،ص١٥٩ . وبحيرة بتاخ لم أعثر لها على ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

معهم، حتى تتضجر الجموع المتحالفة مع الكرج وتتفرق ، إلا أن السلطان رفض رأي وزيره وصمم على حربهم[١].

وعندما التقى الجمعان في مكان يسمى مندور ، استطاع السلطان استمالة قوات القفجاق التي تخلت عن صفوف الكرج ، مما أوقع الارتباك والذعر في صفوف قوات الملكة روسودان RUSUDAN ، الأمر الذي أدى إلى هزيمتهم هزيمة نكراء ، وقُتل وأُسر أعدادٌ كبيرة منهم ، وفرت الملكة وإيواني في سنة ٦٢٥هـ /١٢٢٨م[٢] . وتعد هزيمة الكرج في موقعة مندور آخر محاولة لهم للتصدي للقوات الخوارزمية المسلمة .

وعقب هذا الانتصار ، صمم السلطان على مواصلة عملياته العسكرية ضد الكرج ، فتقدم إلى لوري وحاصرها حصاراً شديداً ، ولكنه فك الحصار عنها ، بعد أن تعهد من بها من الكرج على إطلاق سراح جميع الأسرى المسلمين لديهم[٣]. وتوجه السلطان لمهاجمة قلاع بهرام الكرجي – القريبة من جنزة – وقد كان بهرام يشن الغارات على أهالي جنزة ، فصمم السلطان على تأديبه ، فهاجم قلاعه ، وتمكن من

١- الجويني : تاريخ جهانكشاي ، م٢ ، جـ٢ ، ص٧٣-٧٤ ؛ رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ (قسم خلفاء جنكيزخان) ، ص٤١ .

٢- الجويني : تاريخ جهانكشاي ،م٢ ،جـ٢ /ص٧٤-٧٧ ؛ رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ (قسم خلفاء جنكيزخان) ، ص٤١-٤٢ . ومندور : معناها في اللغة الكرجية حقل ، وهي بالقرب من لوري . انظر دائرة المعارف الإسلامية ، حـ٥ ، مادة تفليس ،ص٣٨٦ .

٣- اليافعي : جامع التواريخ المصرية،ورقة٣٢أ .

الاستيلاء عليها وغنم مابها[١]. ثم هاجم السلطان قلعة شكان ، وتمكن من فتحها[٢] . ثم توجه إلى قلعة علياباذ التابعة للملكة تمستاها[٣]، وتمكن من فتحها[٤] .

و لم يقف الأمر بالسلطان جلال الدين عند هذا الحد ،بل توجه إلى قلعتي كاك وكوارين ،وفرض عليهما الحصار مدة ثلاثة أشهر ، وضرب أسوارهما بالمنجنيقات ، ولكنه فك الحصار عن القلعتين بعد أن تعهد من بها من الكرج بدفع مبلغ كبير من المال ، ثم توجه السلطان جلال الدين للاستيلاء على خلاط[٥].

ولقد قام السلطان جلال الدين بمهاجمة مدينة خلاط -التابعة للملك الأشرف موسى الأيوبي - وتمكن من الاستيلاء عليها ، بعد حصار طويل وذلك في أواخر جمادي الأول سنة٦٢٧هـ / الموافق ابريل ١٢٣٠م[٦].

١- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ،ص٢٩٣ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،حـ٥ ، ص١٥٩ . وبهرام الكرجي لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

٢- اليافعي:جامع التواريخ المصرية،ورقة ٣٢أ ؛ النسوي: سيرة السلطان جلال الدين ،ص٢٩٣ . وقلعة شكان لم أعثر لها على ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

٣- الملكة تمستاها : يرجح بعض المؤرخين أنها أوتمتا THAMTHA ابنة إيواني . انظر النسوي : سيرة جلال الدين ، ص٢٩٣ ، الحاشية رقم(٢) .

٤- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ،ص٢٩٣ . وعلياباذ لم أقف لها على ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

٥- اليافعي:جامع التواريخ المصرية،ورقة ٣٢أ ؛ النسوي : سيرة السلطان جلال الدين ، ص٢٩٣ ؛ ابن نظيف : التاريخ المنصوري ، ص١٧٩. وكاك وكوارين لم أقف لهما على ترجمة فيما بين يدي من مصادر.

٦- علي الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص ٣٣٦ .

وما لبث السلطان جلال الدين أن واجه حلفاً مكوناً من الأيوبيين وسلاجقة الروم ، وقد تمكنت هذه القوات من إنزال هزيمة ساحقة بالجيش الخوارزمي في سنة ٦٢٧هـ/١٢٣٠ كما سبق ذكره[١] .

وعلى الرغم من الهزيمة القاسية التي تعرض لها الخوارزميون أمام قوات سلاجقة الروم والأيوبيين ، إلا أن الكرج لم يحاولوا استغلال هذه الهزيمة التي تعرض لها عدوهم ، لاستعادة الأراضي التي خسروها لحساب الخوارزميين ، ويبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى ما وصلت إليه أحوال الكرج من ضعف شديد وذل وهوان ، بدليل أن إيواني اضطر إلى إقامة علاقات ودية مع السلطان جلال الدين[٢].

وما لبث أن تعرضت الدولة الخوارزمية لغزو المغول، فقد انطلقت حملة مغولية ضخمة من منغوليا بقيادة جرماغون ، ولم يستطع السلطان جلال الدين الصمود في وجه هذه الحملة ، وما زال يتقهقر أمامهم ، حتى قتل بالقرب من آمد في شهر شوال سنة ٦٢٨هـ/الموافق أغسطس ١٢٣١م[٣].

١- انظر ما سبق ، ص ١٠٩.

٢- ابن نظيف الحموي : التاريخ المنصوري ، ص٢١٩-٢٢٠ .

٣- الجويني:تاريخ جهانكشاي، م٢ ، جـ٢ ، ص٨٦-٩٢ ؛ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، جـ٣ ، ق٢ ، ص٤٦٠-٤٦٣ .وآمد : تقع على نهر دجلة ، ويحيط بها سوران ، أحدهما كبير والآخر فصيل. انظر ابن شداد : الأعلاق الخطيرة: جـ٣ ، ق١ ، ص٢٥٤ .

ولقد استغل الكرج قيام المغول بالقضاء على الدولة الخوارزمية ، فقامت ملكتهم روسودان RUSUDAN باحتلال تفليس ، إلا أنها لم تهنأ طويلاً ، فقد أصبحت منذ سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م تابعة للمغول[1].

وهكذا دخلت العلاقات بين المسلمين والكرج مرحلة جديدة، تميزت بارتباط الكرج بالقوة المغولية التي سيطرت على بلادهم ، بالإضافة إلى إظهار الحقد الصليبي الكرجي للمسلمين عن طريق غزوات المغول للأراضي الإسلامية .

١- ابن العبري:تاريخ الزمان ، ص٢٩١ .

الخاتمة

أهم نتائج البحث

الخــــاتمــــة

أهم نتائج البحث

بحمد الله وتوفيقه ، انتهى موضوع البحث الذي قام بدراسة شاملة لموضوع العلاقات بين المسلمين والكرج في الفترة (٤٤٧هـ - ٦٢٨هـ/ ١٠٥٥م-١٢٣١م) ، وقد أوضحت الدراسة الكثير من الحقائق أهمها أن الكرج اعتنقوا الديانة النصرانية على المذهب الأرثوذكسي - الذي كان يعتنقه البيزنطيون وكان هذا من أهم الأسباب في ارتباط الكرج طوال تاريخهم بالسياسة البيزنطية .

ولما كان الكرج يخضعون للنفوذ البيزنطي فقد كان من الطبيعي أن تتوجه جهود السلاجقة ضد البيزنطيين والكرج ، وقد تمكن سلاطين السلاجقة الأوائل من إخضاع الدولة البيزنطية بعد موقعة ملازكرد ، كما تمكنوا في عهد السلطان ملكشاه من إخضاع الكرج للنفوذ السلجوقي بدليل أنهم التزموا بدفع جزية سنوية لخزانة السلطان ملكشاه .

كما أوضحت الدراسة أحوال الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م ، وما وصلت إليه من ضعف نتيجة النزاع بين أبناء البيت السلجوقي حول من يخلفه على عرش السلطنة السلجوقية . الأمر الذي شجع الكرج على قطع الجزية التي كانوا يؤدونها لخزانة السلطان ملكشاه .

ولقد أدى انشغال أبناء البيت السلجوقي بمنازعاتهم وخلافاتهم الداخلية إلى ازدياد أطماع الكرج التوسعية على حساب القوى الإسلامية

المجاورة لهم ، فهاجموا تفليس مستغلين حالة الفوضى والاضطرابات السياسية التي شهدتها المدينة عقب زوال نفوذ بنو جعفر عنها ، بالإضافة الى انشغال القوى الاسلامية في أرمينية والجزيرة الفراتية بمقاومة الوجود الصليبي في بلاد الشام ، الأمر الذي ساعد الكرج على الاستيلاء على تفليس سنة ٥١٥هـ/١١٢١م .

وقد أثبتت الدراسة أن استيلاء الكرج على تفليس قد أدى إلى ازدياد أطماع الكرج في بسط نفوذهم على القوى الإسلامية في شمال العالم الإسلامي ، فمثلاً اضطر حكام إقليم شروان إلى الاعتراف بالنفوذ الكرجي على بلادهم ، كما تعهدوا بدفع جزية سنوية لخزانة الكرج .

ولما كان إقليم الران من أقرب أقاليم الدولة السلجوقية لبلاد الكرج ، فقد كان من الطبيعي أن يكون هذا الإقليم من أكثر أقاليم الدولة السلجوقية تعرضاً لغارات الكرج المستمرة ، ولقد تعرضت مدينة جنزة – عاصمة إقليم الران – لاعنف غاراتهم ولقد قام حكام إقليم الران بدور مشرف في التصدي للكرج والقضاء على أطماعهم التوسعية في هذا الإقليم .

ومن النتائج التي توصل إليها البحث أن الكرج كانوا يعترفون بالسيادة السلجوقية على بلادهم بدليل أن العملة الكرجية كان يكتب عليها أسماء سلاطين سلاجقة العراق وإيران .

كما أثبتت الدراسة ما كان للسكان الأرمن المقيمين في ممتلكات المسلمين في أرمينية من دور كبير في امتداد نفوذ الكرج على حساب القوى الإسلامية في هذه المنطقة ، فمثلاً قام السكان الأرمن المقيمين في مدينة آني بالعصيان على حكم الأسرة الشدادية في المدينة ، وتمكنوا من القضاء على حكم هذه الأسرة ، وقاموا بتسليم المدينة للكرج .

وقد أثبتت الدراسة أن القوى الإسلامية في أرمينية لم تتمكن من مقاومة اعتداءات الكرج وأطماعهم التوسعية في أرمينية ، الأمر الذي دفع بعض حكام هذه القوى مثل ناصر الدين سكمان الثاني حاكم خلاط وفخر الدين دولت شاه حاكم أرزن على الانضواء تحت قيادة الأتابك إيلدكز وابنه البهلوان في جهادهم ضد الكرج .

ومن النتائج التي توصل إليها البحث ان انشغال القوى الإسلامية في أرمينية وأذربيجان بالتصدي لأطماع الكرج التوسعية واعتداءاتهم المستمرة على ممتلكات المسلمين في هذه المنطقة قد أعاقت هذه القوى عن المساهمة في حركة الجهاد ضد القوى الصليبية في بلاد الشام والجزيرة الفراتية .

وقد أثبتت الدراسة أن نور الدين محمود زنكي كان يدرك حقيقة ما يتعرض له العالم الإسلامي من أخطار القوى النصرانية المتربصة بالعالم الإسلامي مثل الكرج والصليبيين ، الأمر الذي حتم عليه عدم الدخول في نزاعات عقيمة مع أتابكية أذربيجان ، تعيقه عن القيام بأداء فريضة الجهاد ضد القوى الصليبية في بلاد الشام ، وتعيق أيضاً أتابكية أذربيجان عن التصدي للكرج .

وقد أثبتت الدراسة أن سقوط خلاط بيد الأيوبيين كان في مصلحة المسلمين ، وقد أدرك الكرج خطورة هذا الأمر ، إذ أصبحت ممتلكاتهم في أرمينية تجاور دولة إسلامية قوية تستطيع التصدي لأطماعهم التوسعية في هذه المنطقة ، لذلك تابعوا غاراتهم على خلاط ، ولكنهم لم يتمكنوا من تحقيق أهدافهم وانتهى الأمر بعقد الصلح بين الدولتين .

كما أثبتت الدراسة أيضاً أن سياسة المهادنة التي لجأ اليها الأيوبيون مع الكرج ، قد ساعدت الملك الأشرف موسى الأيوبي في المساهمة في حركة الجهاد ضد الحملة الصليبية الخامسة .

وقد أثبتت الدراسة أن أبناء محمد البهلوان كانوا يفتقرون إلى الحنكة السياسية التي كان يتمتع بها والدهم ، حيث دخلوا في منازعات عقيمة مع بعضهم البعض ، بل إن أمير أميران عمر بن البهلوان استنجد بالكرج ضد أخيه أبي بكر مما أتاح للكرج فرصة التدخل في الشئون الداخلية لأتابكية أذربيجان ، وتحقيق مكاسب كبيرة على حساب ممتلكات أتابكية أذربيجان ، وقد وصلت أحوال هذه الأتابكية إلى مرحلة من الضعف الشديد نتيجة إهمال أبي بكر وأخيه أزبك لشئون ممتلكاتهم حتى أن معظم إقليم الران خضع لنفوذ الكرج .

ومن النتائج الهامة التي توصل إليها البحث ما كان لعلاقات الزواج والمصاهرة من أثر عظيم في توجيه العلاقات السياسية بين المسلمين والكرج ، لذلك قام بعض حكام المسلمين بالزواج من أميرات كرجيات مثل السلطان السلجوقي ألب أرسلان ، والملك الأوحد ، وأخيه الأشرف ، وأتابك أذربيجان أبوبكر بن البهلوان وغيرهم . وقد ساعدت هذه المصاهرات السياسة في تحسين العلاقات بين المسلمين والكرج وفي نفس الوقت كان لهذه العلاقات الأثر السيء بالنسبة للمسلمين ، لا سيما للعلاقات بين الكرج وسلاجقة الروم ، حيث أن مغيث الدين طغرل - حاكم أرزن الروم - قام بتنصير ابنه لكي يتزوج من الملكة الكرجية روسودان .

وعند دراسة جهود الدولة الخوارزمية في القضاء على مملكة الكرج أثبتت الدراسة أن انشغال السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد بمنازعاته مع

الخلافة العباسية ، بالإضافة الى تعرض ممتلكاته لغـزو جحـافل المغـول - الـتي اتصفت بالوحشية والهمجية وتدمير المدن وقتل سكانها - قد اعاقته عن قيادة حركة الجهاد ضد الكرج ، أو حتـى تقديـم المسـاعدات لأتابكيـة أذربيجـان ضد الكرج .

كما أوضحت الدراسة الجهود الجبارة التي بذلها السلطان جلال الديـن منكبرتي في سبيل إعادة توحيد القوى الإسـلامية في إيران ، كمـا أوضحـت الدراسة أيضاً أن استيلاء السلطان جـلال الديـن علـى أذربيجـان كـان بدايـة لظهور صفحة جديدة مشرقة من صفحات الجهاد ضـد الكـرج . فقـد أدرك السلطان جلال الدين ما وصلت إليـه أحـوال المسـلمين في هـذه المنطقـة مـن ضعف شديد نتيجة اعتداءات الكرج على بلادهـم وسـفك دمـائهم وانتهـاك أعراضهم لذلك صمم على جهادهم ، وفتح بلادهم وضمها إلى أملاكه .

وقد برهنت الدراسة على أن انتصار المسـلمين علـى الكـرج في موقعـة وادي كربي سـنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م كـان لهـا آثـار كبـيرة في شمـال العـالم الإسلامي يأتي في مقدمتها تدمير القوة العسكرية الكرجية ، بحيث أن الكرج اضطروا بعد هزيمتهم في هذه الموقعة إلى الاستنجاد بالأمم الوثنية المجاورة لهـم مثل اللان واللكز والقفجاق وغيرهـم في سبيل وقف الزحف الخوارزمي علـى بلادهم ، وثمة أهمية أخرى لهـذه الموقعـة وهـي أنهـا شـجعت بعـض القـوى الإسلامية المجاورة لبلاد الكرج مثل الشروانية وإمارة ارزن الروم وغيرها على الاعتراف بالنفوذ الخوارزمي على بلادهم . كما أن انتصار المسلمين في هـذه المعركة قد مهد الطريق لفتح تفليس في العام التالي .

كما أوضحت الدراسة موقف أهالي تفليس مـن المسـلمين مـن الفتوحـات الخوارزميـة في بـلاد الكـرج ، وأبـرزت الدراسـة كراهيتهـم للحكـم الكرجي في

مدينتهم ، ويبدو أن هذا الشعور الإسلامي هو الذي أجبر الملكة روسودان RUSUDAN على الهروب من تفليس ، التي تمكن الخوارزميون من فتحها سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م .

ومن النتائج التي توصل إليها البحث أن انشغال السلطان جلال الدين بمنازعاته العقيمة مع الأيوبيين وسلاجقة الروم وغيرهم قد أدى إلى تعطيل حركة الجهاد ضد الكرج ، فمثلاً اضطر السلطان جلال الدين إلى رفع الحصار عن مدينتي آنى وقرس ، وقام بمهاجمة ممتلكات الأيوبيين في أرمينية . وكذلك اضطر السلطان إلى ترك حصار قلعتي كاك وكوارين وتوجه للاستيلاء على خلاط وتمكن من دخولها سنة ٦٢٧هـ/١٢٣٠م . الأمر الذي أجبر كلاً من سلاجقة الروم والأيوبيين على عقد حلف بينهما ضد اطماع السلطان جلال الدين وتمكنا من إنزال هزيمة ساحقة بالخوارزميين .

وقد أثبتت الدراسة أيضاً أنه على الرغم من هذه الهزيمة التي تعرض لها الخوارزميون ، إلا أن الكرج لم يحاولوا استغلال هذه الهزيمة لاسترداد بعض الأراضي التي فقدوها نتيجة فتوحات السلطان جلال الدين في بلاد الكرج ، مما يدل على ما وصلت إليه أحوالهم من ضعف وذل وهوان .

كما أوضحت الرسالة أن المغول عندما تمكنوا من القضاء على الدولة الخوارزمية سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م ، خضع الكرج للقوة المغولية التي سيطرت على بلادهم ، وفقدوا استقلالهم السياسي . وعلى الرغم من ذلك إلا أن الكرج لم يتخلوا عن روحهم الصليبية وتعصبهم ضد المسلمين ، حيث ساهموا في غزوات المغول ضد ممتلكات الأيوبيين في الجزيرة الفراتية ، كما ساهموا في حملاتهم ضد الدولة المملوكية ، وهذا خارج النطاق الزمني لموضوع البحث .

الملاحق :

١- الملحق الأول : كتاب الأمان إلى أهالي تفليس

٢- الملحق الثاني : نص المعاهدة مع أهل تفليس

٣- الملحق الثالث : تجديد معاهدة أهل تفليس

٤- الملحق الرابع : أحوال المسلمين من أهالي تفليس تحت الاحتلال الكرجي

٥- الملحق الخامس : ترجمة أبي الأسوار شاور .

٦- الملحق السادس : ترجمة الفضل بن شاور .

٧- الملحق السابع : سقوط تفليس بيد الكرج .

٨- الملحق الثامن : فتح تفليس على يد السلطان جلال الدين منكبرتي .

٩- الملحق التاسع : ملوك الكرج .

الملحق الأول :

كتاب الأمان إلى أهالي تفليس[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

من حبيب بن مسلمة إلى أهل طفليس :

سلمٌ أنتم . فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد : فإن رسولكم تفلي قدم علي ، وعلى الذين آمنوا معي ، فذكر عنكم أنا كنا أمةً ابتعثنا الله وكرمنا . وكذلك فعل الله بنا بعد ذلة وقلة وجاهلية جهلاء . فالحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم . والسلام على رسوله وصلواته كما به هُدينا .

وذكر عنكم تفلي ، أن قذف في قلوب عدونا منا الرعب ، فلا حول بنا ولا قوة إلا بالله . وذكر أنكم أجبتم سلمنا . فما كرهت ولا الذين آمنوا معي ذلك من أمركم .

وقدم علي تفلي بهديتكم فقومتها والذين آمنوا معي ، عرَضها ونقَدها مائة دينار غير راتبة عليكم . ولكن على أهل كل بيت دينار وافٍ جزية . ولا فدية . وكتبت لكم عند ملأٍ من المؤمنين كتاب شرطكم وأمانكم .

وبعثت به إليكم مع عبدالرحمن بن جزءٍ السُلمي . وهو علمنا من أهل الرأي والعلم بأمر الله وكتابه . فإن أقررتم بما فيه ، دفعه إليكم ، وإن توليتم آذنكم بحرب من الله ورسوله والذين آمنو على سواء . إن الله لا يحب الخائنين .

والسلام على من اتبع الهدى .

١- محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ص ٤٥٢-٤٥٣.

الملحق الثاني :

نص المعاهدة مع أهل تفليس[1]

بسم ا لله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل طفليس – من أرض الهرمز – : بالأمان لكم ولأولادكم ولأهاليكم ، وصوامعكم وبيعكم ودينكم وصلواتكم ، على إقرار بصغار بالجزية على اهل كل بيت دينار وافٍ . ليس لكم أن تجمعوا بين متفرق من الأهلات استصغاراً منكم للجزية . ولا لنا أن نفرق بين مجتمع استكثاراً منا للجزية .

ولنا نصيحتكم وضلعكم على عدو ا لله ورسوله ، والذين آمنوا فيما استطعتم ، وإقراء المسلم المجتاز ليلة بالمعروف من حلال طعام أهل الكتاب وحلال شرابهم ، وإرشاد الطريق على غير ما يضر بكم فيه . وإن قُطع بأحد من المؤمنين عندكم ، فعليكم أداؤه إلى أدنى فئة من المؤمنين والمسلمين إلا أن يُحال دونهم . فإن تبتم وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة فإخواننا في الدين . ومن تولى عن الإيمان والاسلام والجزية ، فعدو ا لله ورسوله والذين آمنوا . وا لله المستعان عليه .

فإن عَرض للمؤمنين شغل وقهركم عدوكم ، فغير مأخودين بذلك ولا ناقضٌ ذلك عهدكم ، بعد أن تفيئوا الى المؤمنين والمسلمين . هذا عليكم وهذا لكم . شهد ا لله وملائكته ، ورسله ، والذين آمنوا ، وكفى با لله شهيدا .

---

١ – محمد حميد ا لله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ص ٤٥٤ .

الملحق الثالث :

تجديد معاهدة أهل تفليس[1]

بسم ا لله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من الجراح بن عبدا لله ، لأهل تفليس من رستاق منجليس من كورة جُرزان :

إنهم أتوني بكتاب أمان لهم من حبيب بن مسلمة ، على الإقرار بصغار الجزية وأنهم صالحهم على أرضين لهم وكروم وأرحاء يقال لها أوراي، وسابينا من رُستاق مَنجَليس ، وعن طعام وديدونا من رستاق قُحُويط من كورة جرزان على أن : يؤدوا عن هذه الأرحاء والكروم في كل سنة مائة درهم بلا ثانية . فأنفذت لهم أمانهم وصلحهم وأمرت ألا يزاد عليهم . فمن قُريء عليه كتابي فلا يتعدَّ ذلك فيهم إن شاء ا لله .

١ - محمد حميد ا لله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ص ٤٥٧- ٤٥٨.

الملحق الرابع :

أحوال المسلمين من أهالي تفليس تحت الاحتلال الكرجي[١]

وبعد أن هُزم نجم الدين وترك البلاد اتجه الملك داود وابنه ديمتريوس نحو تفليس ، وحاصرها وهدم سورها ، وبعد ثلاثة أيام ((أمن أهلها وأسقط عنهم تلك السنة الأعشار والمؤن والأقساط والخراج وشرط للمسلمين كل ما أرادوه من الشروط الذي هو الآن باق بها أنه لا يعبر إلى جانب المسلمين بالمدينة خنزير ، ولا يذبح بها ولا في سوقها ، وضرب لهم الدراهم عليها اسم السلطان والخليفة في الوجه الآخر اسم الله واسم النبي عليه السلام واسمه على جانب الدرهم ونادى في البلد - أن من آذى مسلماً فقد أُهدرَ دمه - وشرط لهم الأذان والصلاة والقراءة ظاهراً . وأن يخطب يوم الجمعة ويصلى ، ويدعى للخليفة والسلطان ولا يدعى لغيرهما على المنبر وشرط أن حمام إسماعيل بتفليس لا يدخلها كرجي ولا أرمني ولا يهودي ، ووصف خدمة الكرجي في السنة خمسة دنانير وخدمة اليهودي أربعة دنانير ، وخدمة المسلم ثلاثة دنانير .

١- عفاف صبرة : دراسات في تارخ الحروب الصليبية ، ص ٤٤٨- ٤٤٩.

الملحق الخامس : ترجمة أبي الأسوار شاور[1]

فولوا على البلاد أبا الأسوار شاور بن الفضل بن محمد بن شداد ، وفي سنة ٤٤١هـ بعد شهرين من ولاية أنوشروان ، فدخل أولاً مدينة شمكور وأحكم أمرها ثم سار إلى جنزة ودخلها واحتوى على جميع بلاد أران وقلاعها وقبض على أنوشروان وعلى الحاجب أبي منصور وإخوانه وأولادهم وكانوا يقال لهم بنو أبي الهيثم الكاتب وكانوا أعيان دولة بني شداد فقبض أبو الأسوار على جميعهم وأحيى رسم الدولة بعد أن كادت تموت فقوي وانتظمت أحوال الرعية والجند ، فسار في سنة ٤٤٥هـ وفتح قلعة نصرة من الخزرية عنوة وحصنها بالرجال والميرة والسلاح وفيها أخرج ابنه أبا نصر اسكندر بن شاور إلى مدينة دبيل وسلم إليه أعمالها . وفي سنة ٤٥٤ جاء إليه جماعة من أعيان تفليس وسألوا منه أن يرسل إليهم من يسلمون إليه القلعة لأن صاحبها جعفر بن علي كان قد مات وخلف ابنين منصوراً وأبا الهيجاء فوقعت البغضاء بينهما في ولاية القلعة فأخرجهما أهلها وعادوا إلى أبي الأسوار يسألونه ما سبق ذكره وأن يرسل إليها رجالاً وسلاحاً وميرة . فأراد أبو الأسوار ان يجيب إلى سئولهم فمنعه وزيره بختيار ابن سلمان وقال له سيفتح الله لك كورة تفليس فتقع تلك القلعة أيضاً في يدك عفواً صفواً وقال أيضاً هذا يكون سبباً لتفرق رجالك وضياع مالك بلا فائدة فرجع أبو الأسوار عن الإجابة إلى سئولهم ورد مفتاح القلعة إليهم فرجعوا وسلموا المفتاح والقلعة إلى أخسربنان بن ماليق صاحب شكى فقبلها وأحسن جوائزهم وصرفهم من عنده ثم باعها من صاحب الروم بأموال جمة . فأنفذ ملك الروم من الوقت إليها حفظة وشحنها بالرجال والسلاح والميرة وأمر بتوسيع الطرق في الجبل ليسهل للكفرة العبور منها إلى بلاد الإسلام .

١- المولوي : صحائف الأخبار ، جـ١ ، ورقة ٥٠٦ب و ٥٠٧أ .

الملحق السادس : ترجمة الفضل بن شاور[1]

وفي هذه السنة ٤٥٩هـ في ذي الحجة دخل السلطان ألب أرسلان بلاد أران فاستقبله الفضل بن شاور بالطاعة والعبودية وقدم بين يديه مفاتيح خزاينة وسلم إليه جميع ماكان له من الذخاير وكذا ورد حضرته صاحب شروان فريبرز بن سلار مع الهدايا والخدمة . ودخل السلطان في المحرم في سنة ٤٦٠هـ وغزا بلاد شكي وخزران ثم بلاد أفخاز وأكثر القتل والأسر والنهب وفتح القلاع في بلاد الكفر ثم قبض على منصور وأبي الهيجاء صاحبي تفليس عند عودته وسلم ثغر تفليس إلى الفضل بن شاور .

وفي رمضان في هذه السنة خرج الفضل إلى تفليس ومنها غزا بلاد أفخاز ولما امتلئت أيدي المسلمين من الغنائم أحدث الأفخازية عليهم المضايق وقاتلوهم فانهزم المسلمون فبقي الفضل صاحب أران في شرذمة قليلة من الشجعان فانهزم هو أيضاً بعد أن قتل جميع من معه من أصحابه فضل الطريق فوقع الى قرية كان بها بن كفتر بعض بطارقة شكي وخزران فنزل عنده ساعة ثم حمله إلى أخسربنان اللعين ، فلما نزل عنده غدر به وقبض بالوقت عليه وأمسكه عنده أياماً ثم سلمه إلى صاحب أفخاز .

فلما يئس منه أهل أران أجلسوا بالإمارة أخاه أشوط بن شاور الفضل مكانه في شوال في سنة ٤٦٠هـ ، وفي ذي القعدة منها دخل شاه تكين الخاص أمير العراقين مع الأتراك بلاد أران ثم سار إلى غزو الكفرة .

وبقي الفضل بن شاور في الأسر والحبس عند صاحب أفخاز إلى ان خلصه الله تعالى في جمادي الآخرة في سنة ٤٦١هـ فوصل إلى ملكه وجلس على سرير إمارته بجنزة وكانت مدة إمارة أخيه أشوط نحو ثمانية أشهر .

---

١ - المولوي : صحائف الأخبار ، جـ١ ، ورقة ٥٠٧ب و ٥٠٨أ .

الملحق السابع :سقوط تفليس بيد الكرج كما ورد عن الفارقي[1] .

وفي سنة خمسة عشر وخمسمائة نفذوا أهل تفليس إلى نجم الدين إيلغازي يستدعونه ليسلموا إليه تفليس وكان لها بيد أهلها مقدار أربعين سنة وكان ملاكها قوم من أهلها يسمون بنوجعفر من مقدار مائتي سنة .ثم انقرض كبارهم واضمحلوا فعاد أمرهم إلى أهلها ، وكان كل شهر يلي أمرهم منهم واحد وكان ذلك مدة أربعين سنة وكان الملك داود ملك الأبخاز والكرج قد ضايقها مضايقة شديدة واضمحلت وكان قد نفذو إلى السلطان طغرل بن السلطان محمد وكان ملك جنزي وأران فنفذ لهم شحنة فازدادت مضايقة ملك الكرج لهم وبقوا على هذا مدة فاتفقوا أن يحملوا له في كل سنة عشرة آلاف دينار ويكون عندهم شحنة معه عشرة فوارس فبقوا على ذلك مدة ونفذوا إلى نجم الدين الغازي يستدعونه فسار ومعه عساكر عظيمة ومعه دبيس بن صدقة ملك العرب وكان صهر نجم الدين على ابنته كهار خاتون وكان قد وصل إليه في تلك السنة . فسار بالعساكر ونفذ إلى شمس الدولة طغان أرسلان صاحب أرزن وبدليس وكان له مدينة دوين وأمره أن يدخل من شرقي تفليس وسار وأخذ معه القاضي علم الدين بن نباتة ومعه ولده القاضي علم الدين أبو الفتح الكبير وهو الآن قاضي ماردين والوزير أبي تمام بن عبدون وسار معه فوصلوا إلى أرزن الروم وتخلف القاضي والوزير بأرزن الروم ودخل بالعساكر من ولاية القرس وطريق ثرياليت واتفقوا أن تجتمع العساكر أجمع على باب تفليس ويحضر السلطان طغرل

١- الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، ورقة ١٦٩ب و ١٧٠ أ وَ ب .

من ناحية جنزى وسار طغان أرسلان الأحدب من دوين . ووصل نجم الدين إلى أن بقي بينه وبين تفليس الجبل مقدار نصف يوم وخرج الملك داود ومعه ولده ديمطري من جانب الغرب في عساكر عظيمة وكان يحدر عليهم من الجبل وهم في لحفه و لم تكن وصلت عساكر السلطان طغرل ولا شمس الدولة الأحدب بمن معه وتقاتلوا قتالاً عظيماً وأسر نجم الدين وقتل معه خلق كثير وغنم الكفار منهم غنيمة عظيمة وخرج نجم الدين في نفر يسير بحيث أن بقي عندهم من الأسرى إلى زماننا ، ولقد رأيت موضع الوقعة عندما دخلت إلى تفليس في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة فأقمت بها ثم وصلت إلى خدمة ملك الأبخاز وبقيت عنده وسرت في ولايته مقدار نيف وسبعين يوماً واجتاز إلى اللان وانحرف إلى الدربند وإلى ولاية الأبخاز ولقد وصلنا بعض الأيام في ولاية الأبخاز إلى برج واسع تحت جبل في قلعة شاهقة في تلك الأنحاء وقال لي ملك الأبخاز يا فلان في هذه القلعة رجل أسير مستعرب من نوبة إيلغازي فاصعد إليه واسأله من أين هو فعولت على ذلك ، ورجوت من الملك أن يطلق سراحه فلما كان من وقت السحر ضرب بوق الرحيل لأنه وصل إليه الخبر أن بعض ولاياته قد تشوشت عليه فلما وصل الخبر رحل ورحل الناس و لم أتمكن من الاجتماع بذلك الرجل .

الملحق الثامن : فتح تفليس كما ورد عند النسوي[1]

ثم ركب السلطان بعد العيد لغزوة أخرى في الكرج، يبيض بها وجه الإيمان ، ويعفر خدود عبدة الصلبان ، فعند وصوله إلى نهر أرس ، مرضتُ مرضاً شديداً تعذرت معه الحركة ، وأذن لصاحبي سرماري إذ ذاك في العود إلى بلدهما ، فسيرت معهما ، وبرز الأمر إليهما أنهما لا يفتحان كتاباً يرد عليهما من ملوك الشام والروم والكرج إلا بحضوري ما دمت فيهم ، وأن لا يحضر رسول من رسل هذه الجهات إلا وأنا حاضر ، وإلى ما يرد أو يصدر ناظر ، فأقمت بها سبعة أشهر لتعذر الوصول إلى المراكز السلطانية ، وقد دوخ أعماق أبخاز .

ولما وصل السلطان إلى شاطيء نهر أرس ، مسك لشلوة الكرجي كتباً أرسلها إلى أمراء أبخاز يحذرهم برحيل السلطان صوبهم وينذرهم ، فأمر السلطان به فوسط على شاطيء النهر ، وقاسى السلطان وعسكره من الثلوج في ذلك الشتاء ببلد الكرج شدة عظيمة ، وكلح وجه الهواء بها كلوحاً أثر في الحوافر ، فضلاً عن الأطراف والمحاسر . ولما وصل إلى مروج تفليس ، جر العساكر إليها ، متجردة عن أثقالها ، فوجدها حصينة منيعة قد بني معظم سورها على الجبال والسقفان ، فتهافت عوامها إلى مصرع البوار ، تهافت الفراش في النار ، فاستجروهم إلى أن انفصلوا من جدران المدينة ، وحملوا عليهم حملة كشفتهم عن رؤوس بلا غلاصم . وأيد بلا معاصم ، وانزحموا في العود ، وسبقهم إلى الباب غياث الدين وملكت المدينة بهذه الحملة ،

١- النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٢١١-٢١٢ .

وتحكمت السيوف في أهلها ، والأيدي الناهبة في أموالها ، وقتل من بها من الكرج والأرمن . وتحصن أجناد الكرج وأرتاروزتهم بالقلعة . ومن صفة تفليس أنها بنيت على حافة نهر أرس بين جبال وأودية ، والنهر يشق بين المدينة والقلعة ، وهو نهر عظيم لا يخاض ، وكان بينهما جسر من خشب فأحرق حين شوهد هول المقام ، وتسلط يد الانتقام ، وتكاثف عليه الزحام ، ثم عبر السلطان النهر في نهار واحد إلى ناحية القلعة ، وكتب الله له ولعسكره بالسلامة فأحاط بالقلعة ، وأخذ الناس يعدون آلات الحصار وخرج أثناء ذلك رسول من بها من الكرج في طلب الأمان ، فأجاب السلطان إلى ذلك ، إذ كان الشتاء قد هجم ، وتسلم القلعة بما فيها من ربد الأحقاب ، أموال تكل عن ذكرها أنامل التحرير ، وتضيق عن اثباتها أدراج الأضابير .

الملحق التاسع :

ملوك جورجيا (الكرج)[1]

(الأبخاز وايبريا)

بقراط الثالث	(٤٠١-٤٠٧هـ/١٠٠٨-١٠١٤م)	Bagrat III
جورج الأول	(٤٠٧-٤١٨هـ/١٠١٤-١٠٢٧م)	George I
بقراط الرابع	(٤١٨-٤٦٥هـ/١٠٢٧-١٠٧٢م)	Bagrat IV
جورج الثاني	(٤٦٥-٤٨٢هـ/١٠٧٢-١٠٨٩م)	George II
داود الثاني	(٤٨٢-٥١٨هـ/١٠٨٩-١١٢٥م)	David II
ديمتريوس الأول	(٥١٩-٥٥٠هـ/١١٢٥-١١٥٥م)	Demetrius
داود الرابع	(٥٥٠-٥٥١هـ/١١٥٥-١١٥٦م)	David II
جورج الثالث	(٥٥١-٥٨٠هـ/١١٥٦-١١٨٤م)	George III
ثمارا الكبرى	(٥٨٠-٦٠٩هـ/١١٨٤-١٢١٢م)	Thamara
جورج الرابع	(٦٠٩-٦١٩هـ/١٢١٢-١٢٢٣م)	George IV
روسودان	(٦٢٠-٦٤٣هـ/١٢٢٣-١٢٤٥م)	Rusudan

١- عفاف صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، ص٥٣٧ (بتصرف)

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات

– الأصفهاني (محمد بن محمد صفي الدين ، الملقب عماد الدين الكاتب الأصفهاني ، ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) .

البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان . صورة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى برقم (١٠٢٨) عن نسخة مكتبة أحمد الثالث باستامبول رقم (٢٩٥٩) .

– الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

تاريخ الإسلام ، الجزء التاسع . صورة بمركز البحث العلمي بجامعة ام القرى ، برقم (١٥١) عن نسخة الخزانة العامة بالرباط برقم (٢٢٦) .

– رشيد الدين الهمذاني (فضل الله بن عماد الدولة أبو الخير حفيد موفق الدين الهمذاني ، ت ٧١٨هـ /١٣١٨م) .

تاريخ جنكيز خان ،جـ٢. صورة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم (٩٠) ، عن نسخة مكتبة أيا صوفيا باستامبول برقم (٣٠٣٤) .

– أبو شامة (عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي ، ت٦٦٥هـ /١٢٦٧م).

نزهة المقلتين في أخبار الدولتين العلائية والجلالية . صورة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى برقم (١٨٧٥) عن نسخة مكتبة الطاهر بن عاشور الخاصة برقم (١١٣) .

– العيني (بدر الدين محمود أبو محمد بن أحمد بن موسى العيني ، ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م).

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، جـ١١ . صورة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم (١١٨٠) عن نسخة مكتبة أسعد أفندي بتركيا برقم (٢٣١٧) .

– الفارقي (أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي ، ت٥٧٢هـ) .

ملخص تاريخ ميافارقين . صورة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم (١٢٦٦) عن نسخة مكتبة المتحف البريطاني برقم (٥٨٠٣) .

– ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم بن علي ، ت ٨٠٧هـ/١٤١٤م).

تاريخ ابن الفرات . صورة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى برقم (٦١٢) عن نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم (٥٤١ق)

- المولوي (أحمد دده بن لطف الله المولوي الرومي ، ت ١١١٦هـ) .

صحائف الأخبار في وقائع الأعصار ، جـ١ . صورة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم (١٠٤٢) عن نسخة مكتبة أحمد الثالث بتركيا برقم (٢٩٥٤) .

- اليافعي (حسن بن إبراهيم بن محمد اليافعي ، كان حياً سنة ٦٧٩هـ)

جامع التواريخ المصرية في ذكر الملوك والخلفاء والسلاطين الإسلامية ، صورة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم (١١٤٢) عن نسخة المكتبة الوطنية بباريس برقم (١٥٤٣).

ثانياً : المصادر

- ابن الأثير الجزري (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الملقب بعز الدين ، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) .

١- الكامل في التاريخ (٩ أجزاء) . ط بيروت ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

٢- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية . تحقيق عبدالقادر أحمد طليمات ، ط القاهرة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م .

٣- اللباب في تهذيب الأنساب (جـ٣) . ط بيروت بدون تاريخ الطبع .

- الأزدي (الشيخ أبي زكريا يزيد بن محمد بن إياز بن القاسم الأسدي ، ت٣٣٤هـ / ٩٤٥م) .

تاريخ الموصل . تحقيق علي حبيبة ، ط القاهرة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

- أسامة بن منقذ (أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ، ت ٥٨٤هـ /١١٩٢م) .

الاعتبار . تحقيق فيليب حتي ، ط برنستون ١٩٣٠م .

- الاصطخري (أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري ، المعروف بابن الكرخي ، المتوفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري) .

المسالك والممالك . تحقيق محمد جابر عبدالعال . ط القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .

- الأصفهاني (عماد الدين محمد بن محمد بن حامد المشهور بالعماد الكاتب ، ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) .

١- الفتح القسي في الفتح القدسي . تحقيق محمد محمود صبح ، ط القاهرة ١٩٦٥م .

٢- تاريخ دولة آل سلجوق . اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري ، ط بيروت ١٩٧٨م .

٣- البرق الشامي ، الجزء الخامس . تحقيق فالح حسين حنظل ، ط عمان ١٩٨٧م .

- الأنطاكي (يحيى بن سعيد الأنطاكي ، ت٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) .

التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق . ط بيروت ١٩٠٥م .

- ابن أيبك الدواداري (أبو بكر عبدا لله بن أيبك ، ت٧٣٢هـ /١٣٣٢م).

- كنز الدرر وجامع الغرر . الجزء السادس وعنوانه ، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦١م .

الجزء السابع وعنوانه ، الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب ، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور ، ط القاهرة ١٣٩١هـ /١٩٧٢م .

- البدليسي (شرف خان البدليسي، المتوفى في القرن الحادي عشر الهجري).

شرفنامة ، جـ١ . ترجمه على الفارسية محمد علي عوني ، ط القاهرة بدون تاريخ الطبع .

- ابن بطوطة (أبوعبدا لله محمد بن عبدا لله الملواتي الطنجي ، ت٧٧٩هـ) .

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة) ، (جزءان في مجلد واحد) . تحقيق محمد عبدالمنعم العريان ، ط بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- البغدادي (صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغداد ، ت ٧٣٩هـ).

مراصد الاطلاع على أسماء المكنة والبقاع ، (٣ أجزاء) . تحقيق علي بن محمد البجاوي ، ط القاهرة . الجزء الأول والثاني ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م . والجزء الثالث ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .

- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ، ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م).

فتوح البلدان ، ط بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

- البنداري (الفتح بن علي البنداري) .
سنا البرق الشامي . تحقيق الدكتورة فتحية عبدالفتاح النبراوي ، ط الرياض ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- بورفيرو جنيتوس (الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع) .
إدارة الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمه وعلق عليه محمود سعيد عمران ، ط بيروت ١٩٨٠م
- ابن البيبي (ناصر الدين يحيى بن محمد ، ت٦٧٠هـ) .
الأوامر العلائية في الأوامر العلائية . ط انقرة ١٩٥٦م .
-التطيلي (بنيامين بن يونة التطيلي النباري الأندلسي ، ت ٥٦٩هـ /١١٧٣م) .
رحلة بنيامين . ترجمها عن الأصل العبري وحققها عزرا حداد ، ط بغداد ١٣٦٤هـ ١٩٤٥م .
- ابن تغري بردي (جمال الدين أبو الحسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، ٨٧٤هـ /١٤٦٩م) .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الأجزاء ٥،٦،٧.ط القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
- ابن الجوزي ، (أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي ، ت ٥٩٧هـ / ١٠٢١م).
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الأجزاء ١٥،١٦،١٧،١٨.تحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا ، ط بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
-الجويني (عطا ملك الجويني ، ت٦٨١هـ)
تاريخ فاتح العالم جهانكشاي في تاريخ جنكيز خان وأعقابه حتى كيوك خان (٣ أجزاء في مجلدين) ، تحقيق محمد التونجي ، ط دار الملاح للطباعة والنشر ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.
- الحسيني (أبو الحسن علي بن أبي الفوارس ناصر بن علي ، ت بعد سنة ٦٢٢هـ).
وبدة التواريخ أو أخبار الأمراء والملوك السلجوقية . تحقيق الدكتور محمد نور الدين ، ط بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- الحسيني (الوزير محمد بن محمد بن عبدا لله بن النظّام الحسيني ، ت ٧٤٣هـ/١٤٣٩م).

العراضة في الحكاية السلجوقية . ترجمة وتحقيق عبدالنعيم حسنين وحسين أمين ، ط بغداد ١٩٧٩م .

– الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبدا لله الحموي ، ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .

معجم البلدان (٧ أجزاء) تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي ، ط بيروت ١٤١٠هـ /١٩٩٠م .

– الحميري (محمد عبدالمنعم الصنهاجي ، ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م) .

الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط بيروت ١٩٧٥م .

– الحنبلي (مجير الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد العليمي ، ت٩٢٨هـ / ١٥٢٢م) .

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل .(جزءان) ، ط بيروت ١٩٧٣م) .

– ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي ، ت ق٤هـ /١٠م) .

صورة الأرض ، قسمان في مجلد واحد . بدون تاريخ ومكان الطبع .

– ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) .

ديوان الميتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون) ، (٨ أجزاء) . ضبط المتن خليل شحادة،وراجعه سهيل زكار ، ط بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

– ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر،ت٦٨١هـ/١٢٨٤م) .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٨ أجزاء) . تحقيق إحسان عباس ، ط بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

– الديار بكري (حسين بن محمد بن الحسين ، ت ٩٦٦هـ / ١٥٥٩م) .

تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، (جزءان في مجلد واحد) ، ط مصر ١٢٨٣م .

– الذهبي (شمس الدين محمد بن احمد بن قايماز ، ت٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) .

١– دول الإسلام . تحقيق محمد فهيم شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم ، ط القاهرة ١٣٩٤هـ .

٢- العبر في خبر من غبر . جـ٤-٥ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط الكويت ١٩٦٣م - ١٩٦٦م .

٣- المختار من تاريخ ابن الجزري ، تحقيق خضير عباس المنشداوي ، ط بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٤- سير أعلام النبلاء ، (٢٥ جزء) ، تحقيق بشار عواد معروف وشعيب الأرنؤوط وآخرون ، ط بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

٥- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٤ أجزاء)،تتضمن حوادث من سنة ٦٠١ - ٦٤٠هـ . تحقيق بشار عواد معروف وشعيب الأرنؤوط وصالح مهدي عباس ، ط بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

- الراوندي (محمد بن علي بن سليمان ، كان حياً بين عامي (٥٧٠ - ٦٠٣هـ / ١١٧٤ - ١٢٠٦م) .

راحة الصدور وآية السرور . ترجمة عبدالنعيم حسنين وإبراهيم محمد الشواربي وفؤاد عبدالمعطي الصياد ، ط القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .

- رشيد الدين الهمذاني (رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبو الخير حفيد موفق الدين الهمذاني ، ت ٧١٨هـ / ١٣١٨م) .

١- جامع التواريخ أو تاريخ المغول ، المجلد الثاني ، الجزء الأول ، تاريخ هولاكو . ترجمة محمد صادق نشأت وفؤاد عبدالمعطي الصياد ومحمد موسى الهنداوي ، ط القاهرة ١٩٦٠م

٢- تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قا آن إلى تيمور قا آن . ترجمة الدكتور فؤاد عبدالمعطي الصياد ، ط بيروت ١٩٨٣م .

- ابن الساعي (أبو طالب علي بن أنجب تاج الدين المعروف بابن الساعي الخازن ، ت ٦٧٤هـ /١٢٧٥م - ١٢٧٦م) .

الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير . الجزء التاسع ، تحقيق مصطفى جواد ، ط بغداد ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م) .

- سبط بن الجوزي (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزا وغلي التركي الشهير بسبط ابن الجوزي ، ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) .

مرآة الزمان في تاريخ الأعيان

١- الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة . تحقيق علي سويم ، ط أنقرة ١٩٦٨م .

٢- مرآة الزمان (الحوادث الخاصة ٤٨١هـ - ٥١٧هـ / ١٠٨٨م-١١٢٣م) ، (جزءان) ، تحقيق الدكتور مسفر بن سالم بن عريج الغامدي .ط مكة المكرمة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م

٣- مرآة الزمان ، (الجزء الثامن قسمان) ، ط حيدر أباد ١٣٧٠ -١٣٧١هـ / ١٩٥٠ - ١٩٥١م .

- السبكي (تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي ، ت ٧٧١هـ /١٣٧٠م) .

طبقات الشافعية الكبرى . تحقيق محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو ، ط القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

- ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر بن أحمد بن عبدالرحمن ، ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)

١- فوات الوفيات والذيل عليها ، جـ١ . تحقيق إحسان عباس ، ط بيروت بدون تاريخ الطبع .

٢- عيون التواريخ ، جـ١٢ ، تحقيق فيصل السامر ، ط بغداد ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

- أبو شامة (شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي ، ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م) .

١- الروضتين في أخبار الدولتين (جزءان في مجلد واحد) . ط مصر ١٢٨٨هـ .

٢- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين . نشر ومراجعة السيد عزت العطار الحسيني . ط بيروت ١٩٧٤م .

- ابن شداد (أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم الشهير بابن شداد ، ٦٣٢هـ /١٢٣٤م) .

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط القاهرة ١٩٦٤م .

- ابن شداد (عز الدين أبو عبدا لله بن علي بن إبراهيم الحلبي ، ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م).

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، جـ٣ (قسمان) . تحقيق يحيى عبارة ، ط دمشق ١٩٧٨م .

– ابن شاهنشاه الأيوبي (محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي ، ت ٦١٧هـ).
مضمار الحقائق وسر الخلائق . تحقيق الدكتور حسن حبشي . ط القاهرة ١٩٦٨م .
– الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ، ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) .
الوافي بالوفيات ، ط فرانزشتايز بقسيادن (المانيا) ، جـ٣. باعتناء ديدرينغ ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م . جـ٨ ، باعتناء محمد يوسف نجم ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م . جـ١٠ باعتناء جاكلين سوبلة وعلي عمارة ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م . جـ١١ ، باعتناء شكري فيصل ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م . جـ١٥ باعتناء بيرتدراكية ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
– الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ت ٣١٠هـ / ٩٩٢م) .
تاريخ الرسل والملوك ، جـ٤ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط القاهرة .
– العامري (يحيى بن أبي بكر بن محمد بن محمد بن يحيى بن حسين العامري ، ت ٨٩٣هـ) .
غربال الزمان في وفيات الأعيان . صححه وعلق عليه محمد ناجي زعبي العمر ، ط دمشق ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
– ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون المعروف بابن العبري ، ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م).
١– تاريخ مختصر الدول . ط بيروت ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م .
٢– تاريخ الزمان . ترجمة اسحق أرملة ، ط بيروت ١٩٨٦م .
– ابن العديم (الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله بن أب جرادة ، ت ٦٦٠هـ ، ١٢٦٢م) .
١– زبدة الحلب من تاريخ حلب ، (٣ أجزاء) . تحقيق سامي الدهان ، ط المكتبة الفيصلية بدون تاريخ الطبع .
٢– بغية الطلب في تاريخ حلب ، (١١ جزء) . تحقيق الدكتور سهيل زكار ، ط دمشق ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
– ابن العماد الحنبلي (الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن احمد بم محمد العكري الحنبلي الدمشقي ، ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) .

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، جـ٧. تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط ، ط دار ابن كثير ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .
- ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد ، ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م) .
الأنباء في تاريخ الخلفاء . تحقيق قاسم السمرائي ، ط ليدن ١٩٧٣م .
- ابن العميد (المكين جرجيس بن العميد ، ت ٦٧٢هـ /١٢٧٤م) .
أخبار الأيوبيين ، بدون تاريخ ومكان الطبع.
- العيني (بدر الدين أبو محمد بن احمد بن موسى الشهير بالعين ،ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م).
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، القسم الخاص بحوادث وتراجم (٦٤٨هـ- ٦٦٤هـ / ١٢٥٠ - ١٢٦٥م) . حققه ووضع حواشيه الدكتور محمد أمين ، ط القاهرة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- الغساني (الملك الأشرف الغساني ، ت ٨٠٣هـ) .
العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، (جزءان في مجلد واحد) . تحقيق شاكر محمود عبدالمنعم ، ط بغداد ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- الفارقي (أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي ، ت ٥٧٢هـ)
تاريخ الفارقي أو الدولة المروانية . تحقيق بدوي عبداللطيف عوض ، ط بيروت ١٩٧٢م.
- أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة ، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م).
١- المختصر في أخبار البشر ، جـ٣ ،جـ ٤ . ط بيروت ، بدون تاريخ الطبع .
٢- تقويم البلدان . ط بيروت بدون تاريخ .
- ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبدالرحمن بن علي ، ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) .
تاريخ ابن الفرات ، تحقيق حسن محمد الشماع ، م٤ ، جـ ١ ، ط بغداد ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م . م٤ ، جـ٢ ، ط البصرة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م . م٥ ، جـ١ ، ط البصرة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
- ابن فضل الله العمري (شهاب الدين احمد بن فضل الله ، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) .
مسالك الأبصار في ممالك المصار ، الجزء الأول . تحقيق أحمد زكي باشا ، ط القاهرة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م .

- ابن الفوطي (كمال الدين عبدالرزاق بن تاج الدين أحمد الشيباني ، ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) .
تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، الجزء الرابع ، (أربعة أقسام) ، تحقيق مصطفى جواد ، ط بغداد ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .
- فوشيه الشارتري (المتوفى سنة ١١٢٧م تقريباً) .
تاريخ الحملة إلى القدس . ترجمة زياد العسلي ، ط عمان ١٩٩٠م .
- القرماني (أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي ، ت ١١٠٩هـ / ١٦١٠م).
أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ط بغداد ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م .
- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ، ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) .
آثار البلاد وأخبار العباد . ط بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- ابن القلانسي (أبو يعلى حمزة بن القلانسي ، ت٥٥٥هـ /١١٦٠م) .
ذيل تاريخ دمشق . ط بيروت ١٩٠٨م .
- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ، ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) .
صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، (١٤ جزء) ، ط القاهرة ١٩١٩-١٩٢٢م .
- ابن كثير (عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
البداية والنهاية (١٣ جزء) ، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون ، ط بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .
- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، ت ٣٤٦هـ) .
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (٤ أجزاء في مجلدين) ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، ط مصر ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر ، ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) .
السلوك لمعرفة دول الملوك (الجزء الأول ، القسم الأول) . تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط القاهرة ١٩٥٦م .
- مؤلف مجهول
أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس . ترجمة حسن حبشي ، ط القاهرة ١٩٥٨م .

- النسوي (نور الدين محمد بن احمد بن علي بن محمد المنشي ، كان حياً سنة ٦٣٩هـ).
سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي . تحقيق حانقظ حمدي ، ط القاهرة ١٩٥٣م .
- ابن نصرا لله الحنبلي (أبو البركات عز الدين أحمد بن إبراهيم بن نصرا لله الكناني العسقلاني ، ت ٨٧٦هـ / ١٤٧١م) .
شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تحقيق ناظم رشيد ، ط بغداد ١٩٧٨م .
- نظام الملك (الوزير الحسن بن علي بن اسحق بن العباس الطوسي ، ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) .
سياست نامه . ترجمة السيد محمد العزاوي ، ط دار الرائد العربي بدون تاريخ الطبع .
- ابن نظيف الحموي (ابو الفضائل محمد بن علي بن نظيف ، عاش في النصف الأول من القرن السابع الهجري) .
التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان) . تحقيق أبو العيد دودو ، ط دمشق ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب بن محمد ، ت٧٣٣هـ / ١٣٣٣م) .
نهاية الأرب في فنون الأدب . الجزء السادس والعشرون ، تحقيق محمد فوزي العنتيل ، ط مصر ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م . الجزء السابع والعشرون ، تحقيق سعيد عاشور ، ط مصر ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م . الجزء التاسع والعشرون ، تحقيق محمد ضياء الدين الريس ، ط مصر ١٩٩٢م .
- ابن واصل (جمال الدين محمد ين سالم بن واصل ، ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م) .
مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، الأجزاء الثلاثة الأولى تحقيق جمال الدين الشيال . والجزء الرابع تحقيق حسنين محمد ربيع ، ط المكتبة الفيصلية بدون تاريخ الطبع .
- ابن الوردي (زين الدين عمر بن المظفر بن أبي الفوارس ، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) .
تاريخ ابن الوردي (جزءان) . ط النجف ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- وليم الصوري (رئيس أساقفة صور ، عاش في الفترة ١١٣٠ - ١١٨٥م) .
تاريخ الحروب الصليبية ، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار .(جزءان) ترجمة الدكتور سهيل زكار ، ط بيروت ١٤١٠هـ /١٩٩٠م .

- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي ، مات بعد سنة ٢٩٢هـ) .
تاريخ اليعقوبي (جزءان) ، ط بيروت ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .

ثالثا : المراجع العربية والمترجمة :

- أحمد السعيد السليمان :
تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة . (جزءان) ، ط القاهرة . بدون تاريخ الطبع .
- أحمد كمال الدين حلمي :
السلاجقة في التاريخ والحضارة . ط الكويت ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- أديب السيد :
أرمينية في التاريخ العربي . الطبعة الأولى ١٩٧٢م .
- إرشيد يوسف :
سلاجقة الشام والجزيرة . ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م . بدون مكان الطبع .
- أرنولد (سيرتوماس) :
الدعوة إلى الإسلام . ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين وإسماعي النحراوي ، ط القاهرة ١٩٧٠م .
- استارجيان (الدكتور ك . ل . ستارجيان) :
تاريخ الأمة الأرمنية . ط الموصل ١٩٥١م .
- اسمت غنيم :
الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية . ط جدة ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م
- استانلي لين بول :
طبقات سلاطين الإسلام ، ترجمة مكي طاهر الكعبي ، ط الدار العالمية للنشر والتوزيع ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- أنطون خانجي :

مختصر تواريخ الأرمن . ط اورشليم ١٨٦٨م .

– بارتولد :

١– تاريخ الترك في آسيا الوسطى. ترجمة احمد السعيد سليمان ، ط مصر، بدون تاريخ الطبع .

٢– تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، ط الكويت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

– باركر (آرنست) :

الحروب الصليبية . ترجمة السيد الباز العريني ، ط بيروت ، بدون تاريخ الطبع .

– بدري محمد فهد :

تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير . ط بغداد ١٩٧٣م .

– براون (ادوارد جرانفيل) :

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي . ترجمة إبراهيم أمين الشواربي ، ط مصر ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

– بول آميل :

تاريخ أرمينيا . ترجمة شكري علاوي ، ط بيروت ، بدون تاريخ الطبع .

– حافظ حمدي :

١– الدولة الخوارزمية والمغول . ط دار الفكر العربي ، بدون تاريخ الطبع .

٢– الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي . ط مصر ١٩٥٠م .

– حسن إبراهيم حسن :

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي . جـ ٤ ، ط القاهرة ١٩٦٧م .

– حسن حبشي :

الحرب الصليبية الأولى . ط دار الفكر ١٩٥٨م .

– حسين مؤنس :

نور الدين محمود ، سيرة مجاهد صادق . ط القاهرة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م .

– حسنين محمد ربيع :

دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية . ط القاهرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

- خير الدين الزركلي :

الأعلام . جـ٢ ، الطبعة الثالثة بدون مكان وزمان الطبع .

- دائرة المعارف الإسلامية . الترجمة العربية (١٤ جزء) .

- رايس (تامارا تالبوت) :

السلاجقة تاريخهم وحضارتهم . ترجمة لطفي الخولي ، ط بغداد ١٩٦٨م .

- رنسيمان (ستيفن) :

تاريخ الحروب الصليبية . (٣ أجزاء) . ترجمة السيد الباز العريني ، ط بيروت ١٩٦٧م - ١٩٦٨م - ١٩٦٩م .

- رشيد عبدالله الجميلي :

إمارة الموصل في العصر السلجوقي . ط بغداد ١٩٨٠م .

- زامباور :

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي . ترجمة زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود ، ط مصر ١٩٥١م .

- زبيدة عطا :

بلاد الترك في العصور الوسطى ، بدون مكان وتاريخ الطبع .

- سعد محمد حذيفة الغامدي :

١- أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي . ط مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٢- بطولة وفداء في ميافارقين (بحث منشور في مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة الثانية عشرة ، شوال ١٤٠٦هـ / يونيو ١٩٨٦م) .

- سعيد عبدالفتح عاشور :

١- الحركة الصليبية . (جزءان) ، ط القاهرة ١٩٧٧م .

٢ أوربا العصور الوسطى . جـ١ ، ط مصر ١٩٨١م .

- سهيل زكار :

الحروب الصليبية . جـ٢ ، ط دار حسان - دمشق بدون تاريخ الطبع .
- السيد الباز العريني :
١- المغول . ط بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
٢- الدولة البيزنطية . ط بيروت ١٩٨٢م .
٣- مؤرخو الحروب الصليبية . ط القاهرة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .
- شاكر مصطفى :
١- التاريخ العربي والمؤرخون ، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام . (جزءان) ، ط بيروت ١٩٧٩ - ١٩٨٠م .
٢- دولة بني العباس . (جزءان) ، ط الكويت ١٩٧٤م .
- صابر محمد دياب :
أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري . ط مصر ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- عبدالله سعيد الغامدي :
١- صلاح الدين والصليبيون . ط مكة المكرمة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
٢- جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري . ط مكة المكرمة ١٤١٠هـ .
- عبدالرقيب دوستم :
الدولة الدوستكية في كردستان الوسطى ـط بغداد ١٩٧٢م .
- عبدالنعيم حسنين :
١- سلاجقة العراق وإيران . ط القاهرة ١٣٨٠هـ / ١٩٧٠م
٢- دولة السلاجقة . ط القاهرة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- عصام عبدالرؤوف الفقي :
الدول الإسلامية المستقلة في الشرق . ط القاهرة بدون تاريخ الطبع .
- علي بن صالح بن علي المحيميد :

الدانشمنديون وعلاقاتهم السياسية بالقوى المعاصرة (رسالة دكتوراة في التاريخ الإسلامي من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) .

- علي محمد علي عودة الغامدي :

١- بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي . ط مكة المكرمة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٢- بلاد الشام قبيل الغزو المغولي . ط مكة المكرمة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٣- معركة ميريوكيفالوم (٥٧٢هـ / ١١٧٦م ، مقال في مجلة جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، السنة الأولى ، العدد الأول ١٤٠٩هـ) .

- علية الجنزوري :

إمارة الرها الصليبية . ط القاهرة ١٩٧٥م .

- عفاف صبرة :

دراسات في تاريخ الحروب الصليبية . ط القاهرة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

- عماد الدين خليل :

١- الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام . ط بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

٢- عماد الدين زنكي . ط بيروت ١٣٩١هـ /١٩٧١م .

- عمر كمال توفيق :

تاريخ الدولة البيزنطية . ط الإسكندرية ١٩٧٧م .

- فايز نجيب إسكندر :

١- أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة في مصنف اريستاكيس اللستيفرتي . ط مصر ١٩٨٣م .

٢- الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج . ط الإسكندرية ، بدون تاريخ الطبع .

٣- الكرج والأتراك السلاجقة في عهد داود الثاني (بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، العدد الأول ، المجلد الأول ، ط القاهرة ١٩٩٣م) .

٤- موقعة ملاذكرد وأثرها في القسطنطينية . ط مصر ١٩٩٢م .

- فتحية النبراوي :

العلاقـات السياسـية الدوليـة وصـراع القـوى الدوليـة في العصـور الوسـطى . ط القـاهرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

- فؤاد عبدالمعطي الصياد :

المغول في التاريخ . جـ١ ، ط بيروت ١٩٨٠م .

- لسترنج (كي لسترنج) :

بلـدان الخلافـة الشـرقية.ترجمـة بشـير فرنسـيس وكركيـس عـواد ، ط بيروت١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

- محمد حميد الله :

مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، بيروت بدون تاريخ الطبع .

- محمد ربيع هادي المدخلي :

المشرق الإسلامي في عصر السلاطين السلاجقة الأوائـل ، رسـالة دكتـوراة مـن جامعـة ام القرى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

- محمد محمد مرسي الشيخ :

الخزر وعلاقاتهم بالامبراطورية البيزنطية (بحث منشـور في مجلـة كليـة العلـوم الإجتماعيـة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الرابع ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٠م .

- محمد بن مسفر بن حسين الزهراني :

نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية . ط بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٩٢م .

- محمود سعيد عمران :

١- معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية . ط بيروت ١٩٨١م .

٢- الحملة الصليبية الخامسة (حملة جان دي برين على مصر) . ط الاسكندرية ١٩٧٨م

- مروان المدور :

الأرمن عبر التاريخ . ط بيروت ١٩٨٢م .

- مسفر بن سالم بن عريج الغامدي :

١- الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر . ط جـدة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٢- علاقات القراخـانيين بتركستان وبلاد ما وراء النهر بالدول الإسلامية المجاورة ، ودورهم في نشر الإسلام . بحث منشور في مجلة جامعة أم القـرى ، السـنة الثالثـة ، العـدد الخامس ، لعام ١٤١١هـ .

- نافع توفيق العبود :

الدولة الخوارزمية ، نشأتها ، علاقاتها مع الدول الإسلامية ، نظمها العسكرية والإداريـة . ط بغداد ١٩٧٨م .

- هسي (ج - م - هسي) :

العالم البيزنطي . ترجمة وتقديم وتعليق رأفت عبدالحميد ،بدون مكان وتاريخ الطبع .

- يوسف عزت (مه ت جونا تومة) :

تاريخ القوقاز . ترجمة عبدالحميد غالب بيك ، ط القاهرة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م .

المراجع الأجنبية :

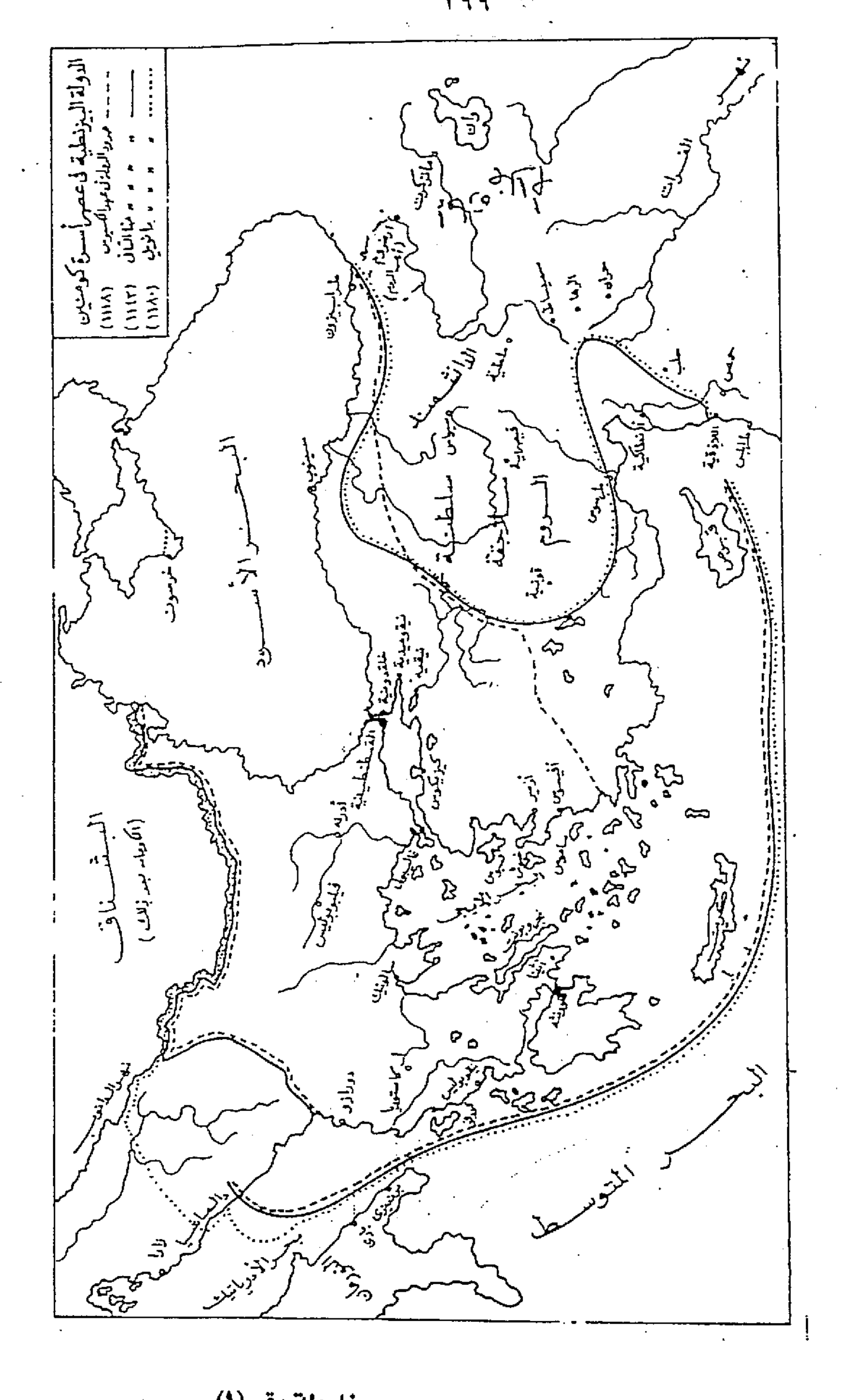
- The Cambridge Medieval History, Vol. IV (The Byzantine Empire,part I,Byzantium and its Neighbours) Cambridge,1860

- David Marshall lang :
  1. Armenia Cradle of civilization , London .
  2. The peoples of the Hills , London .

- Michael Pereira :
  East of Trebizond , London , 1971 .

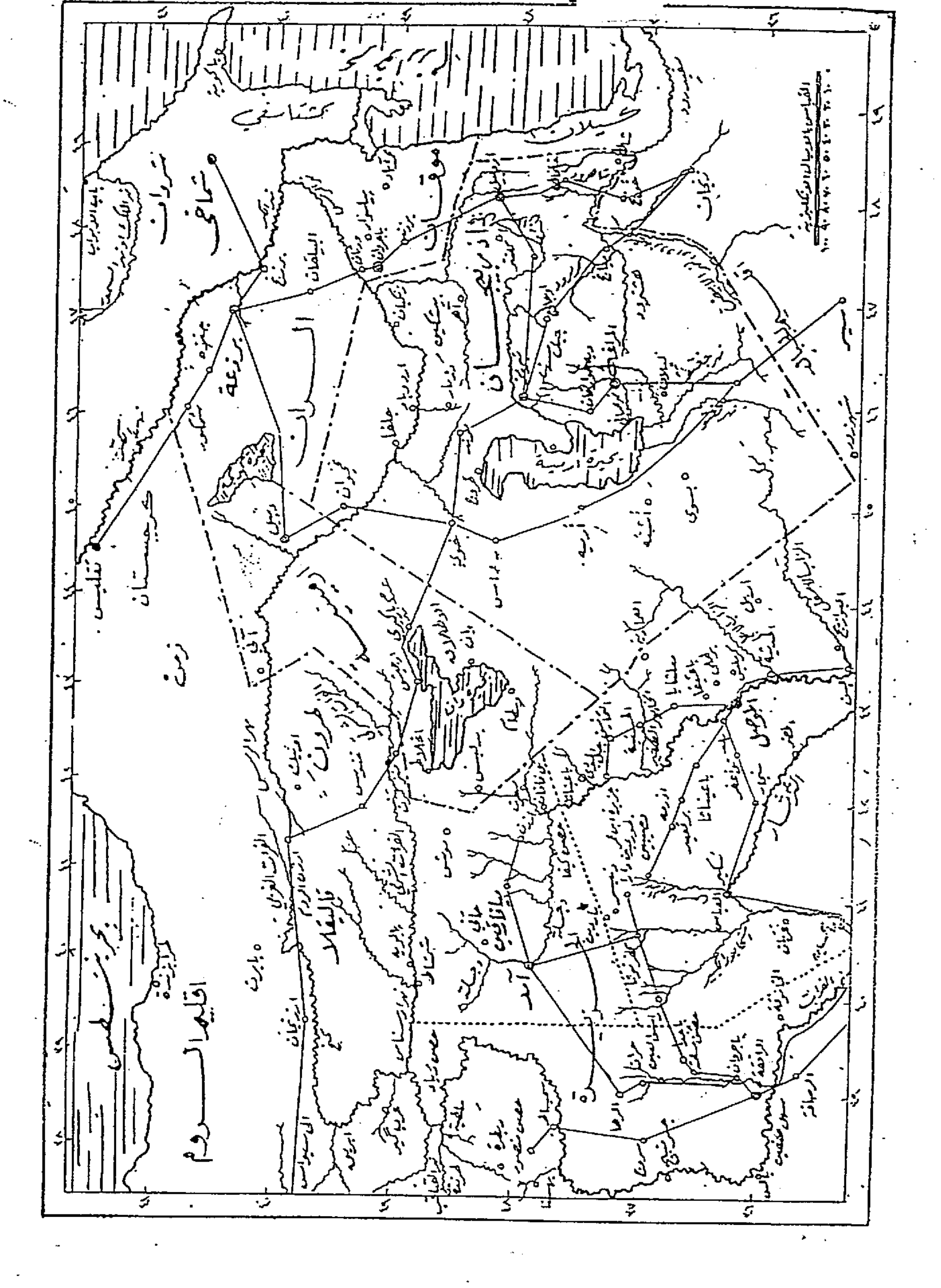
- Minorsky , Vladimir :
  1. The Turks , Iran and the caucasus in the Middle ages , London , 1978 .
  2. Studies in caucasian History , London 1953 .

- Peter Brent :
  The Mongol empire (Genghis Khan : His Triumph and his Legacy) , London .



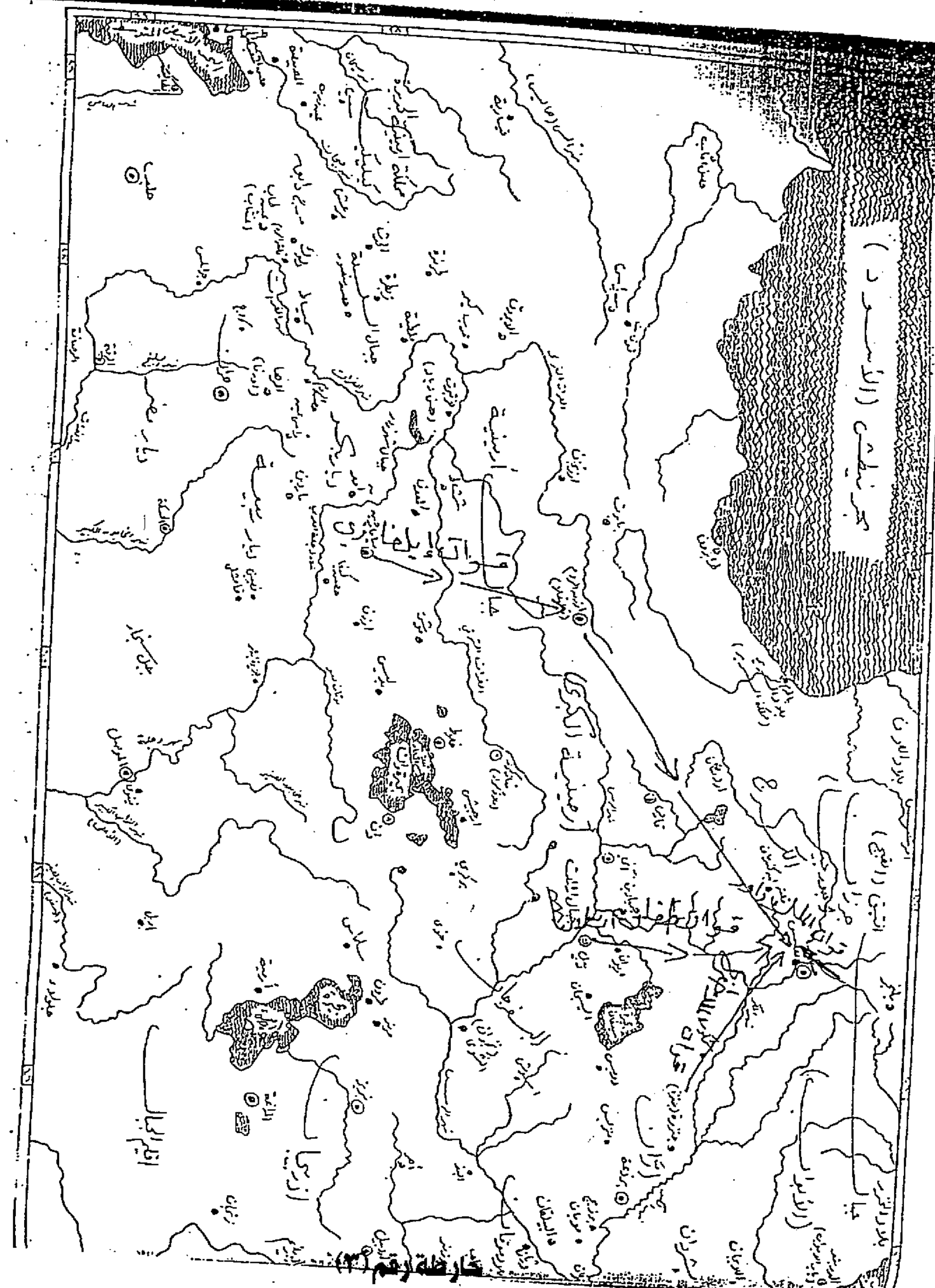
خارطة رقم (١)

تقريبية تبين ممتلكات كلاً من الدولة البيزنطية ودولة سلاجقة الروم . نقلاً عن حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢١٦-٢١٧ (بتصرف)



خارطة رقم (٢)

خارطة توضح تضاريس إقليمي الجزيرة الفراتية وأذربيجان . نقلاً عن لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١١٦ - ١١٧



خارطة رقم (٣)

خارطة توضح تضاريس ارمنية وبلاد الكرج . وتوضح أيضاً سير المعركة التي وقعت بين المسلمين والكرج بالقرب من تفليس . نقلاً عن أديب السيد : أرمينية في التاريخ العربي ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

« بتصرف »